

# مجلد الاكساب

تأليف

الافغ بيزج

منتش اللغة العربية في مدارس الفيرير بمصر

القسم الاول

من  
الجزء الخامس

هاؤم اقرأوا كتابي \* فهو يهدي للصواب  
بجر آداب محيط \* ورده عذب الشراب  
فيه من غالي اللآلي \* كل عتد مستطاب  
ولذا قلت معيلاً \* هاؤم اقرأوا كتابي

(جميع الحقوق محفوظة للؤلف)

## تخصُّصٌ مُؤسِّدٌ

في طريقة تعليم الانشاء بالمدارس

الانشاء ملكة يقتدر بها على التعبير عن المراد بكلام مطابق للحال . وهو من المقاصد الشريفة التي يجب أن تلاحظ بعين العناية ويوجه إلى تحصيلها حسن الرعاية لانه محور تدور عليه رحي المعاملات ومراة تجلّي فيها عقل الانسان وميزان يعرف به قدره . ولا غرو فما أضاء مصباحه في رأس كاتب إلا أصبح سيّد الرؤوس ولا أشرقت شمسه في نفس حكيم إلا غدا قائد زمام النفوس ولا أخذ بيد متخلف إلا قُدم على الأقران ولا نهض بخامل إلا صار غرّة في جبهة الزمان . ذلك لأن النفوس لا ترتاح إلى شيء ارتياحها إلى أساليب أهل اللسن والبيان الحسن ولا تلتذّ الأسماع بمثل كلمهم ولا تتمتع الابصار بأحسن من قراءة كتبهم . أما العاري من حلله فلا يكاد يعدّ إنسانا لأن الإنسان إنما هو إنسان بقوة النطق وغدوبة التعبير عما في الضمير لا بمجرد صورته أو صولته وإلا لفضّله فيها الحيوان حتى لقد عرفّ الإنشاء قوم بأنه « الإنسان » . فلماذا كان الشغل الشاغل للأساتذة ومسمى اجتهادهم مع تلاميذهم لعلمهم أنه هو الثمرة المقصودة من أغلب الأشغال المدرسية ونتيجة أتعاب المعلمين والمتعلمين . أما الطريقة المثلى للحصول عليه في يسير من الزمن وقابل من العناء في العمل فهي أن الأستاذ بعد أن يمرّن تلاميذه على القواعد الأولية للنحو ويعوّد لهم تركيب جمل صغيرة كالفعل مع فاعله والمبتدأ مع خبره ويفهمهم كيفية ارتباط الجملان يتبدئ معهم بمواضيع قصيرة سهلة تناسب سنهم أو يعمد وهو الأولى إلى عبارات تستغرق من خمسة إلى عشرة أسطر يلقبها عليهم؛ ثم يستخرج منها أسئلة ويكلف واحدا منهم أو أكثر بالإجابة شفها عن كل سؤال على مسمع من بقية إخوانه بكلام يتوخى فيه الصحة ما أمكن ثم يطالب منه أن يربط تلك الأجوبة ببعضها، وأخيرا يأمر الجميع بكتابتها ويؤجلهم مدة كافية لذلك . وكلما ازداد تلاميذه في العمر والمعارف واتسع المدارك يرتقى بهم إلى مواضيع أعلى ، وعلى كل يجب عليه أن يبين لهم كيفية السير فيها ويعطيهم خلاصتها تحريرا أو شفها ويورد لهم شيئا من آيات البلاغة وأبيات الشعر وقليلًا من روائع الحكم وجوامع الكلام تشهد للموضوع الذي يراد الكتابة فيه لما في ذلك من حسن الموقع في الانشاء وتزيينه وتقوية شواهدة إلا إذا كان مع الكبار الذين أوشكوا أن يتمموا دروسهم فالاجدر به وقتئذ أن يكتفي بإعطائهم اسم الموضوع فقط كي يعتادوا السير وحدهم والاعتماد على أنفسهم ويستغنوا عن المرشد حينما يغادرون المدارس . ثم يأخذ الاستاذ الدفاتر ويقرأ كتابة كل واحد إلى

آخرها كي يكون على بينة مما فيها وبعدئذ يراجعها ويغير الفاسد بالصحيح أو يقتصر على الإشارة الى غير المناسب بعلامة اصطلاحية يعهدها التلامذة كأن يضع ميا على غلط الاملاء وحاء على غلط التحو ولاما على غلط البلاغة وكافا على غلط الفكر وهلم جرا . ولكن يجمل به في كلتا الحالتين أن يحافظ جهده على عبارات التلميذ وافكاره بحيث انه لا يلتي من ذلك إلا ما لا يستطيع الى إبقائه سيلا . وعند فراغه من كل دفتر يرمز الى درجة استحقاق صاحبه بكتابة رقم من عشرة مثلا ثم يأتي تلامذته بالدفتر قاطبة وينبههم على بعض التحسينات التي أتوها والعيوب التي ارتكبوها كما أنه يوجه التفات كل فرد الى غلطاته الخصوصية ولا سيما كبيراتها والتي يكثر وقوعها منه حتى يحترز منها مرة ثانية . ويجدر بالاستاذ بعد ذلك أن يقرأ لهم أنموذجا متقنا متينا في نفس الموضوع إما من تأليفه أو تأليف غيره مما لا تأخذه فيه لومة لائم كي يشخص لهم عملا أكمل من عملهم يقتدون به عند الحاجة . ويلزمهم أن يبيضوا كل موضوع بعد تصحيحه وسماهم ملحوظاته عليه فان ذلك أقرب الى النجاح . أما نفس المواضيع التي تدور عليها رحي الانشاء فينبغي أن تكون مختلفة في اغراض مفيدة كأنواع المراسلات والمباحث العلمية وأوصاف البلاد والمدن والمنازه وغير ذلك من كل ما يرغب في خير العادات وكمال الصفات كالتبصر في الأمور ومداومة الجّد واعتياد الانتظام والتمسك بالصدق في الأقوال والأفعال والمعاملات ومساعدة المساكين وارشاد الضالين ورحمة الضعفاء وامتنال الرؤساء واعطاء كل ذي حق حقه . هذا وطلما استعملت طريقة في تعليم الانشاء وجدتها كثيرة الفوائد خصوصا مع الكبار المتمرنين عليه وهي أن يعطي الاستاذ موضوعين أو أكثر في آن واحد ويقسم تلامذته معينا لكل قسم موضوعا وبعد ان يكتبوا عليه يقرأون شغلهم واحدا واحدا على مسمع من أهل الفرقة وهو ينههم على غير المناسب ويدلّهم على تصحيحه حالة قراءته . فبتلك الكيفية يقتبسون أفكارا جمة وتعايرشقي في مواضيع مختلفة ويسير من الزمن ولا ريب ان هذه هي الضالة الثمينة التي تنشدها الحكماء . وأما من أراد اجادته وبلوغ درجة الكمال فيه فعليه أن يتقن اللغة التي يكتب فيها ويحفظ نجبا كثيرة من مشاهير كتّابها ويتضلع من سائر العلوم ولا سيما اللغات الأجنبية لأنه يستمد من جميعها وقد ثبت بالاستقراء أن من كان قليل الاطلاع كان انشاؤه غثا قاصرا خاليا من الطلاوة المطلوبة في الكلام

### ❖ حاله الطنب في عصره ❖

لا شك ان حالة الكاتب والمصوّر في أشغالهما واحدة فان هذا يرسم بمنقشه ما يكتبه ذاك بقلمه وكلاهما يستعين بما يعلمه وينظره ويسمعه ويخيله ويتأثر به مراعى أحوال معاصريه وآدابهم وأخلاقهم وأذواقهم وحاجاتهم فلذا يفرق بين شعراء الجاهلية والإسلام وبين كتّاب .

الدولة العباسية وكتابتنا وبين أدباء الشرق والغرب وبين حملة الأقلام في كل زمان ومكان كما يفرق بين المصورين وأعمالهم فيقال تصوير نهضة سنة ١٤٥٣ وتصوير القرن السابع عشر مثلا وكذا بين مصوري إيطاليا وإسبانيا وفرنسا وإنجلترا وغيرهم . وينبغي على ما تقدم انه لا ينبغي أن تكون خطة كتابنا في الإنشاء كخطة الأقدمين لما تبدل من سنن الهيئة الاجتماعية وتوفر من أسباب الرفاهية وتمتد من طرق المواصلات ووسائل العمران إذ لنا علومنا وآدابنا وأخلاقنا وأذواقنا وحاجتنا وكانت لهم علومهم وآدابهم الى غير ذلك من الأمور التي تبدل فيها كل التباين حتى ان أهالي تلك العصر الحالية لو رجعوا الى أزمئتنا لأنكروا الأرض ومن عليها واعتقدوا ان ما يشاهدونه ليس من مبتكرات الانسان ولم يكادوا يعرفون شيئا مما عرفوه قبلا . فيجب على كل كاتب أن يستنفد وسعه في جعل كتابته مطابقة لما يناسب أيامنا لا لما كان يناسب أيام آبائنا مفرغا أفكاره في قلوبهم اللفظية التي نستأنسها الآن رافضا ما تمجته نفوسنا مستعيرا من اللغات الاجنبية الألفاظ التي ليس لها مرادف في العربية كالتلغراف والفضوغراف اقتداءً بقدماء العرب في نقلهم كثيرا من المفردات الى لغتهم كالإستبرق والأسقف والإنجيل وغيرها وبذلك تحيا لغتنا الشريفة وتتسع دائرتها وتضمد في درجات الترتي وتجاري بقية اللغات التي لا يألوا علماءؤها جهدا في تسهيلها وتحسينها وتوصيلها الى الأوج الأسمى من الكمال (للمؤلف)

## فصل

### في كيفية أخرى لتعلم الإنشاء

قال ابراهيم بن محمد الشيباني : يجب على من أراد النجاح في الإنشاء ان يتصفح من كتب المتقدمين ما يعتمد عليه ومن رسائل المتأخرين ما يرجع اليه ومن نوادر الكلام ما يستعين به ومن الأشعار والخبار والحكم والسير والاسماء ما تتسع به دائرة منطقه ويطول به لسان قلمه . وينظر في كتب المقامات والخطب وأجوبة العرب في محاوراتهم وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وسيرهم ووقائعهم ومكائدهم في حروبهم بعد أن يكون متوسطا علم النحو ليكون ماهرا يضع الآيات والأحاديث والأمثال والأشعار الجيدة في مواضعها فان تضمين المثل السائر والبيت العامر مما يزين انشاءه ما لم يخاطب ملكا أو أميرا جليل القدر لأن اجتلاب الشعر في مخاطبات الاكابر عيب إلا اذا كان الكاتب هو القارض له فان ذلك يزيد في أهتة واذا احتاج الى مخاطبة الملوك أو الوزراء أو العلماء أو الكُتّاب أو الخطباء أو الادباء

أو الشعراء أو أوساط الناس أو سوقهم فليخاطب كلا على قدر مقامه وفطنته • وليتخير من الالفاظ أجزؤها وأشرفها وأليقها • وليزن كل كلمة قبل أن يكتبها فانه ربما مرّ به موضع يكون الاتيان فيه بأنا فاعل أحسن من الاتيان بأنا فاعل وموضع آخر يكون فيه استفعلت أولى من فعلت وليُدرك كلفه على جميع وجوهها فأى كلمة رآها لأنفة بالمكان الذي نديها اليه أثبتها فيه ولا يأتي بكلمة قلقة في موضعها نافرة عن مكانها فانه اذا فعل ذلك هجّن الموضع الذي حاول تحسينه وأفسد المكان الذي أراد اصلاحه فان وضع الالفاظ في غير أماكنها كترقيق الثوب برقاع لم تشابهه فتغير شكله وتضيع حسنه • وكما احلولى الكلام وراق وسهلت مخارجه كان خفيفا على الافواه سهل الوصول الى الاسماع شديد الاتصال بالقلوب واذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجزل لفظ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ولا الكلام متسقا وتضائل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح كتضائل الحسناء في الأطمار الرثة

وقال ابن الاثير : من أحب أن يكون كاتباً فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ولايقنع بالقليل منها ثم ليأخذ في نثر الشعر من محفوظاته • وطريقته ان يعتمد الى قصيدة من القصائد البليغة فينثرها بيتا بيتا على التوالي ولا يستنكف في ابتداء الأمر ان ينثر الشعر بألفاظه أو بأكثرها فانه لا يستطيع إلا ذلك • واذا مرّت نفسه ارتفع عن هذه الدرجة وأخذ المعنى وكساه تعبيراً من عنده ثم يرتفع حتى يكسوه ضروبا من التعبيرات ويورده بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه وحينئذ يحصل لحاظه مباشرة ذلك العمل وتكراره ملكة تمكنه من حسن التعبير في أي غرض كان فاذا كتب رسالة أو خطب خطبة تدفقت المعاني في أثناء كلامه وجاءت ألفاظه معسولة لامسولة وكان عليها طلاوة حتى تكاد ترقص طربا وهذا شيء تحققت بالاختبار ولاينبئك مثل خبير • فان قيل الكلام قسمان منظوم ومثور فلم حضضت على حفظ المنظوم وجعلته مادة للمثور وهلا كان الامر بالعكس قلت في الجواب ان الاشعار أكثر والمعاني فيها أغزر وسبب ذلك ان العرب الذين هم أصل الفصاحة جلت كلامهم شعر ولا تجدد النثر في كلامهم إلا يسيرا ولو أكثر فأغلب المنقول عنهم هو الشعر فأودعوا اشعارهم معانيهم وأساليبهم ثم جاء الطراز الاول من المخضرمين فلم يكن لهم إلا الشعر ثم استمرت الحال على ذلك فكان الشعر هو الأكثر والكلام المثور بالنسبة اليه قطرة من بحر فالمعاني والأساليب مودعات في الاشعار • وسأورد هنا مثالا في حل الشعر أختم به هذا الفصل يكون قدوة للمتعلم • وهو ما ذكرته في فصل يتضمن ذكر السيادة فقلت « الشريف من شرف بنفسه لا بما دفن مع أبيه في رمسه فان تلك مكارم أتت فتجمل الزمان بمآتها ثم مات أربابها فدفنت مع موتها ولو ساد الناس بأبائهم لكانت السيادة لاطينة الاولى فشرف نفسك بنفسك لا بما كان عليه سلفك من اليد الطولى » وهذا المعنى مأخوذ من قول الشاعر

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما \* فخار الذي يبني الفخار بنفسه

## فصل

في اختيار الالفاظ وفيه مبحثان

### المبحث الاول في الكلمة

اعلم أن المثنى يحتاج في تأليف كلامه الى ثلاثة أشياء الاول اختيار الكلمات وحكم ذلك حكم الآلى المبددة فانها تتحير وتنتق قبل النظم . والثاني انظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها للثلاثي ، الكلام قاقا نافرا عن مواضعه وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها الملائمة لها . والثالث الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه وحكم ذلك حكم الموضوع الذي يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل اكليل على الرأس وطورا يجعل قلادة في العنق وحينما يجعل شفا في الاذن ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه فهذه ثلاثة أشياء لا بد للنثر والشاعر من العناية بها وهي الاصل الذي عليه المعتمد في تأليف الكلام من النظم والنثر والاول والثاني من هذه الثلاثة هما المرادان بالفصاحة والثلاثة مجملتها هي المقصودة بالبلاغة وهي غاية يضل في ساوك طريقها كثير من العلماء البصيرين بصناعة الكلام فكيف الجهال الذين ليسوا على شيء من ذلك . ومن البراهين الناطقة بصحة مقدمتي وصعوبة تلك الصناعة انك ترى كلمتين تدلان على معنى واحد وكتابها حسنة في الاستعمال وعدة حروفهما واحدة الا أنه لا يحسن استعمال احدهما في كل موضع تستعمل فيه الأخرى بل يفرق بينهما في مواضع السبك وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه وجل نظره . فن ذلك قول الاعرج في الحماسة

نحن بنو الموت اذا الموت نزل \* لا عار بالموت اذا حتم الأجل

الموت أحلى عندنا من العسل

وقول المتنبي : اذا بي مشيت خفت على كل سايح \* رجال كأن الموت في فهمها شهد  
فهما تان الكلمتان العسل والشهد كتابها حسنة مستعملة لا يشك في حسنهما واستعمالها وقد وردت كلمة العسل في القرآن دون كلمة الشهيد لانها أحسن منها ومع ذلك فان كلمة الشهيد وردت في بيت المتنبي فجاءت أحسن من كلمة العسل في بيت الاعرج وكثيرا ما نجد أمثال ذلك في أقوال الشعراء المغلقين وغيرهم من بلغاء الكتاب ومصقبي الخطباء وتحت دقات ورموز اذا علمت وقيس عليها نظائرهما كان صاحبها في النظم والنثر قد انتهى الى الغاية القصوى في اختيار الكلمات ووضعها في مواضعها اللائقة بها . ثم اعلم أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الكلمات أكثر مما يقع في مفرداتها لان التركيب أعسر . ألا ترى ان كلمات القرآن من حيث انفرادها قد استعملتها العرب ومن بعدهم ومع ذلك فانه يفوق جميع كلامهم ويعلو

عليه وليس هذا إلا لفضية التركيب وسأضرب لك مثالا يشهد بصحة ما ذكرته وهو أنه قد جاءت كلمة في آية من القرآن وبيت من الشعر فجاءت في القرآن جزلة متينة وفي الشعر ركيكة ضعيفة فأثر التركيب فيها هذين الوصفين المتضادين . أما الآية فهي قوله « إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة » وأما البيت فهو قول المتنبي

تسمي الأماني صرعى دون مبلغه \* فما بقول لشيء ليت ذلك لي

فكلمة لي جاءت في الآية وفي البيت وهو من الأبيات البليغة فخطت من قدره وجعلته كالمبتور لضعف تركيبها فيه وحننت في الآية لتمكنها في موضعها فأمل . وقد يزداد على الكلمة شيء فزيدها حسنا كقول القرآن « فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأ كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه الى أن قال ما أغنى عني ماليه هلك عني ساطانيه » فان الاصل في هذه الكلمات كتابي وحسابي ومالي وساطاني فلما أضيفت الهاء اليها وتسمى هاء السكت اضافت اليها حسنا زائدا على حسنها وكسها من رونق اللطف أعظم حلة

هذا واعلم ان من الكلمات ما يتصف بالحسن ومنها ما يتصف بالقبح . أما الحسن فهو ما يستلذه السمع وأما القبيح فهو ما يكرهه وينبو عنه . وقد رأيت جماعة من الجهال اذا قيل لأحدهم ان هذه الكلمة حسنة وهذه قبيحة أنكر ذلك وقال كل الكلمات حسنة والواضع لم يضع إلا حسنا ومن يبلغ جهله الى الألفرق بين كلمة الغصن وكلمة العسلوج وبين كلمة المدامة وكلمة الإسفط وبين كلمة السيف وكلمة الخنثليل وبين كلمة الاسد وكلمة الفدوكس فلا ينبغي أن يخاطب بخطاب ولا يجاوب بجواب بل يترك شأنه كما قيل اتركوا الجاهل بجهله ولو ألقى الجمر في رخله . وما مثاله في هذا المقام إلا كمن يسوي بين صورة قبيحة سوداء شديدة السواد شوهاء الخلق ذات عين محمرة وشفة غليظة كأنها كلوة وشعر قطط كأنه زيبية وبين صورة مليحة بيضاء مشربة بجمرة ذات خد أسيل وطرف كحيل ومبسم كأنما نظم من أقاح وطرة كأنها ليل على صباح فاذا كان انسان من سقم النظر يسوي بين هذه الصورة وهذه فلا يبعد أن يسوي من سقم الفكر بين هذه الكلمات وهذه إذ لا فرق بين النظر والسمع في هذا المقام فان هذا حاسة وهذا حاسة وقياس الحاسة على الحاسة مناسب فان عاند معاند في هذا وقال أذواق الناس مختلفة فيما يختارونه من هذه الاشياء وقد يفضل الانسان الصورة القبيحة التي ذمها على الصورة المليحة التي مدحها قلت في الجواب نحن لا نحكم على الشاذ النادر الخارج عن الاعتدال بل نحكم على الكثير الغالب ولذلك اذا رأينا شخصا يحب أكل التراب ويختار ذلك على ملاذ الاطعمة لانستجيد هذه الشهوة بل نحكم عليه بأنه مريض قد فسدت معدته وهو محتاج الى مداواة . ومن له أذنى بصيرة يعلم أن للكلمات في الأذن نعمة لذيذة كنعمة الأوتار أو صوتا منكرا كصوت الحمار وأن لها في الفم أيضا حلاوة كحلاوة العسل أو مرارة كمرارة الخنظل وعلى ذلك فهي تجري مجرى النعمات والطعوم . ولا يسبق وهمك أيها المتأمل الى قول التماثل الذي غلب عليه غلظ الطبع وخباجة الذهن

« أن العرب كانت تستعمل من الكلمات كذا وكذا مما تعدونه وحشياً فهذا دليل على أنه حسن »  
بل ينبغي أن تعلم أن الذي نستحسنه نحن في زماننا هذا هو الذي كان عند العرب مستحسناً  
والذي نستهجنه هو الذي كان عندهم مستهجناً

ومع هذا فإن قول القائل إن العرب كانت تستعمل من الكلمات كذا وكذا وهذا دليل على  
أنه حسن ادعاء باطل لا يصدر إلا عن جاهل فإن استحسان الكلمات واستهجانها لا يؤخذان بالتقليد  
من العرب لأنه ليس للتقليد فيهما مجال بل هاشيثان لهما خصائص وعلامات إذا وجدت علم حسنهما  
من قبحهما وأما الذي نقله العرب فيه فأنما هو الاستشهاد بكلامهم في الأوضاع النحوية كرفع  
الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف إليه وأشباه ذلك وما عداه فلا إذ حسن الكلمات وقبحها  
ليس إضافيين إلى زيد دون عمرو أو إلى عمرو دون زيد لانهما لا يتغيران بالاضافة . ألا ترى أن  
كلمة المزنة مثلاً حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم لا يختلف أحد في حسنها وكلمة البعاق  
قييحة عند الناس جميعاً من العرب وغيرهم فإذا استعملتها العرب لا يكون استعمالهم إياها مخرجا  
لها عن القبح ولا ياتفت إذا إلى استعمالهم إياها بل يعاب مستعملها ويغلظ عليه التكثير حيث استعملها  
ويشترط في الكلمة ألا تكون وحشية وقد خفي الوحشي على جماعة من المتممين إلى  
صناعة النظم والنثر وظنوه المستقبح من الكلمات وليس كذلك بل الوحشي هو الغريب  
الذي ليس ظاهر المعنى وذلك أنه منسوب إلى الوحش الذي يسكن القفار وليس بأنيس  
وكذلك الكلمات التي لم تكن مأنوسة الاستعمال . وليس من شرط الوحش أن يكون مستقبحاً  
بل إن يكون نافراً لا يألف الأنس . ثم هو تارة يكون غريباً حسناً وطوراً يكون قبيحاً وعلى  
هذا فأخذ قسيمي الوحشي وهو الغريب الحسن يختلف باختلاف الإضافات وأما القسم الآخر  
من الوحشي الذي هو قبيح فإن الناس في استقباحه سواء ولا يختلف فيه عربي بادي ولا قروي  
حضري . وأحسن الكلمات ما كان مألوفاً متداولاً لأنه لم يكن كذلك إلا لما كان حسنه وها أنا  
ذا أضرب لك مثلاً للوحشي القبيح يساعذك على ادراك تمام مرادي وهو أنه قد وردت كلمة  
من بيت لتأبط شراً في كتاب الحماسة

يظَلُّ بِسُومَةٍ وَيَمْسِي بغيرها \* جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَسَالِكِ

وهي كلمة جحيشاً فإنها من الكلمات المنكرة القبيحة وبالعجب ليست بمعنى فريد وفريد كلمة  
حسنة رائقة ولو وضعت في هذا البيت موضع جحيش لما اختلف شيء من وزنه ومعناه فتأبط  
شراً ملوم من وجهين في هذا الموضع أحدهما أنه استعمل الوحشي القبيح والآخر أنه كانت له  
مندوحة عن استعماله فعدل عنها وبما هو أقبح من ذلك قول أبي تمام

قد قلت لما اطلختم الأمر وانبعثت \* عشواء تالية غيبساً دهاريساً

فإن اطلختم من الكلمات المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين من الغرابة والكراهة  
في السمع وكذلك كلمة دهاريس أيضاً وعلى هذا ورد قوله من أبيات يعصف فرساً من جملتها

نعم متاع الدنيا حَبَاك به \* أَرْوَعُ لِأَجْدَرُهُ وَلَا جِبْسُ  
فكلمة جيدر غليظة • وأغلظ منها قول المتنبي

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم \* شِيمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَعْرُ دَلَائِلُ  
فإن كلمة جفخ مرّة الطعم وإذامرت على السمع أقشعرت منها والمتنبي في استعمالها كاستعمال تأبط  
شراً كلمة ججيش فإن تأبط شرا كانت له مندوحة عن استعمال تلك الكلمة كما أشرت إليه فيما تقدم  
وكذلك المتنبي في استعمال هذه الكلمة التي هي جفخت فإن معناها نخرت ولو استعملها عوضاً  
من جفخت لاستقام وزن البيت وحظي في استعماله بالاحسن ولا أفهم كيف تفوت هذه  
اللفوات وأمثالها على هؤلاء الفحول من الشعراء • وهذا الذي ذكرته وما يجري مجراه من  
الكلمات هو الوحشيّ الغليظ الذي ليس له ما يدانيه في قبجه وكرهته وهذه الأمثلة دليل على ما  
أوردناه والعرب لا تلام على استعمال الغريب الحسن من الكلمات وإنما تلام على الغريب  
القيح • وأما الحضريّ فإنه يلام على استعمال القسمين معا وهو في أحدهما أشدّ ملامة من الآخر  
ومن أوصاف الكلمة ألا تكون ثقيلة بحيث تمجّجها الأسماع وتأنفها الطباع • فانه جاء من  
ذلك قول المتنبي في مواضع

مبارك الاسم أغرّ اللقب \* كريم الجرشى شريف النسب  
وملمومة سيفية ربعية \* يصيح الحصى فيها صياح اللقالق  
ومن الناس من يجوز اليه \* شعراء كأنها الخازباز

فإن كلمة الجرشى واللقالق والخازباز ثقيلة كما لا يخفى

ومن أوصافها أيضاً ألا تكون مشتركة بين معنيين أحدهما يكره ذكره فإذا كانت كذلك قبح  
استعمالها ما لم يؤت معها بقرينة تبين المراد منها وإلا فلا قبح فيها مثال ذلك لو قال قائل لقيت فلاناً  
فعرزته فانه يسبق الى الفهم انه ضربه وأهانته ولو قال لقيت فلاناً فأكرمته وعرزته لزال ذلك اللبس •  
ومما ورد بغير قرينة قول أبي تمام

أعطيت لي دية القتل وليس لي \* عقل ولا حق عليك قديم

فقوله ليس لي عقل يظنّ أنه من عقل الشيء إذا علمه مع ان المراد به الدية ولو قال ليس لي  
عليك عقل لزال اللبس

### المبحث الثاني في التركيب

اعلم ان جماعة من مدعي البراعة في صناعة الكلام يعتقدون أن الفصيح منه هو الذي يعز  
فهمه ويبعد متناوله واذارأوا كلاماً وحشياً غامض المعنى يُعجّبون به ويصفونه بالفصاحة وهو  
بالضدّ من ذلك لان الفصاحة هي الظهور والبيان لا الغموض والحفاء • وسأبين لك ما تعتمد

عليه في هذا الموضع . فأقول الألفاظ تنقسم في الاستعمال الى جزلة وريقة ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه . فالجزلة منها تستعمل في وصف مواقف الحروب وفي قوارع التهديد وأشباه ذلك وأما الريقة منها فأنها تستعمل في وصف الاشواق وذكر أيام البعاد وفي استجلاب الوداد وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك ولست أعني بالجزل من الالفاظ أن يكون وحشيا متوعرا عليه عُنْجُهيَّة البداوة بل أريد أن يكون متينا على عدوبته في الفم ولذاذته في السمع وكذلك لست أعني بالريقة أن يكون ركيكاساقطا وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبي تمام

ناعمت الاطراف لو أنها تل \* بس أغنت عن الملاء الرقاق

وسأضرب لك مثالا للجزل من الالفاظ والريقة منها فأقول انظر الى قوارع القرآن عند ذكر مفارقة الدنيا والحساب والعذاب وما جرى هذا لجرى فانك لا ترى شيئا من ذلك وحشي الالفاظ ولا متوعرا مع انه جزل ثم انظر الى ذكر الرحمة والمغفرة والملاطفات في خطاب الأنبياء والمنتبين والتائبين من العباد وما جرى هذا لجرى فانك لا ترى شيئا من ذلك ضعيف الالفاظ ولا ركيكها . مثال الاوّل وهو الجزل من الالفاظ قوله « و نفتح في الصور فصّيعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله ثم نفتح فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرفت الارض بنور ربها ووُضِعَ الكتاب وجيء بالنتبين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووُفِيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون . وسبق الذين كفروا الى جهنم زمّرا حتى اذا جاؤا فتحوا أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين » فتأمل هذه الآيات المتضمنة ذكر الحشر على تفاصيل أحواله وذكر النار وانظر هل فيها كلمة إلا وهي سهلة مستعذبة على ما بها من الجزالة . وأما مثال الثاني وهو الرقيق من الالفاظ فقوله « والضحي والليل اذا سجي ماودّعك ربك وما قلى وللاخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدرك يتما فأوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث » وهكذا ترى سبيل القرآن في كلتا الحالتين من الجزالة والريقة . وكذلك كلام العرب الاوّل في الزمن القديم مما ورد عنهم ويكفيك من ذلك نبذة من كلام قبيصة بن نعيم لما قدم على امرئ القيس في أشياخ بني أسد يسألونه العفو عن دم أبيه حُجْر فقال له أنك في المحل والقدر من المعرفة بتصرف الدهر وما تحمده أيامه وتنتقل به أحواله بحيث لا يحتاج الى تذكير من واعظ ولا تبصير من محرب ولك من سوود منصبك وشرف أعراقك وكرم أصلك في العرب محتدى يحتمل ما حُمِلَ عليه من إقالة العثرة والرجوع عن الهفوة ولا تتجاوز الهمم الى غاية إلا رجعت اليك فوجدت عندك من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم وكرم الصفح ما يطول رغباتها ويستغرق طلباتها وقد كان ذلك الخطب

الجليل الذي عمّت رزيبته نزاراً واليمن . ولو كان هالك يفدى بالانفس الباقية بعده لما بخلت كرامنا  
بها على مثله ولكنه مضى به سبيل لا ترجع أخرا على أولاه ولا يلحق أقصاه أدناه فأحمد الحالات  
في ذلك أن تعرف الواجب عليك في أحداً من بني أسد أشرفها بيتا واعلاها  
في بناء المكرمات صوتا فتقوده اليك بدسعة تقص منه كما تشاء فنقول رجل امتحن بهالك عزيز فلم  
يستل سخيمته إلا تمكنه من الانتقام وإما أن نفتديه بما ترضاه من نعم بني أسد فهي ألوف فيكون  
ذلك فداء ترجع به القضب الى أجدانها . فبكي امرؤ القيس طويلاً ثم رفع رأسه وقال لقد علمت العرب  
أنه لا كفو لحجر في دم واني لن أعتاض منه جملاً ولا ناقة فاكسب بذلك سبة الابد وقتاً في  
العضد وسترون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل في القلوب حنقا وفوق الاسنة علقا

إذا جالت الحرب في مآزق \* تصافح فيه المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون قالوا بلى تنصرف بأسوأ الاختيار وأبلى الاجترار بمكروه وأذية وحرب  
وبلية . ثم نهضوا عنه وقبيصة تمثل بقوله

لعلك أن تستوخم الورد إن غدت \* كتائبنا في مآزق الحرب تمطر

فقال امرؤ القيس لا والله ولكني أستعذبه فرويدا ينفرج لك دجى الأمر بفرسان كندة وكتائب  
جمير ولقد كان ذكر غير هذا أولى بك إذ أنت نازل برابي فقال قبيصة نعم ولكنك قلت فأوجبت  
فقال امرؤ القيس هو ذلك \* فلتنظر إلى هذا الكلام من الرجلين قبيصة وامرؤ القيس حتى  
يدع المتعمقون تعمقهم في استعمال الوحشي من الالفاظ فان هذا الكلام قد كان في الزمن  
القديم قبل الاسلام بما شاء الله وهذا المشار اليه ههنا هو من جزل نثرهم وتراه على ما يرام من  
السلاسة والعذوبة . واذا تصفحت أشعارهم أيضا وجدت الوحشي من الالفاظ قليلا بالنسبة  
الى المسلسل في الفم والسمع ألا ترى الى هذه الايات الواردة عن السموأل بن عادياء

إذا المرء لم يدنس من الأثوم عرضه \* فكل رداء يرتديه جميل

وإن هولم يحمل على النفس ضيمها \* فليس الى حسن التناء سبيل

تعبنا أنا قليل عد يدنا \* فقلت لها إن الكرام قليل

وما قل من كانت بقاياها مثلنا \* شباب تسمى للعلى وكهول

وما ضرنا أنا قليل وجارنا \* عزيز وجار الأ كثيرين ذليل

سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم \* فليس سواء عالم وجهول

لنا جبل يحتله من نجيره \* مشيع يرد الطرف وهو كليل

رسا أصله تحت الثرى وسما به \* الى النجم فرع لا ينال طويل

هو الأ بلق الفرد الذي شاع ذكره \* يعز على من رامه ويطول

وآنا لقوم لانرى القتل سبة \* اذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا \* وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منّا سيّد حتف أنفه \* ولا طلّ منا حيث كان قتيلا  
تسيل على حدّ الظّبات نفوسنا \* وليست على غير الظّبات تسيل  
وننكر إن شئنا على الناس قولهم \* ولا يشكرون القول حين نقول  
إذا سيّد منا خلا قام سيّد \* قوول بما قال الكرام فعول  
وما أخذت نارنا دون طارق \* ولا ذمّنا في النازلين نزيل  
وأيماننا مشهورة في عدوّنا \* لها غرر معلومة وحجول  
وأسيافنا في كل شرق ومغرب \* بها من قراع الدارعين فلول  
معوّدةً ألاّ تسلّ نصالها \* فتعمد حتى يستباح قويل

فاذا نظرنا إلى ما تضمنته من جزالة المعنى خلناها جبالا راسيات وهي مع ذلك سهلة مستعذبة  
غير فظة ولا غليظة . وكذلك قد ورد عن العرب في جانب الرقة من الأشعار ما يذوب لرقته  
صمّ الصخور كقول بعض سكان الفلوات

أقول لصاحبي والعيس تهوى \* بنا بين المنيفة فالضمار  
تمتع من شميم عرار نجد \* فما بعد العشية من عرار  
ألا ياخذنا نفجات نجد \* ورياروضة غبّ القطار  
وأهلك إذ يحلّ الحيّ نجدنا \* وأنت على زمانك غير زار  
شهور ينقضين وما شعرنا \* بأنصاف هن ولا سرار  
فأمّا ليلهنّ نخير ليل \* وأطيب ما يكون من النهار

وإذا كان هذا قول ساكن في الفلاة لا يرى إلاّ شيعاً أو عاقولا ولا يَأْكل إلاّ ضبّا أو  
يربوا فما بال قوم سكنوا الحضر ووجدوا رقة العيش يتعاطون وحشيّ الألفاظ وشظف  
العبارات . ولا يميل إلى ذلك إلاّ جاهل بأسرار الفصاحة أو عاجز عن سلوك طريقها فان كل  
من أخذ شيئا من علم الأدب يمكنه أن يأتي بالوحشي من الكلام بأن يلتقطه من كتب اللغة  
أو يتلقفه من أربابها . وأمّا الفصيح المتّصف بصفة الملاحه فانه لا يقدر عليه ولو قدر عليه لما  
علم أين يضع يده في تأليفه وسبكه فانّ ما رى في ذلك ممار فليُنظر إلى أشعار علماء الأدب  
الذين كان يشار إليهم حتى يعلم صحّة ما ذكرته . هذا ابن دُرَيْد قد قيل انه أشعر علماء الأدب  
وإذا نظرت إلى شعره وجدته بالنسبة إلى شعر الشعراء المجيدين منحطا مع أن أولئك الشعراء  
لم يعرفوا من علم الأدب عشر معشار ما علمه وهذا أبو العتاهية كان في غرة الدولة العباسية  
وشعراء العرب إذ ذاك كثيرون وكانت مدائحهم في المهدي بن المنصور وإذا تأملت شعره  
وجدته كالماء الجاري رقة ولطافة وسبكا وليس بركيك ولا واه وكذلك أبو نواس وبهذا قدّم  
على معاصريه من الشعراء وناهيك ما جمعه عصره من فحول الشعراء ويكفي منهم مسلم بن الوليد  
الذي كان فارس الشعر وله الأسلوب الغريب العجيب فيه غير أنه كان ينتقده في أكثر ألفاظه .

ويحكى أن أبا نواس جلس يوماً إلى بعض التجار ببغداد هو وجماعة من الشعراء فاستسقى ماء فلما شرب قال «عذب الماء وطابا» ثم قال لمن معه من الشعراء أجزوه فأخذ أولئك الشعراء يترددون في إجازته وإذا هم بأبي العتاهية فقال لهم ما شأنكم مجتمعين فقالوا الأمر كيت وكيت وقد قال أبو نواس «عذب الماء وطابا» فقال أبو العتاهية «حبذا الماء شراباً» فمجبوا لقوله على الفور من غير تلبث. وكل شعر أبي العتاهية كذلك سهل وهالك من ذلك بعض قصيدته التي يمدح فيها المهدي

أنته الخلافة منقادة \* إليه تجرر أذيالها  
فلم تك تصلح إلا له \* ولم يك يصلح إلا لها  
ولو رامها أحد غيره \* لزلزلت الأرض زلزالها  
ولو لم تطعمه بنات القلوب \* لما قبل الله أعمالها

ويحكى أن بشاراً كان شاهداً عند أنشاد أبي العتاهية هذه الأبيات فلما سمع المديح قال لمن حواليا انظروا إلى أمير المؤمنين ألم يطر طرباً عن أريكته لما قد أتاه به هذا الكوفي ولعمري إن الأمر كما قال بشار إذ خير القول ما أسكر السامع حتى ينقله عن حالته سواء كان في مديح أو غيره. وإعلم أن هذه الأبيات المشار إليها ههنا من رقيق الشعر وقد أجمع على استحسانها الشعراء من أهل ذلك العصر ومع هذا فإنك تراها من السلاسة واللطافة على أقصى الغايات وهذا هو الكلام الذي يسمى بالسهل الممتع فتراه يطعمك ثم إذا حاولت الاتيان بمثله راغ عنك كما يروغ الثعلب وهكذا ينبغي أن يكون من خاض في الكتابة فإن خير الكلام ما دخل الأذن بغير إذن. ومثله قوله في إيثار الباقية على الفانية

المرء آفته هوى الدنيا \* والمرء يطغى كلما استغنى  
إني رأيت عواقب الدنيا \* فتركت ما أهوى لما أخشى  
فكرت في الدنيا وجدتها \* فاذا جيع جديدها يبلى  
وبلوت أكثر أهلها فاذا \* كل أمرئ في خيره يسي  
ولقد بلوت فلم أجد سبياً \* بأعز من قنص ولا أعلى  
لا تغبطن فتى بمصيبة \* لا تغبطن عداً أخا التقوى  
ولقد مررت على القبور فما \* ميزت بين العبد والمولى  
ما زالت الدنيا منقصة \* لم يخل صاحبها من البلوى  
دار الفجائع والهجوم ودار الـ \* بؤس والأحزان والشكوى  
بيننا الفتى فيها بمنزلة \* إذ صار تحت ثرابها ملقى  
تقفو مساوئها محاسنها \* لاشيء بين النعي والبشرى  
ولقل يوم ذرّ شارقه \* إلا سمعت بصاحب يُنعى

لا تعبتن على الزمان فما \* عند الزمان اعاتب عتبي  
 ولئن عتبت على الزمان لما \* يأتي به فقلل ما ترضى  
 سبحان من لا شيء يعدله \* كم من بصير قلبه أعمى  
 ولئن بكيت لرحلة عجبلا \* نحو القبور فثناها أبكى  
 ولئن قنعت لتظفرن بما \* فيه الغنى والراحة العظمى  
 ولئن رضيت على الزمان فقد \* أرضى وأغضب قلبك النوكى  
 ولقل من تصفو خلاقه \* ولقل من يصفو له المخيا  
 ولرب مزحة ناطق برزت \* من لفظه وكأنها أفعى  
 والمرء مسترعى أمانته \* فليرعها بأصح ما يرعى  
 عجيبا عجيت لطالب ذهبها \* يفنى ويرفض كل ما يبتقى  
 من أصبحت دنياه غايته \* فتق ينال الغاية القصوى  
 حقا لقد سعدت وما شقيت \* نفس امرئ رضيت بما تعطى  
 يا بني الدار المعد لها \* ماذا عملت لدارك الأخرى  
 ومحمد الفرس الوبرة لا \* تغفل فراش الرقعة الكبرى

وغاية الغايات في السهولة وزيادة الانسجام الأبيات الآتية لأبي الأسود الدؤلي من قصيدة  
 طويلة غراء

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه \* فالقوم أعداء له وخصوم  
 وترى الليب محسدا لم يجترم \* شتم الرجال وعرضه مشتوم  
 فترك مجارة السفينه فانها \* ندم وغب بعد ذاك وخيم  
 واذا جريت مع السفينه كما جرى \* فكللا كما في جربه مذموم  
 لا تكلمن عرض ابن عمك ظالما \* فاذا فعلت فعرضك المكلوم  
 وترى الخلي قير عين لاهيا \* وعلى الشجي كآبة وهموم  
 واذا طلبت إلى كريم حاجة \* فلقاؤه يكفيك والتسليم  
 فاذا رآك مسلما ذكر الذي \* حملته فكأنه محتوم  
 واذا طلبت إلى لئيم حاجة \* فألح في رفق وأنت مديم  
 والزم قبالة بيته وفناءه \* بأشد ما لزم الغريم ضميم  
 وعجبت للدينا ورغبة أهلها \* ومتاعها نزر وليس يدوم  
 أراك أمرا ترجو من الله عفوه \* وأنت على ما لا يجب مقيم  
 يا أيها الرجل المقوم غيره \* هلا لنفسك كان ذا التقويم  
 تصف الدواء لندي السقام وذو الضي \* كما يصح به وأنت سقيم

إبدأ بنفسك فأنهها عن غيرها \* فإذا انتهت عنه فأنت حكيم  
 فهناك يسمع ما تقول ويشفي \* بالقول منك وينفع التعليم  
 لانه عن خلق وتأني مثله \* عارٌ عليك إذا فعلت عظيم  
 فإذا تأملتَها وجدتها كمرّ النسيم على عذبات أغصان وكلؤلؤات طلّ على طرر ريحان وليس  
 فيها كلمة غريبة يحتاج الى استخراجها من القاموس من له أدنى إلمام في اللغة ولكن هذه  
 طريقة سهلة وعمرة قريبة بعيدة لا يستطيع سلوكها إلا القليل من الناس  
 وبعد هذا فاعلم أن الالفاظ تجري من السمع مجرى الاشخاص من البصر فالالفاظ الجزلة  
 تخيل كأشخاص عليها مهابة ووقار والالفاظ الرقيقة تخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين  
 أخلاق ورقة مزاج ولهذا ترى كلمات أبي تمام كأنها رجال فرسان قد ركبوا  
 خيولهم وتقلدوا سلاحهم وتأهبوا للطراد وترى كلمات البحتري كأنها نساء حسان عليهن  
 حلل مصبغات وقد تحمين بأصناف الحلبي \* وإذا أمعنت نظرك فيها ذكرته ههنا وجدتي قد دلتك  
 على الطريق السوي بضرب هذه الامثال المناسبة

## فصل

﴿ في أركان الانشاء وفيه مقدمة وثلاثة مباحث ﴾

### ( المقدمة )

اعلم ان أركان الإنشاء التي يجب على كل كاتب مراعاتها ثلاثة. الاول ان يكون ابتداء كلامه  
 وانهاؤه عليهما رقة وطلاوة فان الكاتب البليغ من أجاد المطالع والمقطع . والثاني ألا يخرج مما  
 ابتدأ به الى المقصود ولا ينتقل من معنى الى آخر إلا برابطة لطيفة تجعل بعض الكلام أخذاً  
 برقاب بعض بحيث لا يشعر السامع بالانتقال . والثالث أن تكون الكلمات جزلة المعنى مأنوسة  
 الاستعمال متقنة السبك غريبته بحيث تشنف الآذان وتسحر الاذهان ويظن سامعها انها غير  
 ما في أيدي الناس وهي مما في أيديهم وهناك معترك الفصاحة الذي تظهر فيه العقول شجاعتهما  
 إذ هو موضع بعيد المثال كثير الاشكال يقتضي من لطف الذوق ودقة الفكر درجة عالية  
 لا يرتقي اليها الا العدد القليل من أرباب الاقلام

### ( المبحث الاول في الافتتاح )

حقيقة الافتتاح ان يجعل الكاتب مطلع كلامه دالاً على المعنى المقصود منه إن فتحا ففتح  
 وان هناه فهنا وهكذا . وفأدته أن يعرف من بدء الكلام ما المراد به والقاعدة التي يبني عليها .

فيجب على الشاعر اذا نظم قصيدة أن ينظر الى نوع ما يريد ان كان مديحا صرفا لا يختص  
بحادثة من الحوادث فهو مخير بين ان يفتحها بتشيب أو لا يفتحها به بل يرجل مديحه  
ارجالاً من أول القصيدة كقول القائل

ان حارت الالباب كيف تقول \* في ذا المقام فعذرهما مقبول  
سامع بفضلك مادحيك فما لهم \* أبدا الى ما تستحق سبيل  
ان كان لا يرضيك إلا محسن \* فالمحسنون اذا لديك قليل

اما اذا كان في حادثة من الحوادث كفتح مدينة او هزيمة جيش او غير ذلك من الامور المهمة  
ذات الجد فانه لا ينبغي ان يبدأ فيها بتشيب وان أتى به دل ذلك على ضعف قريحته وقصوره  
عن الغاية التي رمى اليها . وذلك لان التشيب رقة محضة وأمر هزلي ليس عليه كبير معول  
فلا يليق ان يؤتى به في نحو الحوادث المشار اليها لما بينه وبينها من التضاد فضلا عن ان الاسماع  
تطلع في تلك الحوادث الى ما يقال فيها من صواعق الالفاظ ونخيمها وتشتاق الى الحوض  
في ذكرها ولا تنبالي بالتشيب لأنه غير مناسب في هذه المواضع . ومن شروط الافتاح ألا يأتي  
الشاعر في قصيدة مدح بما يتشاهم منه وهذا يرجع الى أدب النفس لا الى ادب الدرس فينبغي  
ان يحتز منه في مواضعه كوصف الديار بالدثور والنازل بالعفاء وغير ذلك من تشتت الآلاف  
وذم الزمان ولا سيما اذا كان في التهامي فانه يكون أشد قبحا وانما يستعمل ذلك في الخطوب  
النازلة والنوائب الحادثة ومتى كان الكلام في المديح مفتوحا بشيء من ذلك تطير منه سامعه .  
وانما خصت الابتداءات بالاختيار لانها أول ما يطرق السمع من الكلام فاذا كان لائقا بالمعنى  
الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه . ومن قبيح الابتداءات في المدح قول ذي الرمة  
« مابال عيناك منها الماء ينسكب » لان مقابلة الممدوح بهذا الخطاب لاشك في قبحها وكرهتها  
وكذلك يستقبح قول البحري في الموضوع المذكور « فواد ملاء الحزن حتى تصدعا » فان ابتداء  
المديح بمثل هذا طيرة ينبو عنها السمع وهو أجدر بأن يتبدأ به مرثية لامديح ولا أعلم كيف يخفى  
هذا على مثل البحري وهو من الشعراء المفلقين . ويحكى انه لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان  
جلس وجمع أهله وأصحابه وأمرهم ان يخرجوا في زيتهم فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم  
فاستأذن إسحق بن ابرهيم الموصلي في الانشاد فأذن له فانشد شعرا حسنا أجاد فيه إلا أنه  
فتحه بذكر الديار وعفاها فقال

يادار غيـرك البلى ومحاك \* ياليت شعري ما الذي أبلاك

فتطير المعتصم بذلك وتغامر الناس على اسحق وتساءلوا كيف ذهب عليه مثل هذا مع معرفته  
وعلمه وطول خدمته لاملوك . ومثل هذا ما وقع لأبي نواس في قصيدته التي أولها

يادار ما فعلت بك الايام \* لم يبق فيك بشاشة تستام

فانها من أشرف شعره واعلاء منزلة وهي مع ذلك مستكرهة الابتداء لانها في مدح الخليفة

الأمين وافتتاح المديح بذكر الديار ودثورها مما يتطير منه ولا سيما في مشافهة الملوك . ولهذا يختار في ذكر الأماكن والمنازل ما رقى لفظه وحسن النطق به مثل قول أشجع السلمي

قصر عليه تحية وسلام \* خلعت عليه جمالها الايام

واعلم انه ليس من شرط الابتداء ألا يكون مما يتطير منه فقط فان من الابتداءات ما يستتبع وان لم يتطير منه كقول أبي تمام «ثقي جيحاتي لست طوع مؤتبي» وكقول المتنبي «أقل فعالي به أكثره مجد» والعجب ان هذين الشاعرين يتبدآن بمثل ذلك ولهما من الافتتاحات الرنانة كل ما رقى وراق . أما أبو تمام فانه مدح المعتصم عند فتحه مدينة عمورية عاصمة بلاد اليونان في ذلك الزمان بقصيدة ابتدأها بقوله

السيف أصدق إنباء من الكتب \* في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب  
بيض الصفائح لاسود الصحائف في \* متوننّ جلاء الشكّ والريب  
أين الرواية أم أين النجوم وما \* صاغوه من زخرف فيها ومن كذب  
تحرّصاً وأحاديثاً ملفقة \* ليست ينبع اذا عدّت ولا غرب

وهذه الابيات لها قصة وذلك انه لما حصر المعتصم مدينة عمورية زعم أهل النجامة أنها لا تفتح في ذلك الوقت وأفاضوا في هذا حتى شاع الكلام عنهم وصار أحدوثه بين الناس فلما فتحت بنى أبو تمام مطلع قصيدته على هذا المعنى وجعل السيف أصدق من الكتب التي أخبرت بامتناع المدينة واعتصامها وهذا من أحسن ما يأتي في هذا الباب . وكذلك قوله في أول مرثية

أصمّ بك الناعي وان كان أسماً \* وأصبح معنى الجود بعدك بلقماً

وأما المتنبي فانه أكثر من الابتداءات الحسنة في شعره . منها قوله في قصيدة يمدح بها كافوراً وكان قد جرت بينه وبين سيده نزعة ثم تصالحا فبدأ قصيدته بذكر الغرض المقصود فقال

حسم الصلح ما شتهه الأعدى \* وأذاعته السن الحساد

وهذا من بديع الابتداء ونادره . وكذلك ورد قوله في سيف الدولة وكان القائد شمشيق اليوناني قد حلف ليدقنه كفاحاً فلما التقيا لم يطق ذلك وولّى هارباً فافتتح المتنبي قصيدته بفتحجوى الامر فقال

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم \* ما ذا يزيدك في إقدامك القسم  
وفي اليمين على ما أنت واعده \* ما دل أنك في المعاد متمهم

### المبحث الثاني في التخلص

حدد هذا النوع أن يأخذ المتكلم في معنى من المعاني فلا ينتقل منه الى غيره إلا برابطة تجعل ما هو فيه سبباً لما انتقل إليه حتى يكون بعض كلامه آخذاً ببعض كأنما أفرغ في قالب واحد وذلك مما يدل على حدق الشاعر وقوة تصرفه لكون نطاق الكلام يضيق عليه ويكون تابعاً .

لاوزن والتأفية فلا تواتيه الكلمات على حسب إرادته وأما النثر فإنه مطلق العنان يمضي حيث يشاء فلذلك يعسر التخلص على الشاعر أكثر منه على النثر . ولقد تصرف الشعراء في التخصصات وعالجوها حتى أجادوها وأظهروا منها كل غريبة . فمن ذلك قول أبي تمام يقول في قومسي حبي وقد أخذت \* منا السرى وخطا المهرية القود أمطلع الشمس تبني أن تؤمّ بنا \* فقلت كلا ولكن مطلع الجود وهذان البيتان من جيد ما يأتي في هذا الباب ونادره . ومن ذلك أيضا قول المتنبي في قصيدته الدالية خليلي اني لا أرى غير شاعر \* فكم منهم الدعوى ومني القصائد فلا تمجبا إن السيوف كثيرة \* ولكن سيف الدولة اليوم واحد وهذا هو الكلام الآخذ بعضه برقاب بعض . ألا ترى أنه خرج إلى مدح الممدوح في هذه الابيات برابطة صيرته كأنما أفرغ في قالب واحد . وكذلك قوله أيضا وهو من أحسن ما أتى به من التخصصات في قصيدته الثامنة

ومطالب فيها الهلاك أيتها \* تبّت الجنان كأنني لم آتيا  
ومقانب بمقانب غادرتها \* أقوات وحش كن من أقواتها  
أقبلتها غرر الحيات كأنما \* أيدي بني عمران في جبهاتها  
الثابتين فروسة كبلودها \* في ظهرها والطعن في لبثاتها  
فكأنها نتجت قياماً تحتهم \* وكأنهم ولدوا على صهواتها  
تلك النفوس الغالبات على العلى \* والمجد يغلبها على شهواتها  
سقيت منابها التي سقت الورى \* بيدي أبي يوب خير نباتها

فانظر الى هذين التخلّصين البديعين الأول وهو قوله كأنما أيدي بني عمران خرج به إلى مدح قوم الممدوح والثاني وهو قوله سقيت منابها إلى آخره خرج به إلى مدح نفس الممدوح وقد أغرب في كليهما كل الاغراب

ومما يستظرف من هذا في الشعر قول الطاهر الجزري

وليل كوجه البرقعدي مظلم \* وبرد أغانيه وطول قرونه  
سريت ونومي فيه نوم مشرد \* كعقل سليمان بن فهد ودينه  
على أولق فيه التفات كأنه \* أبو جابر في خطبه وجنونه  
الى أن بدا ضوء الصباح كأنه \* سنا وجه قرواش وضوء عينه

وهذه الابيات لها حكاية وذلك أن هذا الممدوح وهو شرف الدولة قرواش ملك العرب كان قد جلس مع ندمائه في ليلة من ليالي الشتاء وفي جملتهم البرقعدي مغنّيه وسليمان بن فهد وزيره وأبو جابر حاجبه فالتمس شرف الدولة من هذا الشاعر أن يهجوهم ويمدحه فأنشد هذه الأبيات ارتجالا وهي غريبة في بابها لم يسمع بمثلمها ولم يرض قائلها بصناعة التخلص

وحدها حتى ارتقى في معانيه المقصودة الى أعلى منزلة فابتدأ البيت الأول بهجو البرقيدي فأتى في ذمّه بذكر أوصاف ليل الشتاء جميعها وهي الظلمة والبرد والطول ثم ان هذه الأوصاف الثلاثة جاءت ملائمة لما شبت به . مطابقة له وكذلك البيت الثاني والثالث ثم خرج الى المدح بالطف وجه وأدق صنعة وما سمع في هذا الباب بأحسن من هذه الأبيات .  
 ومما يجري على هذا الأسلوب ماورد لابن الحجاج البغدادي وهي هذه الابيات  
 ألا ياماء دجلة لست تدري \* بأنني حاسد لك طول عمري  
 ولو أنني استطعت سكرت سكرًا \* عليك فلم تكن ياماء تجري  
 فقال الماء ما هذا عجيب \* بما استوجيته ياليت شعري  
 فقلت له لأنك كل يوم \* تمر على أبي الفضل بن بشر  
 تراه ولا أراه وذاك شيء \* يضيق عن احتمالك فيه صبري  
 وليس من شيء أطف ولا أرق ولا أعذب ولا أحلى من هذا الكلام حتى يكفي ابن الحجاج  
 من الفضيلة أن يكون له هذه الأبيات  
 (المعروف مستعينا بابنه الصغير)

### المبحث الثالث في الختام

اعلم أنه يجب على الناثر والشاعر أن يتأنقا في خاتمة كلامهما غاية التأنق ويبذلا جهدهما في تحسينها ويميزاها عن باقيه بعبارة عذبة وأسلوب رشيق ومعنى بليغ فيختاران لها من الالفاظ أعذبا ومن التراكيب أجودها ومن المعاني أرقها ومن النكات أدقها ويتجنبان فيها الإسهاب الممل والايجاز المخل إذ هي آخر ما يرد على السمع ويتردد في الفكر وربما تحفظ دون غيرها من بقية الكلام . فان كانت مهذبة حسنة مرت على ما سبق من العيوب التي وقعت في الكلام فحتمها وأكسبته رونقا وجمالا وان كانت ساقطة مسهجنة وضعت قدره وضعت ما فيه من المحاسن فهي كآخر ما يمر بالضم ويعرض على الذوق من الشراب فان كان عذبا صافيا أذهب مرارة ما قبله وأكسب الشارب طمعا لذينا وان كان مرًا كدرا عاد على الأول فأزال حلاوته ومرر عذوبته إذ من المعلوم ان كل نال يمححو آثار سالفه ويحسن أن تكون مؤذنة بالانتهاء حتى لا ينتظر السامع شيئا آخر بعدها فان لم يوجد في المعنى المراد ما يفيد ذلك انتزع منه ما يدن عليه ثم ان وافق حكمة أو مثلا سائرا أو ماشا كلهما كان في غاية الجودة ودل على بلاغة المتكلم وقدرته على التفنن في الكلام وسعة اطلاعه ومعرفته بأنواع التعابير وهذا من أوعر المسالك والظافرون بقلائده قليون لعزته وامتناعه .  
 إلا أنه في الشعر وما يماثله كالمقامات أسهل منه في غيرها . ومن أمثله في الشعر قول المتنبي  
 في مواضع مختلفة

وما أخضت في براء بتهئة \* اذا سلمت فكل الناس قد سلموا  
فلا حطت لك الهيجاء سرجا \* ولا ذقت لك الدنيا فراقا  
أتم سمك من أعطاك أوله \* ولا استرد حياة منك معطيها  
وقول ابن الوردي

سلام عليكم ما أحب وصالكم \* وغاية مجهود المقل سلام  
ومن أمثله في النثر قول الزمخشري في مقالة « ومن جاء بالدعوة يخفيها ويخاف المدعو فيها فيألفها  
مُحكِّمة ذات نيرين مشرقة ذات نورين قد أخرجتها الخفية من باب الرئاء وأدخلتها الخيفة  
في باب الاتقاء ولكن الناس عن التحقيق رقاد والنظر الصحيح بينهم مفقود » وقول القاضي  
محبي الدين بن عبد الظاهر في ختام صورة عهد للملك الأشرف صلاح الدين خليل « والله  
تعالى يجعل استخلافه هذا للمتقين إماما وللمعتدين انفصاما ويطنق بقاء سيوفه نار كل  
خطب حتى تصبح كما أصبحت نار سميته بردا وسلاما » وقول البديع الهمذاني في ختام  
رسالة « وللشيخ الرئيس في تشريفي بالجواب وتعريفني بسار الأخبار وتكليفني سوانح الأوطار  
وتصريفني على الأمر والنهي رأيه الموفق ان شاء الله تعالى » وقول ابن حجة الحموي في  
ختام رسالة « فاعاذ الله مولانا وبلادنا من هذه القيامة القائمة ورزقه في الدنيا ببراعة الأمن  
وفي الآخرة بحسن الخاتمة » وكثيرا ما يعتمد المؤلفون الى الاختصار فيختصمون كلامهم المنشور  
بنحو قولهم والسلام أو ودمتم أو والحمد لله أو والله المستعان وبه التوفيق أو ونسأل الله الكمال  
في جميع الأعمال أو ولا حول ولا قوة إلا بالله  
وفي هذا القدر من الأمثلة على الختام غنية للمتعلم التجيب والله الموفق

### فصل في السجع

السجع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من النثر وهو نوع من المحسنات البديعية يرتاح  
إليه النفوس تمام الارتياح لما فيه من العذوبة وحسن الموقع ومنزته بديهية يدركها كل ذي  
ذوق سليم فان الانسان اذا اطلع على كتابتين في غرض واحد ودرجة واحدة من البلاغة  
إحداها نثر مسجع والأخرى مرسل يستحسن الأولى ويميل اليها ويتأثر بها وينقاد لآراء  
صاحبها أكثر من الثانية وهو كأنه طبيعي في الناظرين بالضاد فاننا نشاهد الكثيرين من عوامهم  
وصغار أولادهم الذين يتلقون مبادئ العلوم وليس عندهم من موجبات الأحكام وتفضيل ذا  
على ذاك إلا مجرد الإدراك الفطري يتساقون الى التكلم بالعبارات المسجعة ويهشون الى استماعها  
والإنشاء عليها ونرى السواد الأعظم من أئمة لغتهم وأرباب الفصاحة منهم في الجاهلية وبعدها  
قد طوقوا أجياد كلامهم بدرره على ان جمهور العصرين اذا أرادوا ان يتقنوا تأليف مقالة  
في أي غرض جعلوها بحلل السجع لعلمهم انه هو الذي يطرب الأسماع ويعجب العقول .

ولكن لما تعذر على أناس سلوك طريقه وعجزوا عن ورود منه بل رحيقه لضعف قريحتهم وقلة بضاعتهم أقبلوا على تقييده ولم يفرقوا بين فاسده وصحيحه ولذا نراهم اذا وقفوا على شاطئ بحره ومدوا أيديهم الى الاغتراف من عذب مياهه اضطروا الى ارتكاب التكلف والحشو والخروج عن مقتضى الحال وغير ذلك من معايب الانشاء وكان سجعهم هو محل انكارهم والمقصود بتقييدهم . والعجب من جرائتهم على ذلك وهم يجدونه كثيرا فيما لا يقدر على إنكار بلاغته من فصيح الكلام كالقرآن ونهج البلاغة وجميع المقامات وحلّ رسائل الفحول وأغلب خطب البلغاء

وكم من عائب قولاً صحيحاً \* وآفة من الفهم السقيم

أما ما استوفى الشروط المعتبرة للكلام فهو روضة غناء تتنزه فيها عقول الأبداء غير أنه مقام بعيد المنال لا يصل اليه إلا القليل من أساطين الرجال لما يستلزمه من رقة اللفظ واجادة السبك ودقة النظر وسلامة الفكر وحسن الاختراع وعدم التكرار . ومما يدل ذلك أيضا على أفضلية السجع انه يغتفر فيه صرف ما لا ينصرف وقصر الممدود وتخفيف المشدد وتسكين المتحرك الى غير ذلك مما يغتفر في الشعر بل الجوائز هنا أكثر فيجوز تغيير الكلمات عن أصل وضعها اتباعا لها بغيرها لقصد الازدواج كقولهم « آتيك بالغدواء أو المشاء وهنأني الطعام ومرأني وانصرفن مأزورات غير مأجورات وأُعِيْذُه من الهامة والسامة وكل عين لامة » يزيدون الغدوات لأنه جمع غداة وأمرأني لأنه من الإمراء وملمة لأنه اسم فاعل من ألم وموزورات من الوزر وإنما عدلوا عن الأصل طلبا للتوازن والمجانسة اللفظية

وله ثلاث طبقات عليا ووسطى وسفلى فالأولى أن تكون الفقرتان متساويتين لا تزيد احدهما على الأخرى في عدد الكلمات . والثانية أن تكون الفقرة الثانية أطول من الأولى طولا لا يخرجها عن الاعتدال وإلا فيعد معيبا . ويستثنى من هذا القسم ما كان من السجع على ثلاث فقر فان الفقرتين الأولىين تحسبان كأنهما فقرة واحدة ثم تأتي الثالثة فيجوز أن تكون بقدرها أو تزيد عليهما يسيرا فاذا كانت الأولى أربع كلمات والثانية مثلها جاز أن تطول الثالثة الى عشر كلمات أو إحدى عشرة . الثالثة أن تكون الثانية أقصر من الأولى وهو عيب عظيم يجب اجتنابه لأن السجع يكون قد استوفى أمده من الطول في الأولى ثم تجيء الثانية قصيرة عنها فتكون كالشيء المتبور ويبقى السامع عندها كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها . وهو ثلاثة أقسام مطرف وهو ما اختلفت فاصلته في الوزن نحو « الانسان بأدابه لا بزيه وثيابه » ومتواز وهو ما اتفقت فيه كقول بعضهم في هلاك الأعداء « أصبحوا جزر السباع والطيور وراحوا غنيمة الدمار والدهور » ومرصع وهو ما تطابقت فيه ألفاظ الفقرتين أو أكثرها وزنا وتقفية نحو « عليّ يطبع الأسجاع بجواهر لفظه وعديّ يقرع الأسماع بزواجر وعظه » وإن الأبرار لفي نعم وإن الفجار لفي جحيم »

وإذا انتهت الى هنا وبينت طبقات السجع وأقسامه وآبته وقصره فأقول فيه قولاً كافيًا وهو ان السجع على اختلاف أقسامه ضربان قصير وهو ما تألفت كل واحد من فقرتيه من كلمتين كلمتين أو أكثر الى عشر وطويل وهو ما تألفت مما يزيد على ذلك غير أنه كلما قلت ألفاظ الفقر ازداد السجع حسنا لقرب الفواصل المسجوعة من بعضها وتناثرها على سمع السامع



## باب

### في العقل والعلم

#### فصل في العقل

العقل قوة من قوى النفس تعرف بها حقائق الأمور وقد أجمع المحققون على أن مركزه الدماغ وله اتصال بالقلب وينقسم الى قسمين وهيبي وهو ما يخلفه الله في الانسان وكسبي وهو ما يستفاد بالتجارب . قال سابور بن ازدشير «العقل نوعان مطبوع ومسموع ولا يوجد المسموع إلا بالمطبوع» وقد نظم هذا المعنى بعض الشعراء بقوله

رأيت العقل نوعين \* فطبوع ومسموع

ولا يوجد مسموع \* اذا لم يكن مطبوع

ولكل منهما درجات فترى بعض الناس يفهم سريعاً بدون عناء وبعضهم لا يفهم إلا بعد زمن مديد وكذا مزيد وهذا يعرف أموراً كثيرة وذلك لا يدري إلا الليسر كل على حسب درجة عقله ومقدار اختياره . وهو يقسمه أفضل هبة يهبها الخالق للمخلوق فانه يدعو صاحبه الى اكتساب الفضائل ويحمله على اجتناب الرذائل به يكشف حجب الظلمات عن محيّا المشكلات ويبرز عرائس الأفكار في حليّ الفاخر ويمزق ستور ما خفي على الأوائل فيظهر جلياً للأواخر ويحيي بالبدايع ويبتكر العلوم والصنائع ويهبط الى البحار ويسبر الأغوار ويرتفع الى الكواكب ويطلع على ما هنالك من العجائب ويقهر الأكوان لإرادته ويجبرها على الاعتراف بسيادته فهو قائد لا يُظهر عليه وحسن لا يوصل اليه به يكمل الانسان ويمتاز عن بقية الحيوان . قال الشاعر

وأفضل قسم الله للمرء عقله \* فليس من الخيرات شيء يقاربه

ترين الفتى في الناس صحة عقله \* وان كان محظوراً عليه مكاسبه

وشين الفتى في الناس قلة عقله \* وان كرمت أعراقه ومناسبه

إذا أكمل الرحمان للمرء عقله \* فقد كملت أخلاقه ومآربه

وقال آخر

العقل حانةٌ نخرٍ من تسربلها \* كانت له نسيباً تغني عن النسبِ  
والعقل أفضل ما في الناس كلهم \* بالعقل ينجو الفتي من حومة الطلب  
وقال حكيم «العقل أشرف الاحساب وأكرم الألقاب» وقال الشاعر

يعدّ رفيع القوم من كان عاقلاً \* وان لم يكن في قومه بحسب  
إذا حلّ أرضاً عاش فيها بعقله \* وما عاقل في بلدة بغريب

قال بعض الحكماء «الحاجة إلى العقل أشد من الحاجة إلى المال» وقال أبو شروان «العقل في جسد الانسان كالرطوبة في الشجرة لأن الشجرة ما دامت رطبة كان الناس من ظلها ونشر أزهارها وطيب أثمارها ونضارتها في نزهة وفرحة فاذا جفت رطوبتها زالت نضارتها فلا تصلح حينئذ لسوى القاع والإحراق» وقيل لبزرجهتر أي الأشياء خير للمرء قال «عقل يعيش به وان لم يكن فأخ يرشده وان لم يكن فما يحبب به إلى الناس وان لم يكن فصمت يستر عيوبه وان لم يكن فتوت عاجل يريجه ويريج منه» وكلما زاد العقل زاد صاحبه فضلاً لأن الزيادة فيه زيادة علم بالأمر توجب اصابة الظنون ومعرفة ما لم يكن إلى ما يكون. قيل في منشور الحكم «أفضل الناس أعتقهم» ولا يكمل العقل إلا إذا استند إلى دعائم الدين واهتدى بنوره القويم وإلا كان سلاحاً مؤذياً لمن تقلده وأمسى صاحبه خطراً لأهل زمانه مضالاً لهم عن طريق الهدى مفضياً بهم إلى مهاوي الردى فان الحسن عندهم ما فعله والقيبح ما تركه عيوبهم معقودة بعيوبه وإصلاحهم باصلاحه إن زلّ زلّوا وان نهض نهضوا . قال بعض الفلاسفة «ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة وركب البهائم من شهوة بلا عقل وركب ابن آدم من كليهما فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته على عقله فهو شر من البهائم»

ومن آيات العقل ان يكون صاحبه ذا رأي سديد وفعل حميد وقد انحصر بعض الأدباء صفات العاقل والأحقق بقوله «العاقل اذا والى بذل في المودة جهده واذا عادى رفع عن الظلم نفسه فيسعد مواليه بعقله ويمصم معاديه بعقله واذا أحسن إلى أحد ترك المطالبة بالشكر واذا أساء إليه مسيء التمس له العذر . وأما الأحقق فهو ضال مضل ان أواس تكبر وان أوحش تكدر وان استنطق تخلف وان أهمل تكلف مجالسته مهنة ومقابله محنة محاورته تغرّ وموالاته تضرّ ان أساء إلى انسان ظنّ أساءته حسنة فيطالبه بالشكر وان أحسن إليه ظنّ حسنته سيئة فيخاف منه الوتر فماويه ليس لها عدوّ وعيوبه غير منتهية إلى حدّ لا يرجى خيره ولا يؤمن شره وهو كالفضار لا يرقع ولا يشعب» قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به \* إلا الحماسة أعيت من يداويها

ثم ان العقل الكسبي لا ينفك عن العقل الوهبي لأنه نتيجةه فان وجد وإلا فلا . ويزيد بطول

الأعمار ومزاولة الأمور بالاختبار ولذلك حمدت العرب عقول المتقدمين في السن حتى قال بعضهم «الشايع أشجار الوقار ومنايع صحيح الأخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم ان رأوك في قبيح صدّوك أو في ملبس أمّدوك» وقيل في منشور الحكم «لا تدع الأيام امراً إلا أدبته» وقيل فيه أيضاً «من طال عمره تأخرت قوة بدنه وتقدّمت قوة عقله» ومع هذا فقد يتفق ان بعض الأحداث يكون أوفر عقلاً من الأشيخ اذ لا مانع من ان الله يعطي الصغير أكثر مما اعطاه الكبير وربما يستفيد امرؤ في ساعة أكثر مما يستفيدة غيره في سنة. قال الشاعر

رأيت العقل لم يكن انتهاها \* ولم يقسم على عدد السنينا

لو ان السنين تقاسمت \* حوى الآباء أنصبة البنينا

ويؤيد ذلك اننا نرى من بعض الصغار أقوالاً وأفعالاً يعجز عنها كثير من الكبار. حكي الاصحمي انه قال مرّة لولد صغير «أيسر لك ان يكون لك مئة ألف درهم وانت أحق فاجابه بقوله لا والله فقال ولم ذلك قال أخاف ان يحبني عليّ حمقي جنابة تذهب بمالي ويبقى هو لي فانظر الى هذا الولد النجيب كيف استنبط بجودة عقله ما لعله يدقّ على من هو أكبر منه سناً وأكثر تجربة. وأعجب من هذا ما حكاه ابن قتيبة ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مرّ يوماً بصبيان يلعبون وفيهم عبدالله بن الزبير فلما لمحوه مقبلاً هربوا من وجهه على عادة الصغار إذا رأوا غريباً أو كبيراً عظيماً المنزلة إلا عبدالله فانه وقف فلما قرب منه الأمير قال له «مالك لم تهرب مع رفقاتك فقال يا أمير المؤمنين لم أك على ريبة فأخاف سطوتك ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك» فتعجب عمر من هذا الجواب وما تضمنه من شدة الفطنة وبديع البديهة حيث نفى عن نفسه اللوم وأثبت لها الحجة بما لم يكن في قدرة عدّة من المسنين. وروى كمال الدين الحلبيّ قال «كان ولد من أعراب البدو يسمّى الركاض متوقد الدهن تلوح عليه لوائح النجابة وشدة الفهم من نعومة أظفاره فأدخل يوماً وهو ابن أربع سنين الى الرشيد ليتعجب من فطنته فقال له ما تحب ان أهبطك . قال ما يختاره جميل رأيتك فأمر بدنانير ودراهم فصبت بين يديه فقال له اختر الأحب اليك فقال الأحب اليّ أمير المؤمنين وهذا من هذين وأشار بيده الى الدنانير. فضحك الرشيد وأمر بضمّه الى أولاده والقيام بلوازمه» وحكي انه لما تبوأ عمر بن عبدالعزيز عرش الخلافة وفد عليه المهثون من كلّ جهة فتقدّم من وفد الحجازيين لأداء التهئة غلام حديث السن فاستصغره عمر وقال له ارجع أنت وليتكلم من هو أكبر منك سناً. واذا بالفتى قد تحرّكت في قلبه لواعج الشرف وسرت فيه حمية العرب فاحمرّت عيناه كأنهما جمرتان ونطق بأوضح بيان قال «أصلح الله أمير المؤمنين وأيد بعمله حمى الدين إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله العبد لساناً لا فظاً وقاباً حافظاً فقد استحقّ الكلام وان لم يبلغ من العمر إلا بضعة أعوام . ولو ان الامر بالسنّ أيها الامير لكان في الأمتة من هو أحقّ منك بهذا المنصب الخطير» فتعجب عمر من جراته وفصاحته وسأل عن سنّه فاذا هو لم يبلغ إحدى عشرة

سنة فازداد الخليفة تعجباً منه وأشار عليه بالكلام فأخذ الغلام يسحر ألباب الحاضرين ببراعته ومقاله وأدى مراسم التهئة بما دل على كماله

قال بعض الحكماء « من مزايا العقل سرعة الفهم وغايته اصابة الوهم وليس لمن منح جودته عجز عن جواب وان أعضل » كما وقع للإمام عليّ حين سئل كيف يحاسب الله العباد مع كثرة عددهم فقال « كما يرزقهم مع كثرة عددهم » وقيل له ايضاً كم بين الأرض والسماء فقال « دعوة مستجابة » فانظر الى هذين الجوابين ترانهما لا يهينان لكثير من أكابر العقلاء في الزمن الطويل فسبحان مولى النعم يهب ما يشاء لمن يشاء وهو على كل شيء قدير

### فصل في العلم

اعلم ان العلم نتيجة من نتائج العقل يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين . وهو من أشرف ما رغب فيه الراغب وأنفع ما كسبه الكاسب لأن شرفه يعلو بصاحبه ونفعه ينمو عند طالبه . فإذا تمكن المرء من اقتناص أوابده وتضاع من لطيف قواعده أشرفت عليه أنواره البدرية وعبقت لديه روائحه العنبرية فيستدشقها كل إنسان وتعم كل مكان فيظهر لكل أحد ويستمر ذكره على الأبد كتاجر مسك لا يخفى موضع إقامته ولا تجهل جودة بضاعته فيطلب من كل بلدة ومصر ويقابل برسوم الإجلال والبر . تراه وإن كان وضع النسب عديم الورق والذهب يعظم عند الوجهاء ويحترم في مجالس الأمراء . إذا أقبل عليهم قاموا اليه وإذا جلس يجلسون جميعاً بين يديه وإذا نطق أصغت اليه الآذان ومدّت نحوه الأعتاق . وإذا تصفحنا الفضائل التي يتنافس في اقتباسها الامثال لتعرف منازلها في الشرف وتبين مواقعها من مواطن التحف ونعلم أي أحقّ منها بالتقديم وأسبق في استعجاب التمتع وجدنا العلم أولها بذلك وأولها هنالك إذ لا شرف إلا وهو السبيل اليه ولا خير إلا وهو الدليل عليه ولا منقبة إلا وهو ذروتها ولا مفخرة إلا وبه صحتها . قال أبو بكر بن دُرَيْد

العلم مُبْتَاع قوم ذروة الشرف \* وصاحب العلم محفوظ من التلف

يا صاحب العلم مهلاً لا تدنسه \* بالمويقات فما لعلم من خلف

العلم يرفع بيتاً لا عماد له \* والجهل يهدم بيت العز والشرف

وقال أبو الأسود الدؤلي

العلم زين وتشريف لصاحبه \* فاطلب هديت فنون العلم والأدبا

كم سيّد بطل آباؤه نجب \* كانوا الرؤوس فأسمى بعدهم ذنبا

ومقرّف خامل الآباء ذي أدب \* نال المعالي بالأداب والرتبا

العلم كنز وذخر لا فناء له \* نعم القرين اذا ما صاحب صحبا

قد يجمع المال شخص ثم يجرمه \* عما قليل فيبقى الذلّ والحربا

وجامع العلم مغبوط به أبدا \* ولا يحاذر منه الفتوت والسلبا  
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه \* لا تعدلن به درأ ولا ذهباً  
وقال الشَّبراوي

العلم أنفس ذخر أنت ذاخره \* من يدرس العلم تدرس مفاخره  
أقبل على العلم واستقبل مقاصده \* فأول العلم إقبال وآخره  
وقال عبد الله بن محمد البطَّايوسيّ النحوي

أخو العلم حيّ خالد بعد موته \* وأوصاله تحت التراب رميم  
وذو الجهل ميت وهو ماشٍ على الثرى \* يُظنّ من الأحياء وهو عديم

وقال بعضهم

العلم يحيي قلوب الميتين كما \* تحيا البلاد إذا ما جاءها المطر  
والعلم يجاو العمى عن قلب صاحبه \* كما يجلي سواد الظلمة القمير

قال بزرجهر « الجهل هو الموت الأكبر والعلم هو الحياة العزيزة من كثر علمه شرف وإن  
كان غريباً وارتفع وإن كان خاملاً وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيراً » واقتخر عني  
عند بعض الحكماء بشرف الأجداد وزخارف المال المستفاد فقال له الحكميم « أسأت يا هذا فإنه  
إن كان في هذه الأمور نخر ينبغ أن يكون لها لآك وإن كان أجدادك كما ذكرت اشراقاً  
فالنخر لهم لا لك » وقال الشاعر

بالعقل والعلم لا بالمال والذهب \* يزداد رفع الفتى قدراً بلا طلب  
فالعلم طوق النهى يزهو به شرفاً \* والجهل قيد له يُبيليه باللغب  
كم يرفع العلم أشخاصاً إلى رتب \* ويخفض الجهل أشرفاً بلا أدب  
العلم كنز فلا تفتى ذخائره \* والمرء ما زاد علماً زاد بالرتب  
فالعلم فاطلب لكي يجديك جوهره \* كالفوت لا يجسم لا تطلب غنى الذهب

وقال مُصعب بن الزُّبير لآبته « تعلم العلم فإن يكن لك مال كان لك جمالا وإن لم يكن لك مال كان لك  
مالاً » وقال عبد الملك بن مروان لآبته « يا بنيّ تعلّموا العلوم فإن كنتم سادة فقم وان كنتم  
وسطاً سدتم وان كنتم سوقة عشتم » وقال بعض البلغاء « تعلم العلم فإنه يقوّمك ويسدّدك صغيراً  
ويقدّمك ويسوّدك كبيراً ويصلح زينتك وفسدك ويرغم عدوك وحاسدك » وقال الإمام عليّ  
« الناس أبناء ما يحسنون » فأخذته الخليل بن أحمد فنظمه بقوله

لا يكون العليّ مثل الدنيّ \* لا ولا ذو الذكاء مثل الغبيّ  
قيمة المرء قدر ما يحسن المرء \* قضاء من الإمام عليّ

وقال بعضهم

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله \* فأجسامهم قبل القبور قبور

وإنَّ امرأ لم يحى بالعلم قلبه \* فليس له حتى النشور نشور  
وقال بعض الأدباء « كل عز لا يوطئه علم مذلة » وقال بعض علماء السلف « اذا أراد الله  
بأناس خيرا جعل العلم في ملوكهم والملك في علمائهم » وقال بعضهم « العلم خير من المال فان  
العلم حاكم والمال محكوم عليه » وقال ابن المقفع « اذا أكرمك الناس لثروة أو سلطة فلا تغتر  
بذلك لأن إكرامهم يزول بزوالهما » وقال صالح بن عبد القدوس

لاخير فيمن كان خير ثنائه \* في الناس قولهم غني واجد

وليس في إحراز المال فضيلة ولو كانت فيه لأعطاء الله تعالى من اصطفاهم لرسالته واجتباهم  
لنبوته فقد كان أكثر أنبيائه مع ما خصهم به من كرامته وفضلهم على سائر خلقه فقراء .  
وليس يجهل فضل العلم إلا أهل الجهل لأن فضله إنما يعرف به وهذا أبلغ في فضله  
حيث لا يتوصل اليه إلا به . ثم لما عدم الجهال العلم أنكروا فضله واسترذلوا أهله وتوهموا  
ان ما يميل اليه نفوسهم من الأموال المقتناة والطرف المشتهة أولى ان يقبلوا عليها وأحرى ان  
يشتغلوا بها ولا غرو فان من جهل شيئا عاداه . قال أبو بكر بن دريد

جهلت فعاديت العلوم وأهلها \* كذاك يعادي العلم من هو جاهله

وقال يحيى بن خالد لابنه « عليك بكل نوع من العلم نخذ منه ما استطعت فان المرء عدو  
ما جهل وأنا أكره ان تكون عدو شيء من العلوم وأنشده

تفتن وخذ من كل علم فانما \* يفوق امرؤ في كل فن له علم

فان عدو للذي أنت جاهل \* به ولعلم أنت تتقنه يسلم »

واعلم ان كل العلوم شريفة وان كل منها مزينة والإحاطة بجميعها غير ممكنة اذ التعمق فيها  
كالسباح في البحر كلما زاد في السباحة لا يرى أرضا ولا يعرف طولها ولا عرضا فإذا قطع  
المتعلم علما بدا له علم آخر وعليه فيلزم الاشتغال بتحصيل ما هو الأنفع من كل منها . قال الشاعر

ما حوى العلم جميعا أحد \* لا ولو مارسه ألف سنة

إنما العلم بعيد غوره \* نخذوا من كل شيء أحسنه

ومن لم تساعده أوقانه ولم تسعده دنياه على ذلك وجب عليه الاهتمام بأشرفها نتيجة وأعظمها  
خطرا وأكثرها منفعة وهو علم الدين لأن به تستقيم أمور الدنيا والآخرة وباستقامتهما  
تم السعادة ولذا كان ما لا يسع جهله منه فرض عين على كل انسان . قال الشاعر

تعلم فان العلم زين لأهله \* وفضل وعنوان لكل المحامد

هو العلم الهادي الى سنن الهدى \* هو الحصن يجي من جميع الشدائد

الذكان مفروضا على كل عاقل \* ومن حازه يحظى بكل المقاصد

وربما امتنع الانسان من طاب العلم لكبر سنه واستحيا من ان يتعلم كثيرا فرضي أن يكون  
بالجهل موسوما وآثره على التعلم وهذا من خداع الجهل وغرور الكسل لأن العلم فضيلة .

فتكون رغبة ذوي الأسنان فيه أولى على ان الابتداء بالفضيلة فضيلة ولأن يكون الشيخ متعلماً أولى من ان يكون جاهلاً . وقد حكي ان بعض الحكماء رأى شيخاً كبيراً يعيل الى العلم ويستحي من طلبه فقال له يا هذا أتستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل منك في أوله . وذكر أن ابرهيم بن المهدي كان قد أهمل الاشتغال بالعلم في صغره حتى كبر جاهلاً فدخل يوماً على المأمون وعنده جماعة من العلماء يتذاكرون في مسائل عويصة فقال إليهم لعلّه يعي شيئاً من حديثهم فقال له الخليفة «هل لك معرفة بما يقول هؤلاء . قال يا أمير المؤمنين شغلوني في زمن الصغر . فقال له ولم لا تشتغل في آن الكبر قال من طاب أترأ بعد عين رجع بخفي خنين وأضاع العمر وراء المحال . فقال حقاً انك لفي ضلال وأيّ ضلال . قال أيليق بي أن أتعلم وها أنا ذا بسكرات الموت أتأتم . قال وايم الحق لأن تموت طالباً للنور خير من أن تعيش قائماً بالغرور . فقال وإلى متى يحسن بالانسان الدرس أعزّك الله . قال مادام به رمق الحياة وقيل في منشور الحكم «الجهل بالكبير أقيح ونقصه له أفضح لأن علو السن ان لم يكسب صاحبه فضلاً ولم يفده علماً وكانت أيامه في الجهل مقضية كان الصغير الجاهل أفضل منه لأن الرجاء له أكثر والأمل فيه أظهر وحسب الرجل نقصاً أن يكون الصغير المساوي له في صفته أفضل منه » قال الشاعر

إذا لم يكن مرّاً السنين مترجماً \* عن الفضل للانسان سمّيته طفلاً

فما تنفع الأعوام حين تمدّها \* ولم تستفد فيهنّ علماً ولا فضلاً

وقال بعضهم « اطلب العلم من المهد الى اللحد » وقال الشاعر

تعلم فليس المرء يولد عالماً \* وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القوم لا علم عنده \* صغير اذا التقت عليه المحافل

فليعلم القارئ ان تلقي العلوم والاشتغال بها ليسا مختصين بزمن من الازمان بل كلّما أتى الانسان دلوه في الدلاء استسقى ماء . وسأورد ذكر أناس ممن تعلموا في كبرهم ما لم يكونوا قد صرفوه في صغرهم فارتفع قدرهم وذاع صيتهم . منهم العلامة جاك بوسويّه فانه تعلم اللغة العبرانية بعد الستين من عمره وتقدّم فيها تقدماً ساعده أعظم المساعدة على دحض أذاليل أهل زمانه في الديانة . ومنهم محمد علي الكبير مؤسس العائلة الخديويّة ومحرّر مصر من رقّ المماليك ومُسَيِّل نيل العدل والسعادة على أهلها فانه أخذ يطلب العلم وعمره خمسة وأربعون سنة ولم يأل جهداً فيه لمسيس حاجته إليه حتى نال منه تمام مراده . وأتمّ قولي بالكلام على الدكتور كرنيليوس فنديك الأمريكيّ نزيل الشام سنة ١٨٤٠ فانه ابتداءً يدرس العربية وهو في الحادية والعشرين من عمره وحصر همته فيها حتى أصبح من رجالها المعدودين . ويحذو حذو هذا الرجل العظيم جمّ غفير من الفرج الوافدين الى البلاد الشرقية وقد تجاوزوا أشدهم فيشتغلون عن كبر بلغة أهلها حتى يفوزوا بطلبهم من الافادة والاستفادة بل تجذب بعضهم يكلف بجملها ويتعلق بأذيالها فينقب عن أصولها وفروعها ويسعى وراء غرائبها ونوادرها

ويستظهر درر أمثالها ونخب أشعارها ولا يذر مسألة إلا يخوض لججها ويحقق مقدماتها ونتائجها حتى يصير له الكلام عبداً يجب إذا ناداه وسهما يصيب الغرض إذا رماه فيصبح وقد أتى على جليتها وخفيها ونال منها ما لم ينله الكثير من كبار رجالها يؤلف من التأليف ما تشنف نغماته الآذان وتسير باستحسان حدوده مطايا الركبان ويحلى بغرره جبين الأيام ولم يكن لينكرها أحد من أرباب الأقاليم

وربما امتنع الرجل من طلب العلم لضيق ذات يده وشغل عنه بالسعي وراء المعيشة وهذا أقل استحقاقاً للوم من غيره مع أنه قلما يوجد وخصوصاً في أيامنا حيث إن أسباب الدراسة متوفرة حتى أنه يتأتى للراغب أن يتعلم في أعظم المدارس مجاناً أو بشيء زهيد فضلاً عن كون الإنسان لا يخلو من أوقات فراغ وساعات استراحة وأيام عطلة فيمكنه أن يصرف حظاً من تلك الأزمته لطلب العلم مستعيناً بكل ما اتصل إليه يد قدرته كما وقع من بعض رجال أبطال نازع عندهم طلب المعاش طلب العلم فقاوموا جيوش الصعوبات بعزم كالجبال الراسيات واستسهلواها إلى أن أدركوا مناهم وصارت تفتخر بهم جميع الأمم لجليل أعمالهم . انظر إلى فرنكليين الأمريكي تجده مثالا مؤيداً ما قد ذكرته فانه لم يمكنه ان يدرس صغيراً لشدة فقره فلما قوي على العمل استُخدم في بعض المطابع وتعلم أثناء خدمته القراءة ولم يزل في فتراته الصناعية يبذل جهده الجهد في اقتباس العلوم منتقلاً من فن إلى غيره حتى أمسى باجتهاده واقتصاده على جانب من المعارف والنزوة واشتهر بحسن الأعمال وغرر الحاصل إلى أن انتخب رئيساً للجمهورية ببلاد بلجيكا بلعنه ورأيه السيد إلى أوج التقدم والسعادة . ومنهم لازار هوش الفرنسي وخلاصة حياته انه ولد من والدين فقيرين ونشأ فقيراً فدخل في دائرة المليك بصفة كتّاب لاصطبلاته ثم تطوع في جيش الثورة الفرنسية وكان قد تعلم بعض مبادئ علوم أثناء خدمته السابقة وحيث كانت رغبته في المعارف تزداد يوماً فيوماً ولم يكن معه ما يشتري به كتباً جعل نفسه خادماً لرفقائه يقضي عنهم بعض الأعمال وكلما نال منهم نقديّة اشترى بها ما يلزمه للحصول على مطلوبه وما لبث أن نبغ في العلوم ولا سيما أصول الجندية حتى أحرز رتبة قائد واشتهر في حومة المعارك فطار صيته في الآفاق وعلا مجده حتى بلغ أعلى السبع الطباق وخلد اسمه على صفحات التاريخ . ولا يخطر ببالك ايها القارئ ان أولي الهمم العلية والمفاخر السنية قد انحصروا في فئة من البشر أو مصر من الأمصار فانه ظهر من كل أمة رجال توصلوا بعزمهم مع قلّة ذات يدهم إلى أعلى المراتب ونبغوا في أمور عظيمة باعتمادهم على أنفسهم عملاً بقول الطغرائي وإنا رجل الدنيا وواحدنا \* من لا يعمل في الدنيا على رجل

ويقول المتنبي

على قدر أهل العزم تأتي العزائم \* وتأتي على قدر الكرام المكارم  
وتعظم في عين الصغير صغارها \* وتصغر في عين العظيم العظام

فمن قام من الشرقيين وحارب الخمر الى ان نال الشرف المين أبو الطيب المتنبي فانه كان ابن سناء وما رقي إلى مارتى اليه من سمو الاعتبار وعلو المنزلة في هذه الدار ورقة البلاغة في الشعر وسعة التصرف في مبادئه ومعانيه إلا بواسطة جدّه وكده حتى قال فيه بعض واصفيه

مارأى الناس ثاني المتنبي \* أيّ ثان يرى ليكر الزمان  
هو في شعره نبيّ ولكن \* ظهرت معجزاته في المعاني

ومنهم أبو تمام حبيب الطائي فانه ولد بمصر وكان يسقي الناس ماء بالجرّة في بعض مساجدها ثم اشتمل بالأدب وتفرغ للشعر حتى نال منه حظّه الأوفر وأثف التأليفات الغراء منها كتاب الحماسة وكتاب خول الشعراء وغيرها مما يدل على طول باعه في جميع الأدبيّات وبلغ به دنيا عظيمة واقبالا من جميع الناس . ولما مات رثاه الحسن بن وهب بقوله

فُجِعَ القريضُ بخاتم الشعراء \* وغدير روضتها حبيب الطائي  
ماتا معا فتجاورا في حفرة \* وكذلك كانا قبل في الأحياء

ومنهم الملك المعزّ لدين الله فقد كان حامل النسب غير مشهور الذكر حتى انه لما حضر الى مصر قام له ابن طباطبا من بين جماعة العلماء وقال له الى من ينتسب مولانا فقال له المعزّ سنعدك مجلسا لذلك إن شاء الله ونجمعكم فيه ونسرد عليكم نسبنا . ولما اطمن بقصره ورست أوتاد سطوته في البلاد وتمكنت هيئته من قلوب العباد جمع أكبر مملكته من جميع الطبقات وحين استقر بهم المجلس انتصب قائما كأنه الغضنفر العبوس ومدّ يده الى قوائم سيفه فاستله من غمده وهزه ثم قال هذا نسبي ونثر الذهب على رؤوسهم قائلا وهذا حسبي

ومن الناس من ترك العلم لاعتقاده أنه معدوم الفائدة أو قليلها أو ان للجهل إقبالا مجديا وللعلم إدبارا مكديا أو ان العالم والجاهل سواء . ولا يخفى ان هذه الشذمة من الضالين الذين استحكّم ضلالهم واستبعد رشادهم وایس لهم في العذل نفع ولا في الإصلاح مطمع يجدر بهم أن يهملوا والدمر يلعب بهم كيف شاء تمسكا بقول بزرجهر « لا تكلفوا العسي أن يبصروا ولا الصم أن يسمعوا » ويقول بعض الحكماء « من كان عنك معرضا فلا تكن له متعرضا لانه لا يستحق أن يتمتع بملاذ العلم ولا ان يُقأد بلائه » . قال بعضهم « واضع العلم في غير أهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ والذهب » ومعلوم ان العلم خير من اللؤلؤ ومن لا يستحقه شر من

الخنزير . قال بعضهم

عاب التعالم قوم لاعقول لهم \* وما عليه اذا عابوه من ضرر  
ما ضرّ شمس الضحى في الأفق طالمة \* ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وربما كان سبب زهد بعض الجهال في العلم واعراضهم عن أهله ما يرونه أحيانا من حرمان عاقل وقدر جاهل فيظنون أن العقل والعلم هما السبب في سوء حظّه وعدم رزقه وقد انصرفت عيونهم عن حرمان أكثر الجهال وأراء أغلب العقلاء والعلماء على ان في العقلاء والعلماء

قبة وعلمهم من فضلهم سمة ولذلك نراهم غرباء لكثرة الجهال فاذا ظهرت سمة فضلهم وصادف ذلك قلة حظ بعضهم تميز عن غيره واشتهر فصار مقصودا بإشارة المتعنتين ملحوظا بإيماء الشامتين . وأما الحمقى والجهال فلما كثروا ولم يخصصوا انصرف عنهم النفوس فلم يلحظ المحروم منهم بطرف شامت ولا قصد المجدود بإشارة عانت فمن هنا ظنَّ الجهال أن الفقر والضيق محتصان بالعقل والعلم دون الحمق والجهل مع أنهم لو بحثوا عن أحوال العقلاء والعلماء مع قلة حظهم لو وجدوا التيسر في أكثرهم ولو اختبروا أمور الحمق والجهال مع كثرتهم لو وجدوا التعسر في أغلبهم . وقد تناسوا أيضا أن الدنيا ربما أقبلت على الجاهل بالاتفاق وأدبرت عن العالم مع الاستحقاق وعليه فإن أنتك منها سمة مع حق أو فانتك منها بغية مع عقل فلا يحملك ذلك على الرغبة في الجهل والزهد في العلم فدولة الجاهل من الممكنات ودولة العاقل من الواجبات فهي عند الأول كالغريب الذي يميل الى الثقلة وعند الثاني كالنسيب الذي يحن الى الوصلة فلا يفرح المرء بحالة جليلة نالها بغير عقل أو منزلة رفيعة حلتها بغير فضل فإن الجهل يزله منها ويزيله عنها ويحطه إلى رتبته ويرده إلى قيمته بعد أن تظهر عيوبه وتكثر ذنوبه ويصير مادحة هاجيا ووليّه معاديا على ان العقل والعلم سمادة واقبال وان قلّ معهما المال وضائق معهما الحال والعكس مع الحمق والجهل . وليست السعادة بكثرة المال فكلم من مكثر شقي ومقلّ سعيد وكيف يكون الجاهل الغني سعيدا والجهل يضعه أم كيف يكون العالم الفقير شقيا والعلم يرفعه . قيل في منشور الحكم « كم من ذليل أعزّه علمه وعزيز أذلّه جهله » وقيل لبرزجهر أي الاكتساب أفضل « قال العلم والأدب فانهما كثران لا ينفدان وسراجان لا يطفئان وحلتان لا تبليان من نالهما أصاب الرشاد وعاش رفيعا بين العباد مشرفا معظما الى يوم الميعاد »

ثم ان العلم يورث أصحابه هبة لا تزول عنهم مهما كانت أحوالهم . قال عمر بن بحر الجاحظ دخلت على محمد بن اسحق في أيام ولايته على بغداد وهو جالس في ديوان عظيم وأعيان الناس مُثّل بين يديه كأن على رؤوسهم الطير ثم عزل بعد ذلك بزمن ودخلت عليه ثانيا وهو جالس في خزانة كتبه وحواليه الكتب والدفاتر والمحابر والاقلام والمساطر فرأيت في هذه الحال أهيب منه في تلك

وقد أقر بفضل العالم جميع العقلاء وأجمعوا على تعظيم أهله لأنه لولا هم لكان الناس كالبهائم وأصبحوا في أمورهم كالمرضى الهائم عامهين في غيِّ الداء غير مهتدين الى ما يلزمهم من الدواء . دخل أبو العالية رُفيع بن مهران البصري وكان عبدا عاتقا على بن عباس فاقعه معه على السرير وأقعد رجالا من وجهاء قريش تحته فتأثروا من ذلك فلحظ ابن عباس سوء نظرهم الى رُفيع فقال لهم مالكم تنظرون اليه نظر الشحيح الغريم الى المفلس المديم أفلا تعلمون أن العالم يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الأسرة . ودخل

سالم بن مخزوم على عمر بن عبد العزيز فتخطى له عن صدر المجلس فقيل له في ذلك فقال اذا  
دخل عليك من يزيد فضاه على فضالك فلا تحرمه شرف المنزلة . قال الامام علي  
الناس من جهة التمثال اكفاء \* أبوهم آدم والام حواء  
فان يكن لهم في اصاهم شرف \* يفاخرون به فالطين والماء  
ما الفخر إلا لأهل العالم انهم \* على الهدى لمن استهدى أدلاء  
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه \* والجاهلون لاهل العالم أعداء  
ففرز بعلم تعش حيا به أبدا \* أناس موتى وأهل العلم أحياء  
ودخل محمد بن عباد يوما على المأمون فبالغ في تعظيمه ولم يدخر وسعا في ملاطفته حتى انه  
قام وأصلح له عمامته بيديه فتعجب بعض الحاضرين من قبح هيئته وإكرام الأمير له فقال له  
المأمون لانتعجب فان تحت هذه العمامة علما راسخا وادبا كاملا . قال ابو بكر بن دريد  
لا تحقرن علما وان خلقت \* انوابه في عيون راقبه  
وانظر اليه بعين ذي أدب \* مهذب الرأي في طرائقه  
فلمسك مهما تراه تمهنا \* بفهر عطاره وساحقه  
حتى تراه في عارضي ملك \* وموضع التاج من مفارقه  
هذا وأقول ان الأمراء العظام والملوك الفخام كانوا يحتفلون بالعلماء علما منهم ان الملك  
إنما يدوم بدوامهم ويرتفع بارتفاعهم ويخطأ بانحطاطهم وتكسف شمسهم بكسوفهم ويبيد آثاره  
بإبادتهم ولا يبقى له ذكر بعد إطفاء نورهم . وأخص من بينهم الرشيد الذي كان آية في اللطف  
والإكرام لهم والاحسان اليهم ولوئس الرابع عشر المعظم فانه كان لهم أخا شقيقا والدا  
عظوقا وجدا حنونا وعضدا يمينا يحميهم من الأعداء ويصدرهم في المجالس ويحفهم بما لم يكن  
من أهله إلا هو ويرتب لهم الرواتب الفاخرة وينقدم إياها في حينها . ومثلها نابوليون الأول  
والأميراطور ولسيم وإدوار السابع وملك اليابان وهام جراً ممن لا يقع تحت حصر ولا تقدر  
لإعاماتهم عليهم بقدر ولذا كانت تزداد مملكتهم وتتسع دائرة ثروتهم ويستتب لهم الأمن التام  
ويستمر لهم الذكر الجميل على الدوام

( للمؤلف )



## باب

في وجوه تحسين الانشاء

( وفيه عدة فصول )

### فصل في كيفية نظم الكلام

إذا أردت التكلم على موضوع فأحضر معانيه ببالك وأعمل فكرك فيها ورتبها ترتيبا لطيفا كما يفعل المهندس الحاذق إذا أراد رسم قصر مثلا. ثم أبرزها من عالم التصور إلى عالم الوجود في قوالب عسجدية مكسوة بجلل سندسية . وعند الفراغ منه ردّد نظرك فيه وتقيحه تنقيحا جيدا بأن تغير أو تقدم أو تؤخر أو تزيد أو تحذف إلى غير ذلك من أنواع التحسينات فإن الكلام إذا كان مهذبًا علت رتبته ولو كانت معانيه أعتيادية . وكل كلام قيل فيه لو كان موضع هذه الكلمة غيرها ولو تقدم هذا المتأخر وتأخر هذا المتقدم أو لو تُتم هذا النقص بكذا أو لو تكمل هذا الوصف بكذا أو لو حذفت هذه الكلمة أو لو أتضح هذا المقصد لكان التعبير أحسن والمعنى أبين كان ذلك الكلام غير منتظم في سلك التهذيب . وكان زهير بن أبي سلمى معروفا بزيادة التنقيح وله قصائد تعرف بالحواليات لأنه كان ينظم الواحدة منها في أربعة أشهر ويهذبها في أربعة أشهر ويعرضها على علماء قبيلته أربعة أشهر . ولا جرم أنه قلما يسقط منه شيء بعد ذلك ولهذا كان عمر بن الخطاب مع جلالته في علوم عصره وبراعته في النقد يقدمه على سائر الفحول من طبقتة . وكان أبو تمام يقول عليكم بهذيب بنات أفكاركم في ظلم الدجى لكون الليل تهديا فيه الأصوات وتسكن الحركات فيكون الفكر فيه مجتمعا ومراة التهذيب صقيلة الخلو الخاطر وصفاء القرية ولا سيما وقت السحر فإن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخفت عنها ثقل الغذاء وصحّ ذهنها وصار صدرها منسرحا وقلها للتأيف منبسطا وصفا من أكثر الأبخرة والأدخنة جسم الهواء وسكنت النعائم ورتت النسائم وتغنت الجمائم . وقال العلامة زكي الدين بن أبي الإصيح ينبغي لك أيها الراغب في صناعة الانشاء السائل عن أوضح سبلها أن تحصل المعنى قبل الشروع في الكلام وتتوخى منه الجزل دون الرذل والسهل دون الصعب والعذب دون المستكره والمستحسن دون المستهجن . ولا تعمل نظما ولا نثرا عند الملل فإن الكثير معه قليل والثفيس خسيس إذ الخواطر ينابيع إن رُفق بها حمت وإن كثر استعمالها تزحت واكتب كل معنى يسبح وقيّد كل فائدة تعرض فإن نتائج الأفكار كلمة البرق ولحمة الطرف إن لم تقيدها شردت وندت وإن لم تستعطفها بالسكرار غابت وصدت

ولا يكمل للكتابة إلا من يكون كثير الاطلاع على تأليفات البلغاء متضاعفاً من قواعد الإملاء والنحو والمنطق والبلاغة فإنه بالأول يرسم الحروف على حقيقتها وبالثاني يضبط الكلمات والتراكيب وبالثالث يصحح المعاني وبالرابع يورد عبارته مطابقة لمقتضى الحال . ولا شك أن أنفع الأربعة وأكثرها لزوماً الأولان لأن الكاتب ربما استغنى عن الآخرين بحدة فكره وأما الأولان فلا يمكن من لم يتقنهما إجادة أي موضوع كان . ومن يدعيها بغيرها فدعواه باطلة تنهدم أمام براهين الاختبار وينطبق عليه قول من قال « حمار في الكتابة يدعيها » إذ بالاطلاع على كلامه يوجد محشواً بالخطأ في النقص والألفاظ والتراكيب وقد لا يفهم المراد منه . ولو اتفق أنه أتى بشيء صحيح أونة لا يعول عليه لأنه رمية كما إذا نطق الأحمق بالحكمة . فضلاً عن كون معرفة النحو ضرورية لفهم المصنفات العربية على حقيقتها ولتصحيح اللحن الذي يباحق العار بصاحبه فإن الانسان مائل بالطبع إلى تعظيم من يحسن الكلام وإذا سمع أو رأى خطأ من أحد فلا بد أن يحتقره ويسيء الظن بجميع معارفه لما يراه من نقصان لسانه الذي هو رائد علمه وعنوان عقله . ولذا قال بعض الحكماء « أنت سالم ما سكت فإذا نطقت فلك أو عليك » وقال الشاعر

بالنحو زين كل قول واعتن \* فالمرء تكرمه إذا لم يلحن  
وإذا طلبت من العلوم أجلها \* فأجلها نفعاً وقيم الأسن  
لحن الشريف يحطه عن قدره \* فتراه يسقط من لحاظ الأعين  
ما ورث الآباء فيما ورثوا \* أبناءهم مثل العلوم فأتقن



## فصل في الاقنباس

من أراد اكتساب ملكة حسن التعبير في الزمن اليسير فعليه أن يُكثر من مطالعة كتب البلغاء كما تقدم ولا يغفل أن يتبع مطالعته بتقيد ما يستجيده من كلامهم حتى لا ينسج عن فكره ويرجع إليه عند الحاجة . فاذا عمل بذلك ارتسمت لكلامهم صور في عقله وحصلت له مزية الذوق في الكلام الذي يمكنه من أن يميز لأول وهلة بين جيد وريث . فان الملكات إذا رسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعية لذلك المحل . ولهذا يظن الكثير ممن لم يعرف شأن الملكات أن الإصابة للعرب في لغتهم إعراباً وبلاغة أمر طبيعي ويقول ان العرب كانت تنطق بالطبع . وليس الامر كذلك وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تُورث بالسماع خلفاً عن سلف ورسخت بكثرة الاطلاع على الحر من كلامهم والتفطن لخواص تراكيبه

ولكن على الآخذ إذا استعمل معاني الغير أن يكسوها ألفاظا غير ألفاظها ويبرزها في معارض من تأليفه ويزيد في حسن ترتيبها وجودة تركيبها وجمال حليتها، فإذا فعل ذلك فهو أولى بها ممن سبقه إليها لأن المعاني مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنَّبَطي والزنجي وقد يقع للمتأخر معنى سبقه إليه المتقدم من غير أن يقف عليه منه بل وقع له كما وقع للأول وإنما يتفاضل الناس في الألفاظ ورفضها . وقالوا إن أبا عذرة الكلام من سبك لفظه على معنى وإن كان لغيره على أن المعنى الجيد جيد وإن كان مسبوقاً إليه والوسط وسط والرديء رديء وإن لم يسبق لهما، وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم ولا يرى أحد عيباً في ذلك لأنه لا غنى للكاتب البليغ والشاعر المفاق والخطيب المصقع عن الاقتداء بالأولين والاقْتِباس من أقوالهم . وإنما يكون الآخذ مذموماً في فعله إذا أخذ معنى للغير بلفظه كله أو أغلبه أو قصر فيه عن تقدمه . ولكن الحاذق يخفي ديبه إلى المعنى يأخذه في ستره ويحكيم سبكه حتى يظن أنه له كأن يأخذ معنى من نظم فيورده في نثر أو من نثر فيورده في نظم أو ينقل المعنى المستعمل في صفة خمر فيجعلها في مديح أو في مديح فينقله إلى وصف إلا أنه لا يكمل لهذا إلا البارع الكامل . فمن ذلك قول بعض الكتّاب وقد سمع قول نصيب « ولو سكتوا لأنت عليك الحقائق » ولو أمسك لساني عن شكرك لنطق أتر برّك علي . وفي موضع آخر ولو جحدتك إحسانك لأكذبني آثاره ونمت علي شواهد . ومن أحسن الاتباع أبو نواس وقد سمع قول الامام علي « لا تكونن كمن يمجز عن شكر ما أوتي ويلتمس الزيادة مما بقي »

لا تُسدين إليّ عارفة \* حتى أقوم بشكر ما سلفا

وقال أبو تمام لابن أبي رؤاد أما غضب عليه « أنت الناس كلهم ولا طاقة لي بغضب جميع الناس » فقال له ابن أبي رؤاد ما أحسن هذا من أين أخذته . قال من قول أبي نواس وليس على الله بمستنكر \* أن يجمع العالم في واحد

ولكن من يسمع هذا الكلام يظنه مأخوذاً من قول جرير

إذا غضبت عليّ بنو تميم \* رأيت الناس كلهم غضابا

ومن أخفى ديبه إلى المعنى وستره غاية الستر أبو تمام في قوله

جمعتُ عمري أعمالها بعد فرقة \* اليك كما ضمّ الأنايبَ عاملُ

فإنه من قول الجبال الرباعي

أولئك إخوان الصفاء رزئتهم \* وما لكفت إلا أصبع ثم أصبع

وهكذا قوله وقد نقله من معنى إلى آخر

مكارمُ لجت في علو كائنا \* تُحاول نارا عند بعض الكواكب

فإنه من قول الأخطل

عروفُ لحق السائلين كأنه \* بعقر المتالي طالب بذنوب

ومما أخذه وزاد فيه على الأول قوله من بيت « أفناهم الصبرُ إذ أبقاكمُ الجزعُ » فإنه مأخوذ من قول السموأل

يقرب حب الموت آجالنا \* وتكرهه آجالهم فتطول  
أورده أبو تمام في نصف بيت مستوفياً • ومن هذا القبيل قوله  
علمني جودك السماحَ فما \* أبقيتُ شيئاً لديّ من صلتك  
وهو مأخوذ من قول ابن الخياط

لمستُ بكفي كفه أبتني الغنى \* ولم أدر أن الجود من كفه يُعدي  
فلا أنا منه ما أفاد ذو الغنى \* أفدت وأعداني فأتلفتُ ما عندي

ومن ذلك قول مسلم بن الوليد

أحبُّ الريح ما هبتَ شمالاً \* وأحسدها إذا هبتَ جنوباً  
لأن الشمال تجيء إليه من ناحية حبيبه فيحبها والجنوب تهب إلى الحبيب فيحسدها لذهابها إليه  
وهو مأخوذ من قول جرّان العود

إذا هبتِ الأرواحُ من أرضكم \* وجدتُ لريّها على كبدي برداً  
وعمد أبو تمام إلى قول الفرزدق

وما أمرتني النفسُ في رحلة لها \* إلى أحدٍ إلا إليك ضميرها

فشرحه بقوله

وما طوّفتُ في الآفاق إلا \* ومن جدّواك راحلي وزادي  
مقيمُ الظنِّ عندك والأمني \* وإن قلتُ رِكابي في البلادِ

وإلى بيت الفرزدق يشير بعضهم بقوله

مدحتك جهدي بالذي أنت أهله \* فقصر عما فيك من صالح جهدي  
فما كلُّ ما فيه من الخير قلته \* ولا كلُّ ما فيه يقول الذي بعدي  
وكنتُ إذا هيأتُ مدحاً لما جد \* أناني الذي فيه بأدنى الذي عندي

ومن هذه الأبيات أخذ أبو نواس قوله

إذا نحنُ أنينا عليك بضالِحٍ \* فأنت كما تُثني وفوق الذي ثني  
وإن جرتِ الألفاظُ يوماً بمدحةٍ \* لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني

وفي هذا وما قبله إشارة إلى قول الخنساء

وما بلغ المهدون في القولِ مدحةً \* وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضلُ

وقال أعرابي « إن الندى حيث ترى الضغاطا ، فأخذه بشار وبينه بقوله

تسقطُ الطيرُ حيث ينتشر الحَبُّ \* بُب وتغشى منازلُ الكرماءِ

وسمع أبو تمام قول عبد الله بن الزبير لما قتل أخوه مُصعب « إنما التسليم والسلوة لجزءاء

الرجال وإن الجزع والهاجع لربّات الحجال » فقال  
خُلِقْنَا رَجَالًا لِتَجْلُدَ وَالْأَسَى \* وثلك الغواني للبكا والمآتم

ولما قال بشار

من راقب اناس لم يظفر بحاجته \* وفاز بالطيبات الفاتك اللهيج  
تبعه سأم الحاسر بقوله

من راقب الناس مات غمًا \* وفاز بالمدّة الجسور

فلما سمع بشار هذا البيت قال « ذهب الحيث بيقي » ومن حسن الاتباع أيضا قول ابراهيم  
ابن العباس « إذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه وللمسيء من العقاب ما يقنعه ازداد المحسن  
في الاحسان رغبة وانقاد المسيء للحق رهبة » أخذه من قول الامام علي « يجب على الوالي  
أن يتعهد أموره ويتفقد أعوانه حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء ثم لا يترك  
واحدا منهما بغير جزاء فان ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الأمر وضاع العمل »  
ولقد أحسن أبو تمام في قوله

إليك هتكنا جنح ليل كأنما \* قد اكتحلت منه البلاد بالئمد

فانه مأخوذ من قول أبي نواس « و جنح ليل مستكحل بقار » ووجه الحسن أن الاكتحال  
يكون بالإنمد لا بالقار . وقال ابراهيم بن العباس

لفضل بن سهل يد \* تقاصر عنها المنل

فبسطتها للغنى \* وسطوتها للأجل

وباطنها للندى \* وظاهرها للأقبل

فأخذه أبو عنز قادة شريف مكة فقال مشيرًا إلى يده من أبيات  
تظلل ملوك الأرض تلثم ظهرها \* وفي بطنها للمجد بين ربيع  
واتبعه ابن الرومي فأحسن الاتباع

أصبحت بين خصاصة ونجمل \* والحرّ بينهما يموت هنيل

فامدّ إليّ يدًا تعود بطنها \* بذل النوال وظهرها التقيلا

وقال أبو تمام

همّة تنطح النجوم وجد \* ألف للحضيض فهو حضيض

أخذه البحري فحسبه بقوله

متحير يغدو بزم قائم \* في كل نائبة وجد قاعد

وقال أبو العتاهية

كم نعمة لا يستقل بشكرها \* لله في طي المكاره كانه

أخذه أبو تمام فقال

قد يُنعم الله بالآوى وإن عظمت \* ويتبلى الله بعض القوم بالنعيم  
فإنه عكس المعنى وزاد عليه

### فصل في المقصود منه الكلام

لا يخفى أن المقصود من الكلام هو المعنى فيجب على كل متكلم أن يلاحظ تحسينه كما يلاحظ تحسين اللفظ . ولا يكمل لصناعة الكلام وتصحيح ألفاظه والمعرفة بوجود استعماله إلا من يكمل لصناعة المعنى . ثم إن المعاني على ضربين ضرب يتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إمام يقتدي به فيه أو رسوم يتبعها وهذا الضرب قد تهبأ إليه ناسان عند الخطوب الحادثة والامور الطارئة . وضرب يأتيه على مثال تقدم ورسم فرض . وعلى كل ينبغي له أن يصحح المعنى ويتوخى الصورة المقبولة والعبارة المستحسنة ولا يتكلم فيما ابتكره على فضيلة ابتكاره ولا يفره ابتداعه له فيتساهل فيه لئلا يذهب حسنه ويُطمس نوره ويكون فيه أقرب الى الذم منه إلى المدح

ولخطأ المعنى صور مختلفة سأنبهك على أشياء منها وأبين وجوهها اتقف عليها فتجنبها .  
فإن ذلك قول امرئ القيس

ألم تسأل الربع القديم بعسسا \* كأني أنادي أو أكلم أخرسا

فهذا من التشبيه الفاسد لأنه لا يقال كلمت حجراً فلم يجب فكأنه أخرس وإنما يقال كلمت شخصاً فلم يجب فكأنه أخرس أو حجراً كما قال كثير في امرأة

فقلت لها يا عز كل مصيبة \* اذا وطئت لها النفس ذلت

كأني أنادي صخرة حين أعرضت \* من الضم لوتمشي بها العضم زلت

فشبه المرأة عند السكوت والتغافل بالصخرة وهذا مقبول . ومثل قول امرئ القيس في الرداءة قول الأخطل في عبد الملك بن مروان

وقد جعل الله الخلافة منهم \* لا باج لا عاري الخوان ولا جذب

لأن مثل هذا لا تمدح به الملوك وإنما تمدح بمثل قول الشاعر

له همم لا مشهى لكبارها \* وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها \* على البر كان البر أندى من البحر

ومن الخطأ قول جنادة

من حبه أمتنى أن يلاقيني \* من نحو بلدته ناع فينعاؤه

لكي يكون فراق لا لقاء له \* وتضمر النفس بأسم تسلاؤه

فإذا تَمَّتِ الحَبِيبُ لِحَبِيبِهِ المَوْتَ فَمَا عَسَى أَنْ يَتَمَيَّ المَبْغِضُ لِبَغِضِهِ • وَمِنَ المَحَالِ الذي لا وَجْهَ له قول بعضهم

وَإِنِّي إِذَا مَا المَوْتُ حَلَّ بِنَفْسِهَا \* يَحِلُّ بِنَفْسِي قَبْلَ ذَاكَ فَأُقَسِّرُ  
فإنه شبيهٌ بقول القائل « إذا دخل زيدُ الدارَ دخلَ عمرو قبله » وهو محالٌ يمتنع وقوعه لأن دخولَ عمرو مترتبٌ على دخولِ زيدٍ فكيف يحصل قبله • ومن عيوب المعنى مخالفة العُرفِ بذكر ما ليس في العادة كقول المَرَّارِ

وَخَالَ عَلَى خَدَّيْهِ يَبْدُو كَأَنَّهُ \* سَنَى البَدْرَ فِي دَعَجَاءٍ بَادٍ دُجُونُهَا  
فإن المعروف أن الخيلَانَ سودَّ أو سُمِرُ والحدودَ الحسنَةَ إنما هي البيضُ فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى • ومن خطأ اللفظ قول الشاعر

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوِدِي \* صَدَاعُ الرَأْسِ وَالوَصْبُ  
فذكر الرأسَ مع الصداعِ فضلةٌ لأن الصداعَ لا يكون في الرجل ولا في غيرها من الأعضاء وفيه عيب آخر وهو أن تذكرَ فراقَ المحبوبِ يوجب تألمَ القلبِ واحتراقه لا الصداعَ • ومن عيوب اللفظ ارتكاب الضرورات القبيحة فيه كقول المَتَمِّسِ

إِنْ تَسْلُكِي سُبُلَ النِجَاقِ مُنْجِدَةً \* مَا عَاشَ عَمَزُو وَمَا عَمَّرَتْ قَابُوسُ  
أراد « وما عَمَّرَ قَابُوسُ » وقول الأَعشى

مِنَ القَاصِرَاتِ سُجُوفُ الحِجَالِ \* فَلَمْ تَرِ شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا  
فإنه لا توضع الشمس مع الزمهرير وكان عليه أن يقول لم تر شمسًا ولا قرًا ولم يُصبها حرٌّ ولا قرٌّ وكقول عَاقِمَةَ

يَحْمِلُنَ أَرْجَةَ تَضْحُ البَعِيرِهَا \* كَأَنَّ تَطْيَابَهَا فِي الأنْفِ مَشْمُومٌ  
فإن التطياب ههنا في غاية السهاجة والطيب مشموم لا محالة فقولُه « كأنه مشموم » هُجْنَةٌ وقوله « في الأنف أعين » لأن الشم لا يكون بالعين ومن المعاني البشعة قول أبي نَواصِ

بِأَحَدِ المَرْتَجِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ \* قَمُّ سَيِّدِي نَعَصِ حَبِيبِ السَّمَوَاتِ  
فهذا مع قبحه ممقوت • ومن الخطأ قول أبي العتاهية

غَنِيَّتْ عَنِ الوَصْلِ القَدِيمِ غَنِيَّتَا \* وَضِيَعَتْ وَدَا كَانَ لِي وَنَسِيَّتَا  
ومن أعجب الأشياء أن مات مألَفِي \* وَمَا كُنْتُ تَرَاعِي لَهُ وَبَقِيَّتَا

إذ ليس من العجب أن يموت إنسان ويبقى بعده إنسان آخر بل هذه عادة الدنيا ولو قال من « ظلم الأيام » بدلًا من أعجب الأشياء لكان المعنى مستويًا • ومن عيوب المعنى قول أبي نَواصِ في وصف الأسد

كَأَنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا نَظَرْتُ \* بَارِزَةٌ الحِجْفَنِ عَيْنٌ مَخْنُوقِي

فوصف عين الأسد بالجحوظ وهي توصف بالغفور كقول أبي زيد  
وعينان كالوَقْبَيْنِ في قلب صخرَةٍ \* ترى فيهما كالجمرتين تسعرا  
ومن الغلط قول أبي تمام

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه \* بكفك ما ماريت في أنه بُرْدُ  
فان الحلم لم يوصف بالرقة وإنما يوصف بالرجحان والرزانة كما قال أبو ذؤيب  
وصبر على حدث الثابت \* وحلم رزين وعقل ذكي  
ومن الخطأ قوله أيضا

ظعنوا فكان بكاي حولا بعدهم \* ثم ارعويت وذاك حلم لييد  
أجدر بجمرة لوعة إظفاؤها \* بالدمع أن تزداد طول وقود  
فان هذا خلاف ما يعرفه الناس لأنهم قد أجمعوا على أن البكاء يُطفى الغليل ويبرد حرارة الحزن  
ويزيل شدة الوجد . وقد شهد أبو تمام نفسه بصحة ما ذكرته وخالف قوله الأول فقال  
نرت فريد مدامع لم يُنظم \* والدمع يحمل بعض نقل المفرد  
ومن الخطأ قول البحري

ولست ترى شوك القتادة خائفاً \* سموم رياح القادحات من الزند  
لأنه شبه العليل بشوك القتادة لا يخاف النار التي تُقدح بالزند ومن المعلوم أن النار تطلق  
الصخر وتلين الحديد فكيف يسلم منه القتادة وليس لذكر السموم والرياح أيضاً في هذا  
البيت فائدة ولا موقع  
ومن عيوب المديح عدول المادح عن الفضائل التي تختص بالنفس من العقل والعفة والعدل  
والشجاعة والكرم الى ما يختص بالجسم من الحسن والبهاء والزينة والغنى كما قال ابن قيس  
الرقيات في عبد الملك بن مروان

يأتلق التاج فوق مفرقه \* على جبين كأنه الذهب  
فنضب عبد الملك وقال قد قلت في مصعب

إنما مُصْعَبُ شهاب من الله \* تجلت عن وجهه الظلماء  
فأعطيت المدح بكشف النعم وجملاء الظلم وأعطيتني ما لا نخر فيه وهو اعتدال التاج فوق  
جيني الذي هو كالذهب في النضارة . ومثل ذلك قول أيمن بن خزيم في بشر بن مروان  
يا ابن المكارم من قریش كليلها \* وابن الخلائف وابن كل قلمس  
من فرع آدم كبراً عن كابر \* حتى أتيت الى أبيك العنابس  
مروان إن قناته خطية \* نخرست أرومتها أعز المغرس

فما في هذه الأبيات شيء يتعلق بالمدح الذي يختص بالنفس وإنما ذكر سوّد الآباء وهو  
وإن كان نخرأ للأبناء لكن ليس العصامي كالعظامي وربما كان سوّد الوالد وفضيلته نقيصة

للولد اذا تأخر عن رتبة الوالد فيكون ذكر الوالد الفاضل تقريباً للولد الناقص • ولذا قيل لبعضهم لم لا تكون كأبيك فقال ليت أبي لم يكن ذا فضل فان فضله صار نقصاً لي • وقال الشاعر  
انما المجد ما بيني والِد الصِدِّ \* ق وأحيا فعاله المولودُ

وقال غيره

لئن نخرتَ بأبائِ ذوي شرفٍ \* لقد صدقتَ ولكنَّ بئسَ ما ولدوا

وقال آخر

علتُ مقابحَ أخلاقِ خُصِّصتَ بها \* على محاسنِ أبقاها أبوكَ لكا  
لئن تقدَّم أبناءُ الكرامِ بهم \* لقد تقدَّم آباءُ اللئامِ بكا  
وليس بناءُ القصورِ مما يدلُّ على المروءة إذ يجوز أن يبني اللئيم البخيل الأبنية النفيسة  
ويتوسَّع في النفقة على الدور الحسنه مع منع الحقِّ وردَّ السائلِ وليس اليسارُ مما يمدح  
به مدحا حقيقيا • ألا ترى كيف يقول أشجع السلمي

يريد الملوكُ مدى جعفرٍ \* ولا يصنعون كما يصنعُ

وايس بأوسعهم في الفنى \* ولكنَّ معروفهُ أوسع

والجيد في المديح قول مروان بن أبي حفصة

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم \* أسودُّ لهم في غيلِ خفانِ أشبُلُ

هم الحامون الجارِ حتى كأنما \* لجارهمُ فوق السِّماكينِ منزل

بهايلُ في الاسلامِ سادوا ولم يكن \* كأولهم في الجاهلية أول

همُ القومُ إن قالوا أصابوا وان دُعوا \* أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

ولا يستطيعُ الفاعلونُ فعالهم \* وإن أحسنوا في الثائباتِ وأجلوا

وليس من المختار وصف المهجو بقبح الحلقة كدمامة الوجه وصغر الحجم وقصر القامة

ولون البشرة • ولذا قال الشاعر

فقلت لها ليس الشحوبُ على الفقى \* بعارٍ ولا خيرُ الرجالِ سمينها

وقال الآخر

تنال الخيرَ ممن تزدرية \* ويُخلف ظنك الرجلُ الطاريرُ

ومن الهجاء الجيد قول بعضهم

اللؤمُ أكرمُ من وبرٍ ووالده \* واللؤمُ أكرمُ من وبرٍ وما ولدنا

قوم اذا ما جنى جانبهمُ أمنا \* من لؤمِ أحسابهمُ أن يُقتلوا قودا

وقول أعشى باهلة

بنو تيممٍ قرارة كلِّ لؤم \* كذلك لكلِّ سائلةٍ قرارُ

وقول الآخر

لِوِ اطَّلَعَ الْغَرَابُ عَلَى تَمِيمٍ \* وَمَا فِيهَا مِنَ السَّوَاتِ شَابَا  
وسأورد هنا جملة تتم بها معاني هذا الباب فأقول ان أجود الوصف ما يستوعب أكثر  
معاني الموصوف حتى كأنه يصوره لك فتراه نُصِبَ عينيك وذلك مثل قول يزيد ابن  
عمرو الطائي

أَلَا مَنْ رَأَى قَوْمِي كَأَنَّ رِجَالَهُمْ \* نَحِيلُ أَتَاهَا عَارِضٌ فَأَمَّا هَا

فهذا التشبيه كأنه يصور لك القتلى مصرّعين

ولما كانت أغراض الشعراء كثيرة متشعبة لا يبلغها الإحصاء رأيت أن أقصر على ما هو  
أكثر استعمالاً منها وهو المدح والهجاء والوصف والمرائي والفخر . وقد ذكرت المدح  
والهجاء وما ينبني استعماله فيهما ثم ذكرت الوصف وتركت المرائي والفخر لأنهما داخلان  
في المدح وذلك أن الفخر هو المدح بالطهارة والعفاف والحلم والعلم والحسب وما يجري هذا  
الجرى . والمرائي مدح الميت إلا أنه يقال فيها كان كذا وكذا وفي غيرها من أنواع المدح  
هو كذا وأنت كذا . فيذنبني أن يُتوخى في المرثية ما يتوخى في المدح . فهذه جملة إذا تدبرها  
طالب الانشاء استغنى بها عن غيرها



## فصل في أنواع المعاني

قال بعض العلماء المعاني المتصورة في عقول الناس المتصلة بخواطرهم خفية بعيدة  
لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه ولا مراد شريكه والمعاون له على امره إلا  
بالتعابير التي تقرّبها من الفهم وتجعل الحفيّ منها ظاهراً والبعيد قريباً . فهي تلخص الملتبس  
وتجّل المنعقد وتجعل المهمل مقيداً والمقيد مطلقاً والمجهول معروفاً والوحشيّ . ألوفا . وعلى  
قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة يكون ظهور المعنى . والعاقل يكسو المعاني في قلبه ثم  
يبديها بألفاظ كواس في أحسن زينة فينال المجد والفخار ويلحظ بعين العظمة والاعتبار .  
والجاهل يستعجل في إظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها واستكمال محاسنها فيكون بالذمّ  
موصوفاً وبالتقص معروفاً ويسقط من أعين السامعين ولا يدرج في سلك العارفين

واعلم أن الأصل في اللفظ ان يُحمّل على ظاهر معناه ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى  
دليل كما جاء في القرآن « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » فان الظاهر من لفظ الثياب هو ما يُلبس ومن  
تأول ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس . وهذا لا بدّ له من دليل لأنه عدول عن  
ظاهر اللفظ . وكذلك ورد في الإنجيل « إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصِلِيَ فَادْخُلْ بَيْتَكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ »

فإن الظاهر من هذا هو البيت والباب المعلومان ومن تأول ذهب إلى أنه أراد أنك تجمع عليك همّ قلبك وتمنعه أن يخطر به سوى أمر الصلاة فعبر عن القلب بالبيت وعن منع الحواطر التي تخطر له بإغلاق الباب • والمعنى المحمول على ظاهره لا يقع في تفسيره خلاف • والمعنى المعدول به عن ظاهره يقع فيه الخلاف إذ مجال التأويل واسع والعلماء متفاوتون فيه فقد يأخذ بعضهم وجهاً ضعيفاً من التأويل ويكسوه بعبارة قوة تميزه عن غيره من الوجوه القويّة فإن السيف يضاربه كما قيل

إن السيوف مع الذين قلوبهم \* كقلوبهن إذا التقى الجمعان

تلقى الحسام على جراءة حده \* مثل الجبان بكف كل جبان

ثم إن اللفظ من حيث التأويل وعدمه ثلاثة أقسام قسم لا يحتمل التأويل وقسم يحتمله بضدّ معناه وقسم يحتمله بغير الضدّ • فالأول يأتي عليه أكثر الأشعار ولا يجري في الدقة واللطافة مجرى القسمين الآخرين • وأما القسم الثاني فإنه قليل الوقوع جداً لأن دلالة اللفظ على المعنى وضده أبعد من دلالاته على المعنى وغيره • فما جاء منه قوله « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » فإنه يحتمل معنيين متضادين أحدهما أن المراد به أنك إذا لم تفعل فعلاً تستحي منه فافعل ما شئت والآخر أن المراد به إذا لم يكن لك حياء يمنعك من فعل ما يُستحي منه فافعل ما شئت • وهذان المعنيان أحدهما مدح والآخر ذمّ ويجري على هذا النهج من الشعر قول المتنبي في قصيدة يمدح بها كافورا

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا \* لمن بات في نعمائه يتقلب

فإن هذا البيت يستخرج منه معنيان ضدّان أحدهما أن النعم عليه يحسد النعم والآخر أن النعم يحسد النعم عليه • وكذلك ورد قوله من قصيدة يمدحه أيضاً

فإن نلت ما أملت منك فربما \* شربت بماء يُعجز الطير ورده

فإن هذا البيت يحتمل مدحا وذمّا وإذا أخذ بمفرده من غير نظر إلى ما قبله يكون بالذمّ أولى منه بالمدح لأنه يتضمن وصف نواله بالبعد والشذوذ • وصدر البيت مفتوح بإين الشرطية وقد أوجب بلفظة ربّ التي معناها التقليل أيضاً أي لست من نوالك على يقين فإن نلته فربما وصلت إلى مورد لا يصل إليه الطير لبعده • وإذا نظر إلى ما قبل هذا البيت دلّ على المدح خاصّة لارتباطه بالمعنى الذي قبله • وكثيراً ما كان يستعمل المتنبي هذا القسم في شعره كقوله من قصيدة

فمالك تعني بالأسنة والقنا \* وجدك طعان بغير سنان

فإن هذا بالذمّ أشبه منه بالمدح لأنه يقول لم تباع ما بلغته بسمي واهتمام بل بجديّ وسعادة • وهذا لا فضل فيه لأن السمادة تنال الحامل والجاهد ومن لا يستحقها • وأما القسم الثالث فهو واسطة لأن القسم الأول كثير الوقوع والقسم الثاني قليله • فما جاء منه قوله « ولا تقتلوا »

أنفسكم ، فان هذا محتمل لوجهين أحدهما القتل الحقيقي المعروف والآخر القتل المجازي وهو الإكباب على المعاصي فإن الانسان إذا أكب عليها قتل نفسه عن اكتساب الصفات المحمودة . ومن الدقيق المعنى في هذا الباب قول المتنبى في عضد الدولة  
لو فطنت خيلهُ لتائلهُ \* لم يُرضِها أن تراه يرضاهَا  
فان هذا يُستنبط منه معنيان أحدهما أن خيله لو علمت مقدار عطاياه النفيسة لما رضيت أن تكون من جملة عطاياه لأن عطاياه أنفس منها . والآخر أن خيله لو علمت أنه يهبها من جملة عطاياه لما رضيت ذلك إذ تكره خروجها عن ملكه . وهذا الذي أشرت إليه من الكلام على المعاني وتأويلاتها كافي لمن تدبره

### فصل في الإيجاز والاطناب والمساواة

المساواة هي التعبير عن المقصود بعبارة مساوية له بأن تكون الألفاظ قوالب للمعاني بحيث لا يزيد بعضها على بعض وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والاطناب . مثال ذلك في النثر قول بعضهم سألت عن خبري وأنا في عافية لا عيب فيها إلا فقدك ونعمة لا مزيد فيها إلا بك . وقول الآخر حفظ الله نعم عليك وفيك وتولى إصلاحك والإصلاح اليك وأجزل من الخير حظك والحظ منك ومن عليك وعلينا بك . وفي النظم قول طرفة  
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا \* ويأتيك بالاخبار من لم تزود  
وقول أبي الحسن في ابن العميد

إذا اعتمدتني خطوب الزما \* ن كان اعتمادي على ابن العميد

تذكرت قربي من قلبه \* فيمته من مكان بعيد

تجاوز في الجود حد الزيد \* وفات الأنام برأي سديد

والإيجاز هو التعبير عن المقصود بعبارة أقل منه مع وفائها بالفرض . وهذا نوع من الكلام شريف لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة لعلو مكانه وتمذر إمكانه . وقيل لبعضهم ما البلاغة فقال الإيجاز ، قيل وما الإيجاز ، قال حذف الفضول وتقريب البعيد . وقيل لشاعر لم لا تطيل شعرك فقال حسبك من القلادة ما أحاط بالنعق . وقيل للفرزدق ما صيرك إلى القصار بعد الطوال قال لأنني رأيتها في الصدور أوقع وفي المحافل أجول . وقالت بنت الحطيئة لأبيها مابال قصارك أكثر من طوالك قال لأنها بالآذان أوجل وبالافواه أعلق . وقال الإمام علي ما رأيت بليغا قط إلا وله في القول إيجاز وفي المعاني إطالة . وقيل لابن حازم ألا تطيل القصائد فقال أبي لي أن أطيل الشعر قصدي \* إلى المعنى وعلمي بالصواب

وإيجازي بمختصر قريب \* حذفُ به الفضول من الجواب  
فأبعثن أربعة وستا \* متقنةً بألفاظٍ عذاب  
وهنَّ إذا وسمتُ بهنَّ قوماً \* كأطواق الحمايم في الرقاب

ومثال الإيجاز قوله: « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » فجمع مكارم الأخلاق بأسرها في هذه العبارة القصيرة لأن في العفو صلة القاطمين والصفح عن الظالمين وإعطاء المانعين وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان عن الكذب وغض الطرف عن المحرمات والتبرؤ من كل قبيح لأنه لا يجوز أن يأمر المرء بالمعروف وهو يلبس شيئاً من المنكر وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مقابلة السفية بما يُوتغ الدين ويُسقط القدرة . وقولهم حُبُّكَ الشَّيْءُ يَعْنِي وَيَصْمُ . وقوله إن من البيان لسحرا » وقوله « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ » وقوله ترك الشراء صدقة وقول الآخر « أما بعد فعظ الناس بملك ولا تعظم بقولك واستحي من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك . وخطبة يزيد ابن المقنع لما بايع يزيد بن معاوية حيث قال هذا أمير المؤمنين (١) وبعده هذا (٢) ومن أبي فهذا (٣) فقال له معاوية اجلس فأنت سيد الخطباء . ومن خطبة لزيد أيتها الناس لا يمتنعكم سوء ما تعلمون . في أن تنفموا بأحسن ما تسمعون . في فإن الشاعر يقول

إعمل بقولي وإن قصرتُ في عملي \* يتفعلك قولي ولا يضررك تقصيري

فماني هذا الكلام أكثر من ألفاظه وإذا أردت أن تعرف صحة ذلك فدلَّ عليها بغير هذه التراكيب تجدها أضعاف هذه الألفاظ

والإطناب هو التعبير عن المقصود بعبارة أزيد منه لفائدة وهو مشترك بين الخاصة والعامة والعمي والفتن . والقول الفصل في ذلك المقام أن الإيجاز والاطناب يحتاج اليهما في كل نوع من الكلام ولكل واحد منهما موضع والحاجة الى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الاطناب في مكانه ومن استعمل الاطناب في موضع الإيجاز أو الإيجاز في موضع الاطناب أخطأ كما روي عن جعفر بن يحيى أنه قال متى كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيباً ومتى كان الموضع للإكثار كان الإيجاز تقصيراً . وأمر خالد بن يحيى اثنين من كتابه ان يكتبوا كتابة واحدة في معنى واحد فأطال أحدهما واختصر الآخر فقال للمختصر وقد نظر فيما كتبه لا أرى موضعاً للمزيد وقال للمطيل لا أرى وجها للاختصار . وقيل لأبي عمرو بن العلاء هل كانت العرب تطيل قال نعم كانت تطيل ليسمع منها وتختصر ليحفظ عنها . ولا شك في أن الكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجليلة كتفخيم النعم أو الترغيب في الطاعة أو النهي عن المعصية سبيلها أن تكون مشبعة مستقصاة تملأ الصدور وتأخذ بمجامع القلوب فالاطناب حينئذ أبلغ ومثلها المواظ

فن الخطاب في الموعدة قوله « أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا نحيي وهم يلبسون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون » فتكرير ما كرر من الألفاظ ههنا في غاية الحسن . وقد رأيت في القرآن أن الخطاب إذا وجه إلى العرب أو الأعراب أخرج مخرج الإشارة وإذا وجه إلى بني إسرائيل جعل بسيطاً وقامه أنجد قصة بني إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروحة ومكررة في مواضع متعددة لبعدهم فهمهم وتأخر معرفتهم في تلك الأزمنة الحالية . وقد جاء في القرآن وفصيح الشعر شيء كثير من الخطاب فن ذلك قوله « كلاً سوف تعلمون ثم كلاً سوف تعلمون » وقد جاء مثل ذلك عن أهل الجاهلية . قال مُهَاجِل « على أن ليس عدلاً من كليب » فكررهما في أكثر من عشرين بيتاً . وهكذا قول الحارث عبّاد « قَرَباً مَرَبَطَ التَّعَامَةَ مِنِّي » كَرَّرَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ لِعَظَمِ الْخُطْبِ وَشِدَّةِ مَوْقِعِ الْفَجِيعَةِ . وَمِمَّا تَقَدَّمَ يَعْلَمُ أَنَّ زِيَادَةَ التَّعْيِيرِ عَنِ الْمُرَادِ لَغَيْرِ فَائِدَةٍ لِاتِّسَامِي إِطْنَاباً بَلْ تَطْوِيلًا إِنْ لَمْ يَتَعَيَّنِ الزَّائِدُ وَحَشْوًا إِنْ تَعَيَّنَ وَكِلَاهُمَا مَرْدُودٌ كَقَوْلِ الْعَجَبِزِ السَّلُولِيِّ مِنْ أَبْيَاتِ فِي الْحَمَاسَةِ

طَلُوعُ الثَّنَايَا بِالْمَطَايَا وَسَابِقُ \* إِلَى غَايَةِ مَنْ يَبْتَدِرُهَا يُقَدِّمُ

فصدرُ هذا البيت فيه تطويلٌ لا حاجة إليه وعجزه من محاسن الكلام . وموضع التطويل من صدره أنه قال ( طلوع الثنايا بالمطايا ) فان لفظة المطايا فضلة لا حاجة إليها . وبيان ذلك أنه إما أن يريد بهذا الكلام أنه سابق الهمة إلى معالي الأمور كما قال الحجاج على المنبر عند وصوله إلى العراق

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا \* متى أضع العمامة تعرفوني

أي أنا الرجل المشهور السابق إلى معالي الأمور . فان كان مراد العجيز بكلامه ما أشرت إليه فذكر المطايا يفسده لأن معالي الأمور لا يُرْفَعُ إِلَيْهَا بِالْمَطَايَا وَإِنَّمَا أَنْ يَرِيدَ أَنَّهُ كَثِيرُ الْإِسْفَارِ وَحِينَئِذٍ فَخْتِصَّاصَهُ الثَّنَايَا بِالذِّكْرِ دُونَ بَقِيَّةِ الْأَرْضِ مِنَ الْمَفَاوِزِ وَغَيْرِهَا لِافَائِدَةِ فِيهِ وَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ فَان ذَكَرَ الْمَطَايَا لِاحْتِجَاجِهِ إِلَيْهِ بَلْ هُوَ تَطْوِيلٌ غَثٌّ . وَقَسَّ عَلَى هَذَا التَّمَالِ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنْ التَّطْوِيلَاتِ الَّتِي تَحْيِيءُ لَغَيْرِ فَائِدَةٍ وَذَلِكَ كَثِيرٌ وَأَكْثَرُ وَرُودُهَا فِي النِّظْمِ لِيُوزَنَ بِهَا الْآبِيَاتُ الشَّعْرِيَّةُ وَذَلِكَ نَحْوَ قَوْلِهِمْ لِعَمْرِي وَلِعَمْرِكَ وَنَحْوَ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَظَلَّ وَنَحْوَ يَا صَاحِبِي وَيَا خَلِيلِي وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى . فَمَا جَاءَ مِنْهُ فِي الشَّعْرِ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ

أَقْرَبُوا لِعَمْرِي لِحُكْمِ السِّيَوفِ \* وَكَانَتْ أَحَقُّ بِفِصْلِ الْقَضَاءِ

فإن قوله ( لعمرى ) زيادة لا حاجة للمعنى إليها وهي حشو في هذا البيت لا فائدة فيها إلا إصلاح الوزن لا غير . ألا ترى أنها من باب القسم وهو إنما يرد في موضع يؤكد به المعنى المراد إما لأنه يشك فيه أو مما يعز وجوده أو ما يجري هذا المجرى . وهذا البيت الشعري لا يفتقر

معناه إلى توكيد قسميّ إذ لاشك أن السيوف حاكمة وأن كلَّ أحدٍ يُقرُّ بحكمتها ويذعن لطاعتها وكذلك قوله أيضا

إذا أنا لم أَلَمْ عثرات دهر \* بُلِيَّتْ به الغداة فمن ألومُ

فقوله ( الغداة ) زيادة لاحاجة للمعنى إليها لأنّه يتم بدونها على أن عثرات الدهر لم تنلهُ الغداة ولا العشيّ ونيلها إياه لا بدّ أن يقع في زمن من الأزمنة كائناً ما كان ولا حاجة إلى تعيينه بالذکر . ومن هذا القبيل قول البحتريّ

ما أحسن الأيام إلّا أنها \* يا صاحبي إذا مضت لم ترجعـ

فقوله ( يا صاحبي ) زيادة لاحاجة للمعنى إليها إلّا أنها وردت لتصحيح الوزن لا غير . ولكن ورود مثل هذا في الشعر أقلّ عيباً منه في النثر لاحتياج الشعراء إلى تصحيح الوزن بها بخلاف النثر فإنه لا حاجة له إليها أصلاً . وسأورد لك مثالا لكل من الإيجاز والأطناب والتطويل فأقول قد جاءت في باب الإيجاز رسالة كتبها طاهر بن الحسين إلى المأمون يخبره بهزيمة عيسى ابن ماهان وقتله إياه وهي كتابي إلى أمير المؤمنين ورأسُ عيسى بن ماهان أمامي وخاتمه في يدي وعسكره تحت أمري والسلام . ولا يخفى أن هذه الرسالة شديدة الاختصار جامعة للمعنى المراد . وإذا كُتِبَ معناها على وجه الأطناب قيل كتابي إلى أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين أعزّه الله وكُتِبَ أعداءه كتاب مبشّر بالنصر . هنيء بالظفر كتاب من أُصِرَ بالفئة القليلة على الفئة الكثيرة وانقلب باليد الملامى والعين القريرة وكان انتصاره بجدّ أمير المؤمنين لا بجدّ نصله والجدُّ أغنى من الجيش وإنه كثرت أمداد خيله ورجله وجميء برأس عيسى بن ماهان وهو على جسد غير جسده وليس له قدم فيقال إنه يسعى بقدمه ولا يد فيقال إنه يببطش بيده ولقد طال وطوله مؤذِنٌ بقصر شأنه وحسدت الضباع الطير على مكانها منه وهو غير محسود على مكانه وأحضر خاتمه وهو الخاتم الذي كان الأمر يجري على نقش أسطره وكان يرجو أن يصدر كتاب الفتح بختمه فقال ورود النية دون مصدره فإن النبي مرتعه وبيل ومصرعه جليل وسيفه وإن مضى فإنه عند الضرب كليل والعساكر التي كانت على أمير المؤمنين حرباً صارت له سلماً وأعطته البيعة لإقراراً بفضله وليس من تابع تقليداً كمن هو تابعٌ علماً وهم الآن مُصِرِّفون تحت الأوامر ممتحنون بكشف السرائر مطيعون بالأواء الذي خصّه الله باستفتاح المقالد واستيطاء المنابر وعلى الله إتمام النعم التي أفتتحها وإجابة أمير المؤمنين إلى مقترحاته التي اقترحها والسلام . وهذه الرسالة تشتمل على ما اشتملت عليه رسالة طاهر بن الحسين من المعنى إلّا أنه فصل ذلك الأجمال

ولو كتبت على وجه التطويل الذي لا فائدة فيه لقليل أصدر كتابي إلى أمير المؤمنين الساعة الفلانية من يوم كذا شهر كذا سنة كذا مشتملاً على تفصيل ما حصل إذا التقى الجمعان وافتتل الفريقان وجمي وطيس القتال واشتدّ وطء النزال وترادفت الكتابات وتلاحقت المقاب

وَقَتْلُ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ وَاحْتِرَاقُ رَأْسِهِ وَنَزْعُ الْخَاتَمِ مِنْ يَدِهِ وَخَلْعُ وَثْرِكَ جَسَدَهُ طَعَامًا  
لِلطُّيُورِ وَالسَّبَاعِ وَالذَّنَابِ وَالضَّبَاعِ وَأَنْجَلَتْ الْوَقْعَةَ عَنْ فَوْزِ الْخَلِيفَةِ وَنَصْرِهِ وَخَذْلَانَ عَدُوَّهُ  
وَقَهْرَهُ وَالسَّلَامَ \* فَبِهَذِهِ الرِّسَالَةِ تَشْتَمَلُ عَلَى تَطْوِيلٍ لِقَائِدَةٍ فِيهِ لِأَنَّهُ كَرَّرَ فِيهَا مَعَانِي كَثِيرَةً يَتِمُّ  
الْفَرْضُ بِدُونِهَا \* فَانظُرْ إِلَى هَذِهِ الرِّسَالَةِ الثَّلَاثِ وَتَأَمَّلْهَا وَقَسَّ عَلَيْهَا



### فصل في تمييز جبير الكلام صهر رديته

حسن الكلام هو سلاسته وتحسين لفظه وإصابته معناه وجوده مقاطعه واستواء تقاسيمه  
وموافقة ما خيره لمبادئه مع قلته ضروراته بل عدمها أصلاً نظماً كان أو نثراً فإذا كان الكلام  
بهذه المثابة كان بالقبول حقيقاً وبالتحفظ خليقاً كقول معن بن أؤس

لعمرك ما أهديتُ كفي لريبةٍ \* ولا حملتني نحو فاحشةٍ رجلي  
ولا قادني سمعي ولا بصري لها \* ولا داني طبعي عليها ولا عقلي  
وأعلمُ أنني لم تُصِبْني مصيبةٌ \* من الدهر إلا قد أصابتُ فتى قبلي  
ولستُ بمأش ما حيتُ لسكرٍ \* من الأمر إلا يمشي إلى مثلي مثلي  
ولا مؤثرٍ نفسي على ذي قرابةٍ \* وأؤثرُ ضيفي ما أقام على أهلي

وقول الشنفرى

أطيلُ مطالَ الجوعِ حتى أُمِتُّه \* وأضربُ عنه القلبَ صفحاً فيذهلُ  
ولو لا اجتنابُ العار لم يُلفَ مشربٌ \* يُعاشُ به إلا لذيٍّ وما أكلُ  
ولكنَّ نفساً مُرَّةً لا تقيمى \* على الضميرِ إلا ريثماً أتحولُ

وقول النابغة

ولستُ بمستيقٍ أخلاً تلمُّه \* على شعثِ أيِّ الرجالِ المهذبِ

ومن المعلوم أن الكلام إذا جمع الجزالة والسلاسة واشتمل على الطلاوة وبعد عن سماجة  
التركيب وورد على السمع المصيب استعذبه وعلى الفهم الثاقب قبله فان جميع حواس الجسد  
تسكن إلى ما يوافقها وتسفر مما يضادها فالعين تألف المليح وتقذى بالقبيح والأنف يرتاح إلى  
الطيب ويتضرر من المnten والفم يلتذ بالحلو ويمج المر واليد تتعم باللين وتتأذى بالحشن  
والسمع يأنس بالكلام السلس ويميل إلى المألوف ويضفي إلى الصواب ويهرب من الخطأ  
وينقبض عن الوحش ويتأخر عن الجافي ولا يقبل الكلام المضطرب إلا الفهم المضطرب وليس  
شأن التحسين في إيراد المعاني لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي وإنما  
هو في جودة اللفظ وصفاته وحسنه ونقائه وكثرة طلاوته مع صحة السبك والتركيب والحلو

من أود التأليف • وإنما يطلب في المعنى أن يكون صوابا ولا يكفي في اللفظ ذلك بل لا بد أن يكون على ما وصفته من النعوت المتقدمة

فلذاتأقى الكاتب في الرسالة والخطيب في الخطبة والشاعر في القصيدة وبالغوا في تجويد الفاظها ليدلوا على براعتهم وحذقهم في صناعتهم • ولو كان المدار على المعاني فقط لطحوا أكثر ذلك وأسقطوا عن أنفسهم تعباً طويلاً على أن الكلام إذا كان لفظه عذبا سليبا ومعناه وسطا دخل في جملة الجيد كقول الشاعر

ولما قضينا من منى كل حاجة \* ومسح بالأركان من هو مسح  
وشدت على حذب المهاري رحالنا \* ولم ينظر الغادي الذي هو رايح  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا \* وسالت بأعناق المطي الأباطح

فان هذه الألفاظ رائعة معجبة مع انه ليس تحبها كبير فائدة • ثم اعلم أن المعنى إذا كان صوابا واللفظ باردا كان مستهجننا مذموما مردودا • مثاله قول عمرو بن معديكرب  
قد علمت سلمى وجاراتها \* ما قطر الفارس إلا أنا  
شككت بالرح سراويله \* والخيل تعدو زيماً حولنا

وقول أبي العتاهية

مات والله سعيد بن وهب \* رحم الله سعيد بن وهب  
يا أبا عثمان أبكيت عيني \* يا أبا عثمان أوجعت قلبي

وكما أنه لا خير في الألفاظ النافرة والتراكيب المعقدة كذلك لا خير في المعاني المستكرهة السخيفة • وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بكته ويستفصحوه إذا وجدوا ألفاظه كثة غليظة وخاسئة غريبة ويستحقرون الكلام السلس العذب ولم يعلموا أن السهل أمتع جانباً وأعز مطلباً وأحسن موقعا وأعذب مستمعاً • وقد وصف الفضل بن سهل عمر بن مسعدة فقال هو أبلغ الناس ومن بلاغته أن كل أحد يظن أن يكتب مثل كتابته فإذا رامها تمدرت عليه • ومن الكلام المطبوع السهل ما وقع به علي بن عيسى وهو « قد بلغت أقصى طلبتك وأنتك غاية بُغيتك وأنت مع ذلك تستقل كثيري لك وتستقبح حسني فيك فأنت كما قال رؤبة

كالحوت لا يكفيه شيء يلهمه \* يصبح ظمان وفي البحر فمه »

ومن المنظوم المطمئح قول البحري

أيها الراغب الذي طاب الجو \* د فأبلى كوم المطايا وأضى  
رد حياض الإمام تلقى نوالا \* يسع الراغبين طولاً وعرضاً  
هو أمدى من العمام وأوحى \* وقعات من الحسام وأمضى  
يتوخى الإحسان قولاً وفعلًا \* ويطيع الإله بسطاً وقبضاً

فَضَّلَ اللهُ جَمْفَرًا بِجَلَالٍ \* جَعَلَتْ حُبَّهُ عَلَى النَّاسِ فَرَضًا  
والجزل المختار من الكلام هو الذي تعرفه العامة إذا سمعته ولا تستعمله في محاوراتهم  
فنه في الشعر قول مُسَلِّمِ بْنِ الْوَلِيدِ

وَرَدْنَا رِوَاقَ الْفَضْلِ فَضِلَّ بِنِ جَمْفَرٍ \* خُطَّ إِلَيْنَا الْجَزْلَ نَائِلُهُ الْجَزْلُ  
بِكُفِّي أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَمَطَّرُ الْغَنَى \* وَيُسْتَنْزَلُ النِّعْمَى وَيُسْتَرْهَفُ النَّصْلُ  
وَيُسْتَعَطَّفُ الْأَمْرَ الْأَبْيَّ بِجُزْمِهِ \* إِذَا الْأَمْرُ لَمْ يَعْطَفْهُ نَقْضٌ وَلَا قَتْلُ  
وفي النثر قول يحيى بن خالد « أعطانا الدهر فأسرف ثم عطّف علينا فعسف » وقول سعيد  
ابن حميد « أنا ممن لا يحاجك عن نفسه ولا يغالطك عن جرمه ولا يلتمس رضاك إلا من  
جهته ولا يستدعي برك إلا من طريقته ولا يستعطفك إلا بالإقرار ولا يستصفحك إلا  
بالاعتذار فقد نبت بي عنك غيرة الحداثة وردتني إليك الحسنة وبعادتني منك الثقة بالأيام  
فأدّنتني إليك الضرورة فإن رأيت أن تستقبل الصنعة بقبول العذر وتجدد النعمة بطّراح  
الحقد فعلت فإن قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة وإن أيام القدرة  
وان طالت قصيرة والمتعة بها وان كثرت قليلة »



### فصل في التّسبيح

قد اتفق جميع أرباب الكلام من العرب وغيرهم على فوائد التشبيه ولم يكذب يخلو عنه كلام  
أحد منهم لأنه يزيد المعنى وضوحاً ويكسيه تأكيذاً وطلاوة . من ذلك قولك صوت فلان  
كالرعد . وكأن نثر البستان مسك . وهذا الورق مثل الحرير . والعلم كالحياة . وهذا الفرس  
كالفكر في السرعة . والخلق الكريم كالعطر . وكأن الجند جراد . وتشر . وكأنك خير  
بالمواقب . والكلام في أوانه كتفاح من ذهب في سلاسل من فضة . والجهل كالموت .  
والعدل بين العباد كالغيث في البلاد . وشعر عنقرة كالماء في السلاسة . وأوائل النار في أطراف  
الكبريت كالبنفسج . وشعره ووجهه وقده كالليل والبدر والنصن . والصالح في هذا الزمان  
كالكبريت الأحمر . واللسان البذي كالثعبان في الأذى . ورأيت زنجبياً كالفتح . والشمس  
كالرآة في يد الأشمل . والعلماء مصابيح الأرض . وزيد كالاسد يوم الوضي . وعلم لا ينفع  
كدواء لا ينجع . والكتابة في القلب كالسوس في الحشب . ويمر الوقت مر السحاب . وطبع فلان  
كالنسيم رقة ويده كالبحر جوداً وكلامه كالدرّ حستا . وقال بعضهم الكتابة قطب دائرة

الآداب وصدر أسرار الألباب ورسول صادق ولسان بالحق ناطق وسيف تُحدّ بحدّه  
المعارف وميزان يُميّز به التالذ من الطارف • ومنه قول ابن المقفع الدنيا كالماء المِلح كلما  
ازددت منه شربا ازددت عطشا • وقوله صحبة الأشرار تُورث الشرّ وصحبة الأخيار تُورث  
الخير كالريح إذا مرّت على الثمن فانها تحمل نتنا وإذا مرّت على الطيب تحمل طيبا ، وقوله من  
أنعم على من لا يشكره كان كمن نثر بذرة في أرض بور ، وقوله لا يخفى فضل ذي العلم وإن أخفاه  
كالمسك يُخبأ ويستتر ثم لا يمنع ذلك رائحته أن تفوح ، وقوله الرجل الشريف يُكرّم على  
غير مال كالأسد يهاب وإن كان رابضا والرجل الدنيء يهان وإن كان غنيا كالكلب يُحتقر  
بين الناس وإن طوّق بالذهب ، وقوله لا ينبغي أن يُفحص عن أمر المذنب لقبّح ما ينكشف  
منه كالشيء المنين كلما أُثير ازداد نتنا ، وقوله المال إذا اجتمع ولم يُصرف في الحقوق  
أسرع إليه الهلاك من كلّ وجه كالماء إذا اجتمع في موضع ولم يكن له طريق إلى الخروج  
تفجّر من جوانبه فضاع ، وقوله يبقى الصالح من الرجال صالحا حتى يصاحب فاسدا فإذا  
صاحبه فسد مثل مياه الأنهار تكون عذبة حتى تخالط ماء البحر فإذا خالطته ملحت • ومن  
التشابهية الشعرية قول لبيد

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه \* يحور رمادا بعد إذ هو ساطع  
وما المال والأهلون إلا ودائع \* ولا بد يوما أن تُردّ الودائع

وقال الأخطل

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد \* ذخرا يكون كصالح الأعمال

وقول النابغة في النعمان

كأنك شمس والأنام كواكب \* إذا طلعت لم يبداً منهن كوكب

وقول مسلم بن الوليد

وإني وإسمعيل يوم وداعه \* لكالغمد يوم الرّوع فارقه النصل

وللمتنبّي في وصف ظبي

أغناه حُسن الجبّد عن لبس الحلي \* وعادة العُري عن التفضّل

كأنه مُضخّج بصنديل

وقوله في سرعة الأوبة وتقليل اللبث

وما أنا غيرُ سهمٍ في هوائٍ \* يعود ولم يجد فيه امتساكا

وقوله

وأنت حُسام الملكِ والله ضارب \* وأنت لواء الدين والله عاقد

وله أيضا

ملكٌ سينانٌ قتانه وبناؤه \* يتباريان دما وغينا ساكبا

كالبدْر من حيث التفت رأيتَهُ \* يُهدي الى عينيك نوراً ثاقباً  
كالشمس في كبد السماء وضوءها \* يَغشى البلادَ مشارقاً ومغارباً  
كالبحر يقذف للقريب جواهرأ \* جُودًا ويبعثُ للبعيد سحاباً

والطريقة المسلوكة في التشبيه عن القدماء هي أن يشبه الجواد بالبحر أو المطر والشجاع  
بالأسد والحسنُ بالشمس أو القمر والفهمُ الماضي بالسيف والعالي الرتبة بالنجم والحليم الرزين  
بالجيل والحيان بالصيفرود والطائشُ بالفراش والذليل بالنقد أو النعل والقاسي بالحديد أو الصخر  
والبليدُ بالجماد. وقد شُهر قوم بنخصال حميدة فصاروا فيها أعلاماً فجروا مجرى ما قدمته كالسموأل  
في الوفاء وحاتم في السخاء والأحنف في الحلم وسحبان في البلاغة وقس في الخطابة ولقمان  
في الحكمة. وقد شهر آخرون بأضداد هذه الخصال فُشبه بهم في حال الذم كباقل في العيِّ  
وهبنة في الحنق والكسعي في الندامة ومادر في البخل

ومما يجب أطراحه من التشبيه ما يكون فيه بعدد بين المشبه والمشبه به في الصفة التي يراد  
اشتراكها فيها أو يكون فيه قبح وبشاعة. مثال الاول قول أبي نواس  
ما رَجَلِ المالِ أمست \* تشتكي منك الكلالا

فإنه جعل للمال رجلاً وذلك تشبيه بعيد كما لا يخفى. ومثال الثاني قول أبي تمام  
وتعلمَ الناسُ السخاءَ مُجْزأ \* وذهبتَ أنتِ برأسِهِ وسنامِهِ  
وتركتَ للناسِ الإهابَ وما بقي \* من قرنه وعروقه وعظامه  
والقبح الفاحش في البيت الثاني. وكلُّ ذلك التعسف في هذا التشبيه البعيد ذنبةٌ حول معنى  
لا طائل تحته إذ غرضه أن يقول ذهبت بالأعلى وتركت للناس الأدنى أو ذهبت بالجيد وتركت  
للناس الرديء. وقول بعضهم يصف السهام فشبَّها بأعناق الطباء وهو من أبعده التشبيهات  
كساها رطيبُ الريش فاعتدلت له \* قداحُ كأعناقِ الطباءِ الفوارقِ  
وعلى نحو من ذلك قول الفرزدق

يمشون في حلق الحديد كما مشت \* جُرِبُ الجمالِ بها الكحيلُ المُشكَلُ

فإنه شبه الرجال في دروع الزرد بالجمال الجرب وهذا من التشبيه البعيد السخيف. وقد عدّوا  
من التشابه التي هي غير بليغة قول الشاعر في وصف الروض

كأن شقائق النعمان فيه \* ثيابٌ قد روينَ من الدماءِ

فهذا وإن كان تشبيهاً مضيئاً لا يخلو من الذم لبشاعة الدماء التي تعاف الأنف لللطيفة رؤيتها  
ولاسيما مع الكثرة التي تدل عليها لفظة روين. ومما يذم أيضاً قول النابغة وقد عابه الأصمعيُّ  
بين يدي الرشيد وهو

نظرت إليك بحاجة لم تقضها \* نظرَ المريضِ إلى وجوهِ العودِ

قال الأصمعيُّ يكره تشبيه الممدوح بالمريض إذ لا شك أنه ينفر منه كلُّ طبع سليم. ومثله قول

أبي محجَّين التَّقِيَّ في قِيَّة

وَتُرْجِعُ الْعُودَ أحياناً وَتَحْفَظُهُ \* كما يَطِيرُ ذَبَابُ الرُّوضَةِ الْعَرْدُ  
فان تشبیه الانسان بالذباب قبيح يشع يدل على سخافة عقل من يستعمله • وهالك نجبة أمثلة  
في التشبيه تغني الأستاذ عن السبي وراء غيرها وتكفل للتلميذ بعظيم الفائدة إذا تبعتها

ونار نُجُها بين الغصون كأنه شمس عقيق في سماء زَبْرَجِدِ

يا من له شعر كحظي أسود جسمي نحيل من فراقك أصفر

العلم في الصدر مثل الشمس في الفلك والعقل للمرء مثل التاج للملك

عزماته مثل النجوم نواقبها لو لم يكن للثقاب أفول

أبتلني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

كأن مئثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوي كواكب

حُمُرُ الشقيق كأنها أعلام يا قوت تُشرن على رماح زبرجد

يا صاحبي تقصيا نظريكما \* تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهاراً مشمساً قد شابه \* زهر الرب فكأنما هو مقير

كأن قلوب الطير رطباً وبابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

ألشمر مسك والوجوه دنا نير \* وأطراف الأكف عنم

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالإيالي

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أفاح

الخد ورد والعذار رياض والطرف ليل واليباض نهار

كأن أجرام النجوم لوامعا درر تُشرن على بساط أزرق

كأنما النار في تلهبها \* والفحم من فوقها يغطيها

زنجية شبت أناملها \* من فوق نارنجة لتخفيها

العمر والإنسان والدينا هم كالظل في الإقبال والإدبار

البدر في كبد السماء كدرهم \* ماتى على دياجة زرقاء

إصبر على كيد الحسو \* د فان صبرك قاتله

كالنار تأكل نفسها \* إن لم تجد ما تأكله

الشمس لا تشرب خمر الندى في الروض إلا بكووس الشقيق

الخل كماء يبدي لي ضائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سودا تكافية الغراب الأسحم

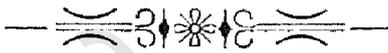
إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجه كسرها لا يجبر

الريح تعبت بالغصون وقد جرى \* ذهب الأصيل على لجين الماء

سوداء وافحة الحية  
 ربّ حيّ كميّتٍ ليس فيه \* أمْلُ يربحى لنفع وضرّ  
 وعظام تحت التراب وفو \* ق الأرض منها آثار حمدٍ وشكر  
 وإذا أشار محيّا فكانه \* قردٌ بقمقه أو عجوزٌ تُلطمُ  
 كأنما الفحم والجمر في لهبٍ \* بحرٌ من المسك في موجٍ من الذهب  
 وبدا الصباح كأن غرته \* وجه الخليفة حين يُمدحُ  
 وزاد بك الحسنُ البديع نضارة \* كأنك في وجه الملاحه خال  
 العيش نوم والمثية يقظة \* والمرء بينهما خيال ساري  
 وإنما مثل الآداب تجمعها \* في عنفوان الصبا كالتقش في الحجر  
 كأن عيون النرجس الغضّ بيننا \* مداهنٌ درّ حشوهنّ عقيقُ  
 كأن سهيلا والنجوم وراءه \* صفوفٌ صلاةٍ قام فيها إمامها  
 يفتّر عن لؤلؤ رطبٍ وعن بردٍ \* وعن أقاحٍ وعن طلحٍ وعن حبّ  
 فوجهك كالنار في ضوئها \* وقلبي كالنار في حرّها  
 غيثٌ وليث فغيث حين تسأله \* عُرقاً وليث لدى الهيجاءِ ضِرغامُ  
 آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم \* في الحادئات إذا دجون نجومُ  
 منها معالمٌ للهدى ومصابحُ \* تجلو الدجى والأخريات رجوم  
 وفي النفس حاجات وفيك فطانة \* سكوتي كلامٌ عندها وخطابُ  
 المستجير بعمر وعند كربته \* كالستجير من الرمضاء بالنار  
 لم نلق غيرك إنسانا يلاذ به \* فلا برحت لعين الدهر إنسانا  
 من يصنع الخير مع من ليس يعرفه \* كواقد الشمع في بيتٍ لعسميان  
 وإن صخرأ لتأتم الهداة به \* كأنه علمٌ في رأسه نارُ  
 وتظلّ تسبح في الدماء قبايهم \* فكأنهنّ سفائنٌ في أبحرٍ  
 كم صدمة لك فهم مشهورة \* غصّ العراقُ بذكرها والشامُ  
 في مازق فيه الأسنّة والظبي \* برقٌ ونقع العاديات غمامُ  
 الضربُ قد صبغ النصول كأنما \* تشقّ عن زهر الشقيقِ ككامُ  
 قوم إذا اقتحموا العجاج رأيتهم \* أسدًا وختلّت وجوههم أقمارا  
 ووضع الندى في موضع السيف بالعلی \* مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى  
 يُفني البخيل بجمع المال مدته \* وللحوادث والأيام ما يدعُ  
 كدودة القز ما تبنيه يهدمها \* وغيرها بالذي تبنيه يتفّعُ  
 إنما النفس كالزجاجة والعد \* م سراجٌ وحكمة الله زيتُ

وغيرُ تقيٍّ يأمرُ الناسَ بالتي  
 وما المرءُ إلَّا كأللالٍ وضوءه  
 هو البحرُ من أيِّ النواحي أتته  
 أحفظُ لسانك أيها الإنسانُ  
 أخاك أخاك إنَّ من لا أخا له  
 إذا طاوعتَ نفسك كنتَ عبدا  
 يحنُّ الزمانُ كثيرةً لا تنقضي  
 وجدتُ الرفقَ أبلغَ في السمويِّ  
 وما الموتُ إلَّا رحلةٌ غيرُ أنها  
 وما بلدُ الفتى إنَّ كان فيه  
 ولم أرَ في عيوبِ الناسِ شيئا

طيب يداوي الناسَ وهو مريضٌ  
 يوافي تمامَ الشهرِ ثمَّ يغيبُ  
 فليجته المعروف والجود ساحلهُ  
 لا يلدغَنَّك إنه ثعبانُ  
 كساعٍ إلى الهيجي بغير سلاحٍ  
 لكلِّ دنيَّةٍ تدعى إليها  
 وسروره يأتيك كالأعيادِ  
 ولم أرَ كالتواضع في الملوِّ  
 من المنزل الثاني إلى المنزل الباقي  
 قليلُ المالِ إلَّا دارُ عُصبةٍ  
 كتقص القادرين على الكمالِ



### فصل في الحقيقة والمجاز

الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب • والمجاز هو اللفظ  
 المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي • وبيان ذلك أن  
 المخلوقات كلها تفنقروا إلى أسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه لأجل التفاهم بين  
 الناس • فالاسم الموضوع بإزاء المسمَّى هو حقيقة له • وإذا نقل إلى غيره لعلاقة وقرينة  
 صار مجازا • مثال ذلك لفظ شمس إذا أريد به ذلك الكوكب العظيم الكثير الضوء فإنه يكون  
 حقيقة لأنه وضع بإزائه • وكذلك لفظ بحر إذا أريد به الماء العظيم المجتمع الذي طعمه  
 الملوحة فإنه يكون حقيقة أيضا لأنه وضع بإزائه • فإذا نقلنا الشمس إلى الوجه الحسن كان  
 ذلك مجازا لا حقيقة • وكذا إذا نقلنا البحر إلى الرجل الجواد

ثم اعلم أن المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة عند أرباب البلاغة لأن فائدة الكلام الخطابي  
 إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد يُنظر إليه عيانا • ألا ترى  
 أن حقيقة قولنا رأيت أسداً على فرس هي رأيت رجلاً شجاعاً لكن فرق بين القولين  
 في إثبات الغرض المقصود في نفس السامع لأن الثاني لا يتخيل منه السامع سوى أنه رجل  
 جريء مقدم وأما الأول فيتخيل منه صورة الأسد وهيئته وما عنده من البطش والقوة •  
 وإذا ورد عليك كلامٌ يجوز أن يحمل معناه على الحقيقة والمجاز فإن كان لا مزية في جملة على

المجاز فلا ينبغي أن يحمل إلا على الحقيقة لأنها هي الأصل والمجاز فرع عنها ولا يُعدل عن الأصل إلى الفرع إلا لدواع

وقد جاء من الاستعارات في كلام العرب وغيرهم شيء كثير . منه قولهم هذا رأس الأمر ووجهه ورأس المال . وهذا الأمر في جنب غيره يسير . وانشقت عصاهم . وشالت نعماتهم . وكشفت الحرب عن ساقها . وأبدى الشرُّ ناجذيه . وحمي وطيس القتال . ودارت رحي الحرب . وافترَّ الصبح عن نواجذه . وسُلَّ سيف الصبح من غمد الظلام . ووهي نطاق الجوزاء . وانحطَّ قنديل الثريا . وارتفع النهار . وخفقت رايات الظلام . ونوّرت حدائق الجوّ . وشاب رأس الليل . وقام خطيب الرعد . وانقطع شريان الغمام . ولبس الليل جلبابه . وتنفس الريح . وتعطر النسيم . وتبرّجت الأرض . وقوي سلطان الحرّ . وانحسر قناع الصيف . وجاشت حيوش الخريف . ودبت عقارب البرد . ونحك السحاب بالبرق . وصفق الرعد . وبكت السماء . ودوّت لفلان طبول البشار . واهتزّت القلوب لمجيئك طربا . وتمايلت لرؤبتك عجبا . وطار قلبي فرحا . وسكر البطلُ من دماء أعدائه . وأحيا الله البلاد بوجودك . ومن باع دينه بدنياه لم ترح تجارته . ولك عندي يد بيضاء . وباح الصباح بسرّه . وعدل الزمان . واتسع الخرق على الراقع . وخرج قومي من ظلمات الشك . وأمطرت عين الثاكلة دما . ولا تركب كتفي غريمك . وأنا على بصيرة من أمرك . والتمام جسر الشر . والنور يضاحك الشمس . والبلاء موكلٌ بالمتطق . واذكروا هاذم اللذات . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة . وأذاقها الله لباس الجوع والخوف . واشتعل الرأس شيبا . وصبّ عليهم ربك سوط عذاب . وسكت الغضب عن فلان . وقال خالد بن صفوان لرجل ، رحم الله أباك فإنه كان يقري العين جمالا والأذن بيانا . وقال أعرابي لا خير يسار النفس خير من يسار المال . وقال آخر في حرب ، جعلوا الحرب أرشية الموت واستقوا بها أرواح الأنام . ومدح أعرابي رجلا قال ، كان يفتح من الرأي أبوابا منسدة ويغسل من العار وجوها مسودة إذا عرضت له زينة الدنيا هجنتها صورة الحمد عنده . وقال أعرابي لرجل ، لا تدنّس شعرك بعرض فلان فإنه سمين المال مهزول المعروف قصير عُمر الغنى طويل حياة الفقر . وذم آخر قوما فقال ، هم أقلّ ذنوبا إلى أعدائهم وأكثر تجرّما على أصدقائهم يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء . وقال غيره في قوم زهاد ، فاز قوم أدبهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ورحل عنهم التسويف الذي قطع به الناس مسافة آجالهم وأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال وتركوا النعيم ليتنعموا . ووصف أعرابي قومه فقال ، إذا اصطقوا تحت القتام سفرت بينهم السهام بوقوف الحمام وإذا تصاحفوا بالسيوف ففرت المنايا أفواها فكم من يوم عارم قد أحسنوا أدبه وحرب عبوس قد ضاحكتها أسنتهم وخطب قد ذبلوا مناكبهم إنما كانوا كالبحر الذي لا ينكمش غماره ولا يُنهنه تياره . وقيل

لأعرابي لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلي • وإليك نبذة أمثلة في الحجاز من كتابي أساس البلاغة (١)

نور الحق لا يخفى • رأيت أسدا يرمي بالنبال • بشر الذين كفروا بعذاب أليم • إني  
أراني أعصر خمرا • إجماع الناصي نساوزه • هذه ليلة ساهرة • أذكرني بلسان صدق •  
إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى • يفيض نهر النيل في شهر مسرى • لأصلبكم في  
جذوع النخل • أحرقت النار • هذا سيل مغمم • خلع الثوب • أنت في عيشة راضية •  
جدّ جدّ فلان • نام الليل • سلك الطريق • بنى الإسكندر المدن العديدة • سمعت خطيبا  
يتكلم بالدرر • أرسل القائد العيون أمام جيشه • شاهدت بحرا يعلم الناس • رعت  
المواشي الغيث • أمطرت السماء نباتا • لا تحملوا أصابكم في آذانكم • أجمعت الأمم على  
تحرير الرقاب • إنصرف الديوان • الزاهدون في الدنيا يخلدون في رحمة الله • أكل فلان  
قصره • حضر المصريون معرض باريس سنة ١٩٠٠ • أغلب أهل السودان مجمدو الجبين •  
الأهرام صنع الفراعنة • لا تشرب إلا بُنّا يمينا • طحنت خبزا • إستعدت المدينة للقتال •  
إقضى واجباتك في أوقاتها • الدنانير ضرب الأмир • تقف السفن على شواطئ البحار • قلما  
يُستعمل أيامنا الطير في الصيد • سقاني الطيب الصحة • والله إن الزهاد لعلي هدى  
من الحقيقة • يمين الدهر في الأخذ أسرع منها في الإعطاء • بالمسجد قر يسبح ربه •  
رسول السرور حلّ الفؤاد • لاقيت حية تشتم الناس • جالست نهرًا يتنقع به الجميع • أخذت  
الآداب عن بحر عميق شريف النفس • عمّ الناس كرمك • إمتلا ذهني من لجة البلاغة •  
عرق جبين النسيم وابتل جناح الهواء وضربت خيمة الغمام واغرورقت مقلة السماء ولمعت  
سيوف البرق • من أتبع الشيطان فقد استحق النيران فهل له من منقذ • وافق شن طبقة •  
لأمر ما جدع قصير أنفه • عند الصباح يحمد القوم التّرى • كتب بعضهم إلى صاحب  
له يعتذر عن كتاب كتبه إليه ليلا بقوله : كتبه المملوك ليلا وقد عمشت عين السراج  
وشابت لمة الدواء وكل خاطر السكين وضاق صدر الورق فإذا نطق لسّدي بعيب فليوسع  
له جانبا من حلمه

طوبى لعبدٍ بجبل الله معتصمه \* على صراط سويّ ثابت قدمه  
رثّ اللباس جديد القلب مستتر \* في الأرض مشتهر فوق السماء سمة  
فامطرت لؤلؤا من زجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

(١) أغلب الأمثلة التي أوردتها في هذا الجزء للتشبيه والحجاز والسكنانية والبيديع من كتابي «أساس البلاغة» وهو كتاب نفيس في علوم المعاني والبيان والبيديع ألفته من بضع سنين على طريقة مبتكرة وقد شهد بحسنه لفيف من البلغاء الأماثل الذين اطلعوا عليه وفضلوه على سواء مما ألف في هذا الباب إلى أيامنا هذه ولم تسع لي فرصة طبعه إلى الآن ولكن كل آت قريب إن شاء الله

أَلَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ  
لَهُ لَبْدُ أَظْفَارِهِ لَمْ تُقَلِّمِ  
مَنْ عَيَّوْنَ الشُّحْبَ يَذْرِفُ  
لِجَنَاحِ الْعِلْمِ آدَابًا

جَنِيبٌ وَجَنَانِي بِمَكَّةَ مَوْثِقُ  
فَلَسَانَ حَالِي بِالشَّكَايَةِ أَنْطَقُ  
يُرَكِّثُ الْغَدَاةَ وَمَرَّ الْعَشِيِّ  
قَلْبَ الْبِخْلِ وَأَحْيَا السَّمَاحِ  
وَقَضَى الزَّمَانَ بَيْنَهُمْ قَتَبَدَدُوا  
نَشَرَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ  
وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ السَّقَمُ  
إِنَّ الزَّمَانَ بِمَثَلِهِ لِبَخِيلُ  
مُحَاوِلٌ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ  
نَوَاجِذُ أَقْوَامِ الْمَنَايَا الضَّوَاحِكِ  
يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ  
نَتَائِي عَلَى تِلْكَ الْعَوَارِفِ وَارْفُ  
لِشُكْرِي عَلَى تِلْكَ الْإِطَائِفِ طَائِفِ  
لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَسَابَةِ

مِصَابِي قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ  
وَكُلُّ مَكَانٍ يُنَبِّتُ الْعِزَّ طَيِّبُ  
وَأَسْعَفْنَا فِيمَنْ نَحَبٌ وَنَكْرَمُ  
وَصَيَّرْنَا النُّفُوسَ لَهَا مَتَاعًا \*  
نَحَاضُ غَبَارَهَا وَشَرَى وَبَاعًا \*  
يَدَاوِي رَأْسَ مَنْ يَشْكُو الصَّدَاعَا \*  
عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحِزْمٌ وَنَائِلُ  
فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانُ  
بِمَنْزِلَةٍ فِيهَا الْعَزِيزُ ذَلِيلُ  
لَهُ عَن عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ  
ضَلَّتْ وَإِنْ تَقْصِدُ مِنَ الْبَابِ تَهْتَدِي  
لَا بَارِكَ اللَّهُ بَعْدَ الْعَرَضِ فِي الْمَالِ

وَإِذَا الْمَيْتَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا  
لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مَقْدَفِي  
فَوْقَ خَدِّ الْوَرْدِ دَمْعٌ  
أَمَرْتُ أَغْصَانُ هَمَّتِي  
هُوَ أَيُّ مَعَ الرِّكْبِ الْيَمَانِينَ مَصْعَدِي  
وَلَيْتَنِي نَطَقْتُ بِشُكْرِ بَرِّكَ مَفْصَحَا  
أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرِ  
جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامِ  
دَعَتِ النَّوَى بِفِرَاقِهِمْ فَتَشْتَتُوا  
قَصَرَ عَلَيْهِ نَحِيمَةٌ وَسَلَامُ  
الْمُجِدِّ عَوْفِي إِذْ عَوْفِيَتَ وَالْكَرْمُ  
هِيَاةً لَا يَأْتِي الزَّمَانَ بِمَثَلِهِ  
مُكَارَمٌ لَجَّتْ فِي عِلْمٍ كَأَنَّمَا  
إِذَا هَزَّهُ فِي عَظَمِ قَرْنٍ تَهَلَّلَتْ  
مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانَ فَإِنَّهُ  
وَكَمْ سَبَقَتْ مِنْهُ إِلَيَّ عَوَارِفُ \*  
وَكَمْ غَرَّرَ مِنْ بَرِّهِ وَلِطَائِفِ \*  
عَضَّنَا الدَّهْرَ بِنَسَابَةِ

بَذَا قَضَتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا  
وَكُلُّ أَمْرِي يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مَحَبَّبُ  
أَبِي دَهْرِنَا إِسْعَافَنَا فِي نَفُوسِنَا  
أَقْنَمْنَا بِالذَّوَابِلِ سَوَاقِ حَرْبِ \*  
حِصَانِي كَانَ دَلَالِ الْمَنَايَا \*  
وَسَيِّفِي كَانَ فِي الْهَيْجَى طَيِّبَا \*  
أَلَا فِي سَبِيلِ الْمُجِدِّ مَا أَنَا فَاعِلُ  
أَحْسَنَ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ  
إِذَا الْمُرءُ لَمْ يَغْلِبْ هَوَاهُ أَقَامَهُ  
إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبُ تَكَشَّفَتْ  
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ  
أَصُونُ بِمَالِي عَرَضِي لَا أَدْنَسُهُ

والجهل يقعد بالفق المنسوب  
 فأغرة نحو رداها فاهها  
 يُلبس القلب لباس قسوة  
 فالصبر يفتح منها كل ما ار تُتجا  
 فإذا اكتسبت به فانك عاري  
 ولا يلتام ما جرح اللسان  
 يدل على قدر العقول التكلم  
 فالحرّ لاحرّ معوان على الزمن  
 فانك قد أسأت الى الكرامة  
 صيره الدهر الى تدمير  
 روض الاماني لم يزل مهزولا  
 راح به الوعظ يوما أو غدا  
 أدبه الليل والنهار

مال يصون عن التبذل نفسه  
 أليس داعي المنايا خلفه حطّم  
 ككفل الثناء له بمحرّثان  
 فهتد اليه سبيل النجاح  
 فشاوّر حكيما ولا تعصه  
 فاستصحب الصبر الآ فاز بالظفر  
 ولكن حبّ النفس للنفس قائد  
 بوادر نحمي صفوه أن يُكدر  
 وضميده من حرّه يتأوّه  
 فالدهر يقعد للأقوام بالرصد  
 إلا اذا اعتمهم الإنسان بالكسل  
 إن تحت الضلوع داء دويّا  
 ورداء الفقر من نسج الكسل  
 وليس يموت المرء من عشرة الرّجل  
 أنصف في الحكم بين شيئين  
 وذلك اذا جاد دامع العين  
 يطيع العوالي ركبته كلّ لهمم

العلم ينهض بالحسب الى العلى  
 النفس إن أتبعها هواها  
 إن أتباع المرء كلّ شهوة  
 إن الأمور اذا استدتت مسالكها  
 ثوب الرياء يشفّ عما تحته  
 جراحات السنان لها التثام  
 زن القول من قبل الكلام فاعما  
 ساعد صديقك في أمر يحاوله  
 متى تضع الكرامة في لئيم  
 من أرم الأمر بلا تدبير  
 من كان مرعى عزمه وهمومه  
 من لم يعظه الدهر لم ينفعه إن  
 من لم يؤدبه والداه

نعم المعين على المروءة لافتي  
 هب الفتى نال أقصى ما يؤمله  
 واذا التقي مضى وولّى عمره  
 اذا كنت في أمر شارعا  
 وإن باب أمر عليك التوى  
 وقل من جدّ في أمر يحاوله  
 وكلّ يرى طرق الشجاعة والندى  
 ولا خير في حلم اذا لم تكن له  
 وربما ابتم اللبيب من الأذى  
 لا تأمن الدهر مساء ومصبحه  
 وكلّ عالم جناه ممكن أبدا  
 لا يفرّتك ما ترى من رجال  
 يعقب الشغل نجاح وغنى  
 يموت الفتى من عشرة بلسانه  
 من قاس جدواك بالغمم فما  
 أنت اذا جدت ضاحك أبدا  
 ومن يعص أطراف الرماح فانه

لولا تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد متطقي  
يا واددا شور عيش كله كدره أنفتت صفوك في أيامك الأول  
وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود  
إزرع جبالاً ولو في غير موضعه \* فلن يضيع جميل أينما زرعاً  
إن الجميل وإن طال الزمان به \* فليس يحصده إلا الذي زرعاً  
إذا جاء موسى وأتى العصا فقد بطل السحر والساحر



### فصل في الكناية

إذا أطلق اللفظ وكان المراد منه غير معناه فلا يخلو إما أن يكون معناه الأصلي مقصوداً  
أيضاً ويكون وسيلة إلى المراد وإما ألا يكون مقصوداً فالأول الكناية والثاني المجاز  
فالكناية عند علماء البيان نلفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادة ذلك المعنى معه كلفظ  
طويل النجاد المراد به طول القامة فانه يجوز أن يراد منه طول النجاد أيضاً • فهي تخالف  
المجاز من جهة إمكان ارادة المعنى الحقيقي مع ارادة لازمه بخلاف المجاز فانه لا يجوز فيه ارادة  
المعنى الحقيقي لازوم القرينة المانعة من ارادته • ومثل ذلك قولهم « كثير الرماد » يعنون به  
أنه كثير القرى وقول الحضرمي

قد كان أمجيب بمضين براعتي \* حتى رأين تنحجحي وسعالي

كفى عن كبر السن بتوابعه وهي التنحج والسعال • وقولهم المجدبين ثوبيه والكرم بين  
برديه • وقوله

إن المروة والسماحة والندى \* في قبة ضربت على ابن الحشرج

وقد تعدد الكناية في البيت الواحد كما في قوله

وما بك في من عيب فاني \* جبان الكلب مهزول الفصيل

فإن جبان الكلب كناية وكذا مهزول الفصيل والمراد منهما تبوت الكرم وكل واحد على  
حدثها تؤدّي هذا المعنى • وقد جاء عن العرب كنايةات كثيرة كقول بعضهم

بيض المطايخ لا تشكو إماؤهم \* طبخ القدور ولا غسل المناديل

ويروى أن خلافاً وقع بين بعض الخلفاء ونديم له في مسألة فاتفقا على تحكيم بعض أهل

العلم فاحضر فوجد الخليفة مخطئاً فقال القائلون بقول أمير المؤمنين أكثر « يريد الجهال »

وإذا كان الرجل أحق قيل نعمته لا ينصرف • ونظر البديع الهمداني إلى رجل طويل بارد

فقال قد أقبل ليل الشتاء • ودخل رجل على مريض يعود وقد أقشعر من البرد فقال ما نجد

فديتك قال أجديك « يعني البرد » وإذا كان الرجل ملولاً قيل هو من بقية قوم موسى • وإذا

كان مُاجِدًا قيل قد عبر « يريدون جسر الإيمان » • وإن كان يعني الألب في المواكلة  
 قيل تسافر يده على الحوان ويرعى أرض الحيران • ويقال عمن يُكثر الأسفار فلان لا يضع  
 العصا عن عاتقه • وجاء في القرآن « أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا » فإنه كنى  
 عن الغيبة بأكل الانسان لحم الانسان وهذا شديد المناسبة لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس  
 وتمزيق أعراضهم وتمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يفتابه • ومن أمثال العرب  
 قولهم لبستُ لفلان جلد النمر وجلد الأرقم كناية عن العداوة • وكذلك قولهم قلبتُ له ظهر  
 الحن كناية عن تغيير المودة • ويقول القوم فلان بريء الساحة إذا برأوه من تهمة ورحبُ  
 الذراع إذا كان كثير المعروف وطويل الباع في الأمر إذا كان مقتدرًا فيه وقوي الظهر  
 إذا كثرت ناصروه • ومن ذلك أن المنصور كان في بستان له أيام محاربتة ابرهيم بن عبد الله  
 ابن الحسن فنظر الى شجرة خلافي فقال للربيع ما هذه الشجرة فقال طاعة يا أمير المؤمنين  
 فتفاهل المنصور به وأعجب من ذكائه • ومثل ذلك ان رجلا مرّ في سخن دار الرشيد ومعه  
 حزمة خيزران فقال الرشيد للفضل بن الربيع ما ذلك فقال عروق الرماح يا أمير المؤمنين وكره  
 أن يقول الخيزران لموافقته اسم والده الرشيد • ومن كلامهم فلان طويل الذيل يريدون انه  
 غني حسن الحال • وعليه قول الحريري

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن \* فكيف حال غريب ماله قوت

وكذلك قولهم فلان طاهر الثوب أي منزّه عن السيئات • وفلان دنس الثوب أي متلوّث  
 بها • قال امرؤ القيس

ثياب بني عوفٍ طهاري نقيّة \* وأوجههم عند المشاهد غيرات

ويقولون فلان غمر الرداء إذا كان كثير المعروف • قال كُشَيْر

غمز الرداء إذا تبسم ضاحكا \* غلّت لضحكته رقاب الملال

ومن الكنايات اللطيفة ما ذكرها الأديب في الشيب والكبر فيقولون عرضت لفلان  
 فترة وعرض له ما يمحو ذنوبه • وأمر ليله ونور غصن شبابه وفضض الزمان أبنوسه  
 وجاءه النذير وقرع ناجد الحلم وارتاض بلجام الدهر وأدرك زمان الحنكة ورفض غيرة الصبا  
 ولبي داعي الحجي • ومن كناياتهم عن الموت استأثر الله به وأسمده بجواره ونقله الى دار  
 رضوانه ومحلّ غفرانه واختار له النقاة من دار البوار إلى دار الأبرار • ومن الكنايات أيضا  
 ان يقام وصف الشيء مقام اسمه كما ورد في القرآن « وحملناه على ذات ألواحٍ ودُسر » يعني  
 السفينة فوضع صفها موضع تسميتها • وورد فيه « إذ عُرضَ عليه بالعشي الصافياتُ  
 الجيادُ » يعني الخيل • وقال بعض المتقدمين

سألت قتيبة عن أبيها صحبة \* في الروح هل ركب الأغر الأشقرا

يعني هل قيل لأن الأغر الأشقر وصفُ الدم فأقامه مقام اسمه • ومن كلامهم فيها

ذرى منبر صلي علينا وسلمنا  
 جواد فما بقي على المال باقيا  
 تمكن في قلوبهم النبلا \*  
 وتبعه الكرامة حيث مالا \*  
 وألقت في يد الريح الترابا  
 في آل طلحة ثم لم تحوّل  
 ولا بجزّار على ظهري وضم  
 اشمر حتى ينصف الساق وتزري  
 والطاعنين بجامع الأضغان  
 فاني إلى قوم سواكم لأميل  
 لجاد بها فليتيق الله سائلة  
 للراغبين زهادة في المسجد  
 ومبشّتهم فوق الحيات الضمير  
 ووجهك وضاح وتغرك باسم \*  
 إلى قول قوم أنت بالغيب عالم \*  
 بذلوا النفوس وفارقوا الأعمارا  
 أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا  
 ظمئت وأي الناس تصفو ومشاربه  
 وأسمنت كلماتي من به صمم  
 والسيف والرمح والقرطاس والقلم  
 إلّا إلى ضاحك منا ومبتسم  
 وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا  
 فصدر الذي يستودع السرّ أضيق  
 مخافة أن أعيش بلا صديق  
 ما لم تنال بالعنف وانتمني  
 فإذا الفقر شرّها والسؤال  
 ك القريب النسيب نارًا وعارا  
 وقد بلي الحديد وما بليت  
 فالأرض من تربة والناس من رجل  
 أحلى من الشهد نخشى عنده الخطرا

إذا ما أمرنا سيّدا من قبيلة  
 فتى كملت أوصافه غير أنه  
 تكاد قسيّة من غير رام \*  
 ونكرم جارنا مادام فينا \*  
 إذا ما سابتها الريح فرّت  
 أو مارأيت المجد القى رحله  
 لست براعي إبل ولا غنم  
 وكنت إذا جاردعا بغموم  
 أنصار بين بكلّ أبيض مخزم  
 أقيموا بني أمي صدور مطيكم  
 ولو لم يكن في كفه غير روحه  
 ما زلت ترغب في الندى حتى بدت  
 قوم بيت على الحشايا غيرهم  
 تمرّ بك الأبطال كلّي هزيمة \*  
 تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي \*  
 وإذا الصريح دعاهم للملّة  
 هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا  
 إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى  
 أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي  
 الخيل والليل والبيداء تعرفني  
 لا يرفع الضيف عيناً في منازلنا  
 إذا أنت أكرمت الكريم ملكته  
 إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه  
 أغمض للصديق عن المساوي  
 تنال بالرفق وبالتأني  
 ذقت كلّ الطعوم خلوا ومرّا  
 ربما سرّك البعيد وأصلا  
 خلقت من الحديد أشدّ قلبا  
 شرق وغرب نجد من معرض عوضا  
 عيش وملح ولا خوف يكدره

قد يجمع المال غير آكله  
 كم منزل في الأرض يألفه الفتى  
 لله أسرار مع التدبير  
 من يلدغ الناس يجد من يلدغه  
 وإذا جهلت من امرئ أعراقه  
 وكم من حافر لأخيه إيلا  
 ومن يك ذا فمٍ مريء مريض  
 من قنع استغنى ولاقى حظاً  
 من يستمن بالرفق في أمره  
 ويأكل المال غير من جمعة  
 وحينه أبداً لأول منزل  
 بحار فيها بصر البصير  
 لا يُعَدُّ الباطل حقاً يدمنه  
 وقديمه فانظر إلى ما يصنع  
 تردى في حفيرة نهارا  
 يجد مرأً به الماء الزلالا  
 ولم يخف لائمة ووعظا  
 يستخرج الحية من وكرها



### لمعة من علم البديع

ما كنت أراني أحسن صنعا إن لم أفلد هذا الباب بقلادة درية من علم البديع لأنه بديع كاسمه ويعجب حينما يقع ويروق أينما يزور فتهتز له النفوس وتتوق إلى موائده الأذواق وتقرّ بمرأى رياضه الأعين إذ أنه للكلام كالملاح للطعام والحال للوجبات والشية للخيال المسومات ولكن لا ينبغي الإفراط من إيراد أنواعه في الكلام لئلا تضيع مزيتها بتراكمها فان الملاح والحيلان والشية مع حسنهما المعروف إذا زادت عن حدّها قبح وجودها ومجتها الطباع وخاطبتها بقولها

لو اختصرت من الإحسان زرتكم \* والعذبُ بهجر الإفراط في الخصر  
 وحدّه عند القوم علمٌ يعرف به وجوه تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال . وكان المتقدمون يقتصرون على علمي المعاني والبيان لحصول الحسن الذاتي بهما ولم يذكروا من البديع إلا بعض أنواع في آخرها إلا أن المتأخرين لم يكتفوا بذلك بل وجهوا حياض عنايتهم إلى الحسن العرضي أيضا لعلهم ان الذاتي يزداد حسنا به فدوّنوا البديع وجملوه علما مستقلا وزادوا على أنواعه أشياء كثيرة حتى أوصلوها إلى زهاء المئتين

هذا ولما كان الغرض من كتابي هذا سقي الطلاب غيث البلاغة وتدريبهم على محسنات اللغة استحسننت أن أسرد لهم ههنا بعضاً من الأمثلة المشتملة على شيء من أنواع البديع حتى يستأنسوا بها وينسجوا على منوالها

« مثال التورية المجردة »

كأن نيسان أهدى من ملايسه \* لشهر كانون أنواعاً من الحلال

أوالنزلة من طول الذي خرفت \* فما تفرّق بين الجدي والحمل

« التورية المرتحة »

حماة في بهجتها حنة \* وهي من الغم لنا حنة  
لا تأسوا من رحمة الله فقد \* أبصرتم العاصي في الجنة

« التورية المبيئة »

قاسوك بالغصن في الثني \* قياس جهل بلا انتصاف  
هذا غصن الخلاف يدعى \* وأنت غصن بلا خلاف

« التورية المبيئة »

وسيرك فينا سيرة عمرية \* فروحت عن قلبي وفرجت عن كربني  
وأظهرت فينا من سمائك سنة \* فأظهرت ذاك القرض من ذلك التدب

« الابهام »

ليت المنية حالت دون نصحك لي \* فيستريح كلانا من أذى التهم

« الطباق »

زيادة المرء في دنياه نقصان \* وربحه غير محض الخير خسران

« التدبج »

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى \* لها الليل إلا وهي من سندس خضر

« المقابلة »

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا \* وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

« مراعاة النظر »

إذا صدق الجد أفتري العم لفتى \* مكارم لا تخفى وإن كذب الحال

« الافتنان »

إصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة \* واشكر جباء الذي بالملك أصفكا

لارزء أصبح في الأقسام نعلمه \* كما رزئت ولا عقي كعباكا

« الجمع »

إن الشباب والفراغ والجدة \* مفسدة للمرء أي مفسدة

« التفريق »

من قاس جدواك يوما \* بالسحب أخطأ مدحك

السحب تعطي وتبكي \* وأنت تعطي وتضحك

« التقسيم »

إنما هذه الحياة متاع \* فالجهول الجهول من يصطفها

ما مضى فات والمؤمل غيب \* سبُّ وملك الساعة التي أنت فيها

«الادماج»

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا \* وأسعفنا فيمن نحب ونكريم  
فقلت له نعلمك فيهم أتمها \* ودع أمرنا إن المهم المقدم

«الاستنباع»

سمح البديهة ليس يمك لفظه \* فكأنما أفاظه من ماله

«الاستخدام»

أراعي النجم في سيري إليكو \* ويرعاه من اليدا جوادي

«الاستطاد»

ويأبى إباني أن يراني قاعدًا \* وإني أرى كل البرية مقعدا  
وأظما إن أبدى لي الماء منة \* ولو كان لي نهر الحجر موردا

«التوجيه»

من أمّ بابك لم تبرح جوارحه \* تروي أحاديث ما أوليت من منين  
فالعين عن قرّة والكف عن صلة \* والقلب عن جابر والأذن عن حسن

«المبالغة»

جواد في الجبال تُخال وعلاً \* وفي الفلوات تحسبها عقابا  
إذا ما سابتها الريح فرت \* وألقت في يد الريح الترابا

«تأكيد المدح بما يشبه الذم»

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم \* يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

«تأكيد الذم بما يشبه المدح»

هو الكلب إلا أن فيه ملالة \* وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب

«الغايرة»

ذمت فراق من أهواء دهرًا \* وبعد رجعت عن ذمّ الفراق  
فلولاه لما طاب التداني \* ولولاه لما عذب التلاق

«ارسال المثل»

أهجر أقتل لي مما أراقبه \* أنا الغريق فما خوفي من البليل

«الكلام الجامع»

إذا جاء موسى وألقى العصا \* فقد بطل السحر والساحر

«المنهج الكلامي»

وإذا أراد الله نشر فضيلة \* طويت أتاح لها لسان حبود

لولا اشتعال النار فيما جاورت \* ما كان يعرف طيبُ عَرَفِ العود

« العلي والنشر »

ثلاثةٌ يجهل مقدارها \* الأيمن والصحة والقوتُ

« التجريد »

لا خيل عندك تهديها ولا مالٌ \* فليسمع النطق إن لم تسعد الحالُ

« براحة الطلب »

ولما رأيتُ القوم شدوا رحالهم \* إلى بحرك الطامي أتيتُ بجزرتي

« حسن التعليل »

كأنك من كلِّ النفوس مركبٌ \* فأنت إلى كلِّ الأنام حبيبٌ

« ابتلاف اللفظ مع المعنى »

إذا ما غضبنا غضبةً مضريةً \* هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

إذا ما أعرنا سيداً من قبيلةٍ \* ذرى منبر صلي علينا وسلمنا

« التليم »

هب أن مقاليد الأمور ملكها \* ودانت لك الدنيا وأنت إمامٌ

ومتمت بالذات دهرًا بغبطةٍ \* أليس بحتم بعد ذلك حمامٌ

« نفي الموضوع »

ليس الجمال بأثوابٍ تزينا \* إن الجمال جمال العلم والأدب

ليس اليتيم الذي قدمته والده \* بل اليتيم يتيم العلم والحسب

« التهكم »

فياله من عملٍ صالحٍ \* يرفعه الله إلى أسفل

« الجناس التام »

فدارهم ما دمت في دارهم \* وأرضهم ما دمت في أرضهم

لم نلق غيرك إنساناً يلاذ به \* فلا برحت لعين الدهر إنساناً

إذا ملكٌ لم يكن ذاهباً \* فدعه فدولته ذاهبة

إن البكاء هو الشفا \* من الجوى بين الجوانح

تمس الحريصٌ وكل ما يأتي به \* عوَضًا من الإلحاح والإلحاف

« الجناس غير التام »

ان كان فراقنا مع الصبح بدا \* لا أسفر بعد ذلك صبحٌ أبداً

« رد العجز على الصدر »

سريعٌ إلى ابن ألمٍ يلطم وجهه \* وليس إلى داعي الندى يسريع

« تشابه الاطراف »

ألا أيها الديك المنادي بسحرة \* هلم كذا أخبرك ما قد بدا ليا  
بدالي أني قد رُزئتُ بفتية \* بقية قوم أورثوني المباكيا

« العكس »

إن الليالي للأنام مناهل \* تطوى وتشردونها الأعمار  
فقصارهن مع الهموم طويلة \* وطوالهن مع السرور قصار

« مالا يستحيل بالانعكاس »

مودته تدوم لكل هول \* وهل كل مودته تدوم

« الارصاد »

إذا لم تستطع أمراً فدعه \* وجاوزه إلى ما تستطيع

« التشريع »

ياخاطب الدنيا الدنية إنها \* شرك الردي وقرارة الأكار  
دار متى ما أضحكت في يومها \* أبكت غداً تبها لهما من دار

« لزوم مالا يلزم »

يا ذا الذي ولدتك أمك باكيا \* والناس حولك يضحكون سرورا  
إحرص على عمل تكون به متى \* سيكون حولك ضاحكا مسرورا

« المواربة »

لقد ضاع شعري على بابكم \* كما ضاع عقد على خالصة

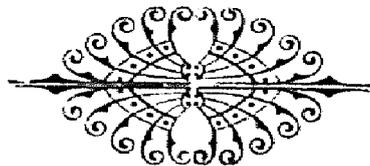
« ابتلاف اللفظ مع اللفظ »

أصون عرضي بمالي لا أدنسه \* لا بارك الله بعد العرض في المال  
أحتال للمال إن أودى فأكسبه \* ولست للعرض إن أودى بمحتال

« الانجاء »

إن العلى حدثني وهي صادقة \* فيما تحدث أن العز في النقل  
لو أن في شرف المأوى بلوغ منى \* لم تبحر الشمس يوماً دارة الحمل

( اه للمؤلف مستعينا ببعض كتب الأئمة )



# باب

## في تاريخ اللغة العربية

اللغة هي الألفاظ التي بها يحصل التفهم والتفاهم . والتحقيق أن المولى سبحانه خالق آدم متكلاماً بلغةً نجعل تعيينها وإنما لم تزل واحدة حتى كثر عدد أولاده وضاعت بهم أرض شنعار (١) التي نزلوها بعد الطوفان فعزموا أن يبنوا هناك مدينة عظيمة يرفعون بها رجاً يناطح عنان السماء ثم يتفرقوا . ولما كانت يتهم بذلك غير حميدة أوجب الله مسامحةهم وبدل لغتهم بلغات أخرى فلم يثد بعضهم يفهم كلام بعض فكفوا عن العمل قبل إتمامه وتبددوا في مشارق الأرض ومغاربها ولما يحصلوا مأربهم . وقصد كل فريق جهة فنزل نسل سام بآسيا ونسل حام بأفريقيا ونسل يافث بأوروبا ولكن لم يستمر أهل كل جهة متحدين في الرئاسة واللغة مجتمعين بمحل واحد بل انقسموا إلى أقسام شتى وتوزعوا في جهات مختلفة وصار لكل شعب على مدى الأزمان لغة خاصة به وعوائد تلائم طبائع إقليمه وأحوال تشاكل أغذيته وإحساسات تضاهي مؤثراته وشعور يوافق مناظره إلى غير ذلك مما توجه مشتملات الأقطار ومواقع القرى والأصهار . ولم تزل كل لغة تترقى شيئاً فشيئاً مع اتساع الاجتماع الانساني يتناقلها قوم ويزيد فيها آخرون حسب مجدد الأمور ومقتضيات الأحوال حتى بلغ كل قوم من لغتهم ما يحتاجون إليه

ثم ان اللغات تنقسم باعتبار الاستعمال وعدمه إلى حية وميتة فالثانية ما تكلم بها بعض الأقسام ثم أهملت ولم يبق لها أثر إلا في الكتب كاللاتينية والعبرانية والقبطية ، والأولى هي التي دام استعمالها وعددها ألفان وثيقت وأهمها العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والإيطالية والصينية والظاهر أن العربية والشريانية والعبرانية من أصل واحد بدليل شدة المشابهة بينها في كثير من الأمور كالاشتقاق والتصريف وأنها سامية الأصل فان أول من تكلم بها بنو سام الذين لم يخلطوا بغيرهم من أولاد عمهم منذ تفرقهم . ولم تتمكن العربية أن أخذت تنتشر بانتشار أهلها في شبه جزيرة العرب حتى أصبحت أكثر اللغات ألفاظاً وأوسعها تراكب وأعظمها إتقاناً غير أنه لما تألفت القبائل ومضى عليهم الدهر طويلاً لا كتابة عندهم ولا رابطة بينهم احتافت لغة كل قبيلة عن غيرها ونشأ عن ذلك تعددها فتمها لغة قريش

(١) أرض شنعار هي الصحراء الكبيرة الممتدة شرقي دجلة بين بغداد والموصل وفارس حيث كانت مملكة بابل وأشور تنقسم اليوم أقساماً كثيرة منها الكرديستان وأذربيجان وهمدان

ولغة تميم ولغة ظي وهلم جرا غير أن ذلك الاختلاف لم يكن إلا قليلا في بادئ الأمر لزيادة المشابهة بين أحوالهم وقرب منازلهم فقد كان يابدل حركة بأخرى ككسر الكاف في نحو عليكم وبكم في لغة ربيعة أو بابدال حرف بآخر كابدال الحاء عينا في لغة هذيل وابدال كاف الخطاب سينا مع المذكر وشينا مع المؤنث في لغة مضر وابدال لام آل ميا في لغة حِمْيَر ، أو بالحذف كما سقط همزة التكلم وأحرف من أواخر بعض الكلمات في لغة بعضهم فيقولون أنا كَرْمُك في أنا كَرْمك واجتمعت القبي في اجتمعت القبيلة ، أو تخفيف الهمزة في لغة تميم فيقولون فارو ويروشوم في فأر وبر وشوم كالاختلاف الواقع أيامنا في جهات مصر فترى بعض سكانها يبدلون الباء الساكنة ميا إذا تلاها نون فيقولون في ابن وجينة وتبن امن وجينة وتمن وبعضهم يبدلون الميم باء فيقولون أقعد بكائك أي مكانك ومنهم من يبدل العين المتلوة بالطاء ميا فيقول في أعطاني أنطاني ومنهم من يغير الحاء غينا فيقول غبر غبر في خبر خير ومنهم من يجعل الميم دالا فيقول دئت من الدبك في جئت من الجبل ومنهم من يحذف أواخر الكلمات فيقول ياحمولا ثقف في الطري في محمود وطريق ومنهم من يكسر التاء والياء والنون من أحرف المضارعة اقتداء بما كان عليه قبيلة بهراء وهو كثير في الكلام المتباد . وطال ذلك الاختلاف بين العرب حتى أفضت بهم الحال الى أن اختلطت على بعضهم لهجات بعض وصارت أغلب القبائل تستعمل في تأدية المعنى كلمات غير متداولة في القبائل الأخرى وأصبح التفاهم فيما بينهم بلغة واحدة أمرا بعيدا

ولما كانت العرب مجبولة على الغيرة وحب الاقتحار بأنسابهم وأحسابهم وشجاعتهم ومهارتهم في الفروسية وانتصاراتهم في الحروب وغير ذلك من الأمور التي كانت ولم تزال من أسباب الفخر حلمهم ذلك على إلقاء الخطب في المحافل وإنشاد القصائد يظهرون بذاك فضاهم وتقدمهم على غيرهم ومن نبغ منهم لقب بالخطيب وحصل شرفا عظيما بين أبناء جلدته خصوصا إذا كان شاعرا فإنهم يحلونه أرفع محل ويحسبونه نفرا لقياته وحماية لأعراضها وذودا عن حقوقها به تحاد ماثرها ويعلو قدرها ويذيع صيتها فلذا كان له النفوذ التام وإليه ينتهي الحل والإبرام ، الحسن ما حسنه والقيح ما قبحه ، يرفع الوضع بمدحه ويخفض الرقيع بدمه ، بكلامه يأخذون ويستشهدون وإليه يرجعون وعليه يعتمدون . فتتج من ذلك بحكم الطبيعة تنافس شديد بين الشعراء والخطباء من كل قبيلة وأحب كل واحد أن يظهر على صاحبه ويختص دونه بالمفاخر ومن تم أنشأوا محلات صغيرة يجتمعون فيها لإنشاد الأشعار وإلقاء الخطب يقدمون من يحسن إنشاده ويحيد مقاله ولم تزال هذه الجمعيات تتسع قليلا قليلا حتى اختاروا لها مواضع معينة شاسعة الأرجاء يسهل على كل أحد حضورها كمكاف ومجنّة وذو الحجاز وكانت الرئاسة في هذه المحافل لأهل قريش دون غيرهم لكون لغتهم أفصح لغات العرب وأخلصها من شوائب العجمة لبعدهم عن مخالطة الأجانب من جميع جهاتهم . فكان الرجل

يقول الشعر في أنحاء بلاد العرب فلا يخجل به حتى يأتي إحدى هذه المجمع في أوقاتها وقد اجتمع رؤساء القبائل وساداتها وعرفاؤها والجم الغفير من الفرسان وغيرهم ثم يقوم أمام الجميع وكل يرمقه ببصره حارساً على ما يلقى مضمياً إلى ما يبديه فيشد ما شاده وأحكم بنيانه فإن استحسنته رؤساء المحافل أقروه وحينئذ يكتب بماء الذهب على المنسوجات الحريرية ثم يعاق بالكعبة كما فعل بالملفات السبع وغيرها ليخالد اسم صاحبه ويبقى على مدى الأيام رسماً ويستمر في الخائف بقايا من مآثره وإن لم يستحسنوه أهملوه . ثم يرجع كل إلى بلاده وقد استظهر ما وقع الاختيار عليه فيلقنه عشيرته ثم يتداولونه بينهم ويظنون في مدح أصحابه فكان ذلك داعياً إلى المروءة وعلو الهمة والكرم والشجاعة والإقبال على عظام الأمور والتخلق بالاخلاق الحسنة وممهداً طريقاً لتوحيد لهجات القبائل وجعلها لغة واحدة مشتركة بين جميعهم لأن الشاعر اذا علم أن كلامه سيطلع عليه أهل المجمع مع اختلاف ألسنتهم وينتقدونه القضاة المحسكون وهم ما بين منصفين محيين ومجذنين حاسدين يبذل أقصى طاقته في اختيار ألفاظه وتراكيبه وجعلها مألوفة متعارفة للسواد الأعظم من شهود المجمع بقدر جهده . فتقدمت اللغة بواسطة تلك المتديات تقدماً حسناً وبلغت من الجودة مبلغاً عظيماً لم يكن منتظراً من أهلها العريقين في البداوة البعيدين عن عوائد الحضرة المنحصرة علومهم في بعض مبادئ الفلك والطب المكتسبة لهم بفراط العناية وطول التجربة بسبب احتياجهم إليها لقوام معيشتهم لا على سبيل تعلم الحقائق فلذا كانت دائرة أفكارهم ضيقة قلما تخرج من باب الفخر والعزلة وذكر النوق والأطلال وأسماء المواضع وغيرها مما تكسد سوقه لو استعمل في أيامنا . وكانوا يسلكون في كلامهم سبيل الاقضب كأن لم يهتمهم ارتباط بعض جملة ببعض وإنما يتوخون ضخامة الألفاظ وجودة المعنى في ذاته . وهالك جملة متخجات من أجود كلامهم ثبت ما قلته



خطبة

لنفس به ساعرة الديارى يعطظ



أهيا الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا، إنه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وأرزاق وأقوات وأبناء وأمّهات وأحياء وأموات وجمع وشتات وآيات بعد آيات مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تفور وأراض تمور وبحور تموج وتجارة تروج وضوء وظلام وبر وآثام ومطعم ومشرب وملبس ومركب . ألا ان أبلغ

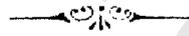
العظمت السير في الفلوات والنظر إلى محلّ الأموات إن في السماء لخبراً وان في الأرض لعبراً  
مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالبقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا .  
يامعشر إباد أين الآباء والأجداد وأين المريض والعواد وأين الفراغنة السداد أين من بني  
وشيد وقره المال والولد أين من بني وطني وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الأعلى ألم يكونوا  
أكثر منكم أموالاً وأطول أجالاً طيحتهم الدهر بكل كلكه ومزقهم بتطاوله فلك عظامهم بالية  
وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية

في الذاهبين الأوليد \* من من القرون لنا بصائر  
لما رأيت موارداً \* للموت ليس لها مصادر  
ورأيت قومي نحوها \* تمضي الأصغر والأكبر  
لا يرجع الماضي ولا \* يبقى من الباقيين غابر  
أيقنت اني لا محا \* له حيث صار القوم صائر



من كلام

أم أم ابليس بنت عوف بنه محلم السيباني  
بشرها المذكورة من أريد زفافها إلى زوجها عمرو بنه هجر



أي بُنية إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ولكنها تذكرة للغافل  
ومعونة للعاقل، أي بنية إنك فارقت الجوى الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت  
إلى وكر لم تعرفه وقرين لم تألفه فأصبح بأكه عليك رقيبا ومليكا فكوني له أمة يكن لك  
عبدا رشيقا، أي بنية خذي عني خلاصا تكن لك ذخرا وذكرا اصحيه بالقناعة وعاشريه  
بحسن السمع والطاعة وتعهدني موقع عينيه فلا تقع عينه منك على قيسح، أي بنية الكحل  
أحسن الحسن والماء أطيب الطيب فاستعمليهما، أي بنية اعرفني وقت طعامه واهدني عند  
منامه فان حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مبغضة واحتفظي بيته وماله وراعي حشمة  
وعياله فان في الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ومراعاة العيال والحشم حسن التدبير ولا تفشي  
له سرا ولا تعصي له أمراً فانك إن أنشيت سره لم تأمني غدره وإن عصيت أمره أوغرت  
صدره ثم اتقي مع ذلك الفرح أمامه إن كان ترحا والاكتئاب عنده إن كان فرحا فان الخصلة  
الأولى من القصير والثانية من التكدير وكوني أشد الناس له إعظاما يكن أشدهم لك  
إكراما وأكثرهم له موافقة يكن أطولهم لك مرافقة واعلمي انك لا تصلين إلى ماتجيبين  
حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت والله يخير لك

## من كلام

### النايفة الزبياني بمدح عمرو بنه الحرث

الا أنعم صباحاً أيها الملك ، السماء غطاؤك والأرض وطاؤك ووادي فداؤك والعرب  
وقاؤك والعجم حماؤك والحكماء جاساؤك والعقل شعارك والسلام منارك والحلم دثارك والسكينة  
مهالك والوقار غشاؤك والبر سادك والصدق رداؤك واليمين حذاؤك والسخاء ظهارتك  
والحمية بطانتك والعلو غايتك ، أكرم الأحياء أحياءك وأشرف الأجداد أجدادك وخير  
الآباء آباؤك وأفضل الأعمام أعمامك وأسرى الأخوال أخوالك وأنقر الفتيان أبناؤك وأعلى  
البنان بنيانك وأعذب المياه أمواهك وأفسح الدارات داراتك وأنزه الحدائق حدائقك  
وأرفع اللباس لباسك وأدفع الأجناد أجنادك ، المسجد آيتك واللجين صحافك والخير بفتائك  
والشر بساحة أعدائك والنصر منوط بلوائك والحذلان مع ألوية حسادك ، زين قولك حسن  
فعلك ، قد طحطح عدوك غضبك وهزم مقانبيهم مشمرك وسار في الناس عدلك وشسع  
بالتصر ذكرك وسكن قوارع الأعداء ظفرك ، أياخرك المنذر اللخمي فوالله لقفاك خير  
من وجهه وكشمالك أجود من يمينه ولأخصك خير من رأسه ولخطاك خير من صوابه  
ولصمتك خير من كلامه ولأمتك خير من أبيه ولخدمك خير من قومه . . . فهب لي أسارى  
قومي يزدد لك بذلك شكري فإنك من أشرف قحطان وأنا من سراة عدنان

## خطبة لعبد المطلب

### عند سيف به نبي يزنه حين انتصر على الحبشة

إن الله تعالى أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً منيعاً ياذخا شامخاً وأنتك منبتاً طابت أرومته  
وعزت جرتومته ونبل أصله وبسق فرعه في أكرم معدن وأطيب موطن فأنت أبيت اللعن  
راس العرب وربيعها الذي به تخلص وملكها الذي له تقاد وعمودها الذي عليه العماد ومقلها  
الذي إليه ياجأ العباد ، سلفك خير سلف وأنت لنا بعدهم خير خلف ولن يهلك من أنت خافه  
ولن يتحل من أنت ساقه ، نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسيدته بيته أشخصنا إليك  
من أنهجك لكشف الكرب الذي فدحنا فحنن وفداهته لا وقد المرزئة لازلت ناعم  
البال مهتئاً في كل حال

## مناظرة بين النعمان بن المنذر

## وكسرى انوسروان به هرمرز المعروف بالعاذل في شأنه العرب

روى ابن القطامي عن الكلبي انه قال قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين . فمدحوا ملوكهم وبلادهم . فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم ولم يستثن الفرس ولا غيرها . فقال كسرى وقد أخذته غزاة الملك يانعمان لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الامم ونظرت في حال من يقدم علي من وفود العالم فوجدت الروم لهم حظ في اجتماع ألقمهم وعظم سلطانهم وكثرة مدائنهم ووثيق بنيانهم ولهم دين بين حلال أمورهم وحرامها ويرد سفيهم ويقوم جاهلهم ورأيت الهند نحوا من ذلك ولاسيا في حكمتهم وطبهم وناهيك كثرة أنهارهم ويانع ثمارهم وطيب أشجارهم وعجيب صناعتهم ودقيق حسابهم وكثرة عددهم وكذلك أهل الصين خصوصاً في وفرة صناعات أيديهم وفروسيهم وهمتهم في آلات الحرب وصناعة الحديد ولهم ملك يجمعهم ، ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة يدلني على فضلهم مع ما هم فيه من الذل وصغر الأنفس وسكناهم مع الوحوش النافرة والطيور الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها وهوها ولذاتها حتى ان أفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الابل التي يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء هضمها وخوف دائها ، وإن قرى أحدهم ضيفا عدّ فعله مكرمة ، وإن أطعم أكلة عدّها غنيمة تنطق بذلك أشعارهم وتفتخر به رجالهم ، اللهم إلا اليمين التي أسس جدي اجتماعها وشدة مملكتها ومنعها من عدوها ولها مع ذلك آثار ولبوس وقرى وحصون وأمور تشبه بعض أمور الناس ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلّة والقلّة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن تحلوا فوق مراتب الناس

كل ذلك والنعمان يكظم غيظه من كسرى ولم يجبر أن ينسب بنت شفة ولا يقطع عليه الكلام حتى اذا فرغ قام فقال أصلح الله الملك ، حق لأمة أنت ملكها أن يسو فضلها ويعظم خطبها وتعلو درجاتها ، إلا أن عندي جوابا لكل ما نطق به الملك في غير ردّ عليه ولا تكذيب له ، فان آمنني من غضبه نطقت به . قال كسرى قل فأنت آمن . قال النعمان أما أمتك أمها الملك فليست تنازع في الفضل لما هي به من رصانة عقولها وبسطة محلها وبجوحة عزها وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الأمم التي ذكرت فأني أمة تفرنها بالغرب فضلتها . فقال كسرى بماذا . قال النعمان . بمنعتها وحسن وجوها وبأسها وسخاها وحكمة ألسنتها وأصالة رأيها وأنفها ووفائها . فأما منعها فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجند ولم يطمع فيها طامع ، حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض

وستوفهم السماء وغيرها من الأمم إنما منعها الطين والصخور وجزائر البحور . وأما حسن وجوهها وألوانها فقد يُعرف فضلها في ذلك على غيرها من الهند المتحرفة والصين المحتفة والروم المقشرة . وأما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الأمم إلا جهلت آباءها وأصولها وكثيراً من أوائلها حتى أن أحدهم ليسأل عن وراثه أبيه فلا يعرفه وليس أحدهم من العرب إلا يستعي آباءه أبا فأبا حفظوا بذلك أنسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب إلى غير نسبه ولا يدعي غير أبيه . وأما سخاؤها فإن أدنانهم رجالاتكون عنده البكرة أو الثاب عليها بلاغته في حمولة ويُسبغ وريه فيطرقة الطارق الذي يكتبني بالفنذ ويجتزي بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدثه وطيب الذكر . وأما حكمة السنثم فإن الله أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم في الصفات ما ليس لغيرهم ، ثم خيلهم أصل الخيل ولباسهم أنحر اللباس ومعادنهم الذهب والفضة وحجارة جبالهم الجزع . وأما دنياها فإنهم متمسكون به حتى أن لهم أشهراً حُرماً وبلداً محرماً وبيتاً محجوجاً يذبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل فيه قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثاره منه فيحجزه كرمه ويمتعه دينه عن مسه بأذى . وأما وفاؤها فإن أحدهم ليلحظ اللحظة ويومئ الأيماء فتكون عقدة لا يحلها إلا خروج نفسه ، وإن أحدهم ليلبغ أن رجلاً استجار به وربما كان نائياً عن داره فيصاب بمكره فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته هو أخذاً بثأر من أخضر في جواره ، وإنه ليلجأ إليهم المجرم من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون أمواله وأما قولك أيها الملك أنهم يقتلون أولادهم فإنما يفعل ذلك من يفعله منهم بالاناث خوفاً من العار وغيره عليهن من ررق الأزواج . وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً له فعمدوا إلى أجلها فكانت مراكبهم وطعامهم مع أنها أكثر البهائم شحوماً وأطيبها لحوماً وأرقها ألباناً وأقلها غائلة وأحلاها مضغة . وأما محاربتهم وأكل بعضهم بعضاً وعدم انقيادهم لرجل يسوسهم ويجمع كلمتهم فإنما يفعلون ذلك أنفة من أن يتقادوا لرجل واحد يؤدون له الجزية ويختص هو دونهم بالشرف حتى لقد حاول كل واحد أن يكون ملكاً . وأما بقية الأمم فينقادون لغيرهم لما يعلمونه في أنفسهم من الضعف وعدم قدرتهم على مقاومة عدوهم إذا زحف إليهم فيلقون أزمتهم إلى من يحميم . وأما اليمن التي ذكرتها فإنه لما التجأ سيف بن ذي يزن « ١ » ملكها إلى جدك

« ١ » وذلك أنه لما اشتد ظلم الحبشة على أهل اليمن ذهب سيف بن ذي يزن إلى جد كسرى المذكور يسأله النصرة عليهم . فشاور وزراءه في ذلك . فقالوا في سجونك رجال من العرب حبستهم لقتلهم فابعثهم معهم فإن ملكوا كان الذي أردته بهم وإن انتصروا كان ملكاً جديداً ضمته إلى ملكك . فأخرجهم وأمر عليهم وهزر الديلمي وكان أعظمهم رجلاً وأعرفهم نسباً . فلما تقابل الفريقان عمد وهزر إلى ملك الحبشة ورماه بهم بين عينيه فوق يخبط في دمايته وحل العرب على قومه حملة واحدة فانهزموا في كل وجه وفي ملكهم من اليمن بعد أن توارثه منهم أربعة ملوك في اثنتين وسبعين سنة

عند غلبة الحبشة إياه على ملكه أمده بالعرب الذين كانوا في سجونه وبهم انتصر ، ولولاهم لما تقدم إلى نصرته ، ولو أنه مال إلينا لوجد فينا من يجيد الطعان ويفض للآخر من غلبة العيد الأشرار . فعجب كسرى لما أجابه به النعمان وقال إنك لأهل لموضعك من الرئاسة في أهل إقليمك بل ولما هو أعظم منه ، ثم كساه من كسوته وسرحه إلى مملكته . فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقيص العرب وتهجين أمرهم استدعى إليه كبار إقامته وهم أكرم بن صيني وحاجب بن زرارة التيمييين والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين وخذل بن جعفر الكلابي وعلقمة بن علالثة العامري وعمرو بن الشريد السلمي وعمرو بن معديكرب الزبيدي والحارث بن ظالم البصري . فلما قدموا عليه في الخورنق قص عليهم ماجرى له مع كسرى من أوله إلى آخره . فقالوا أيها الملك وفقك الله ما أحسن ما رددت وأبلغ ما حججته به فرنا بأمرك وادعنا إلى ما شئت . قال إنما أنا رجل منكم وإنما ملكت وعززت بمكانكم وليس شيء أحب إلي مما سدد الله به أمركم وأصلح به شأنكم وأدام عزكم ، والرأي أن تسيروا بجماعتكم إلى كسرى فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم ان العرب على غير ما حدثته به نفسه ، ولا ينطق أحد منكم بما يفضبه فانه ملك شديد السلطة كثير الأعوان ، ولا تنخذلوا له انخذال الخاضع الذليل وليكن أمر بين ذلك تظهر به وثاقة حلومكم وفضل منزلتكم وعظيم أخطاركم ، وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكرم بن صيني لسني شأنه ثم تابعوا على ما رتبتم في كتابي وتعلموا أنكم جميعا أهل الفضل والرئاسة ، ولا يكون منكم غير ما سمعتم مني فيجد الملك في آدابكم مطعنا . ثم دعا بما في خزائنه من طرائف الحلل وخلع على كل واحد منهم حلة وعمامة وختمه بياقوتة وأمر لكل بنجبية مهريّة وفرس جنبيه وكتب معهم كتابا هذه صورته : « أما بعد فإن الملك أتى إلي من أمر العرب ما قد علم وأجته بما قد فهم مما أحبت أن يكون منه على علم ولا يحتاج في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجزت دونه بمملكته وحمت ما يليها بفضل قوتها تبلغ العرب في شيء من الأمور التي يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة ، وقد أوفدت إليك من العرب رهطا لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم فليسمع الملك وليغص على جفاء إن ظهر من منطقهم وليكرمني باكرامهم وتعجيل سراحهم ، وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائرتهم ورتبتهم حسب درجاتهم ، فخرج القوم في أبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن فدفعوا إليه كتاب النعمان فقراء وأمر بانزالهم إلى أن يجلس لهم مجلسا يسمع منهم . فلما أن كان بعد ذلك بأيام أمر مرزبته ووجوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الولا، والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه وأقام الترجمان ليؤدي إليه كلامهم . ثم أذن لهم في الكلام

**فقام اكنم به صبغى فقال** - إن أفضل الأشياء أعاليها وأعلى الرجال ملوكها وأفضل الملوك أعينها نفعاً وخير الأزمنة أخصبها وأعظم الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة والكذب مهواة والشمر لجاجة والحزم مركب متين والعجز مركب واه ، وآفة الرأي الهوى ، التواني مفتاح الفقر وخير الأمور الصبر ، حسن الظن ورطة وسوء الظن عصمة ، شر البلاد بلاد لا أمير بها وشر الملوك من خافه البريء ، خير الأعوان من لم يراء بالنيحة ، أحق الجنود بالتصر من حسنت سريره ، حسبك من شرّ ساعه ، الصمت حكم وقليل فاعله ، البلاغة الإيجاز ، من شدّد نقر ومن تراخى ألف ، ولقد تمسكت العرب بمحاسن هاتيك الأمور وتزهدت عن أضرارها فهي لذلك من خيار الأمم . فمعجب كسرى من أكنم ، ثم قال ويحك يا أكنم ما أحكمك وأوتق كلامك لولا أنك وضعت في غير موضعه لولم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أكنم ربّ قول أنفذ من صول

**ثم قام حاجب به زرارة التميمي فقال** - وري زندق ، وعلت يدك وهيب سلطانك ، إن العرب لك وامقة ما تألفتها مسترسلة ما لا يبتها سامعة ما ساحتها وهي العلقم مرارة والصاب غضاضة والعسل حلاوة والماء الزلال سلاسة يُقابل الإحسان بالإحسان والإساءة بالغفران ولا ترضى بالعار والهوان ، نحن وفودها اليك وألسنتها لديك ذمّتنا محفوظة وأحسابنا منيعة وعشارنا لنا سامعة مطيعة . قال كسرى يا حاجب ما أشبه الحجارة في السهول بألوان صخورها . قال حاجب بل زئير الاسود بصولتها . قال كسرى وذلك أيضا

**ثم قام الحارث به عباد البكري فقال** - دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها وعلوّ شأنها ، من طال رشأؤه كثرت حته ومن ذهب ماله قل منحه ، تناقل الأقاويل يعرب عن اللب وهذا مقام سيوجف بما نطق به الركب ويعرف به كنه حالنا العجم والعرب ، خيولنا حجة وجيوشنا نخمة ، إن استجدتنا فغير ريب وإن استطرقتنا فغير جهض ، وإن طلبتنا فغير غمض ، لا تنثني لذعر ولا تنتكر لدهر ، رماحنا طوال وعمارنا قصار وألسنتنا حداد ولا نميل إلى الغدر والفساد . قال كسرى أنفُسُ عزيزة والله لضعيفة . قال الحارث أيها الملك وأنى يكون لضعيف عزّة أو لصغير مرّة . قال كسرى لو قصر عمرك لم تستول على لسانك نفسك . قال الحارث أيها الملك إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتيبة مغرّرا بها على الموت فهي منيعة استقبالها وجنان استدبرها والعرب تعلم أني أبعث الحرب قدما وأحبسها وأنها إذا جاشت نارها وسعرت لظاها وكشفت عن ساقها جعلت مقادها رحمي وبرقها سيفي ورعدا زئيري ولم أقصر عن خوض صمصامها حتى أنعمس في غمرات لججها وأكون فلكا لفرساني إلى مجبوحة كبشها فأستمطرها دما وأترك حمايتها جزر السباع وكلّ نسرقشع . فقال كسرى لمن حضره من العرب أ كذلك هو . قالوا أفعاله أنطق من لسانه . قال كسرى

مارأيت كالسيوم وفدًا أحسد ولا شهودا أوفد

ثم قام عمرو به الشريف السلمي فقال - أيها الملك ، نعم بالك ودام في السرور  
حالك ، إن عاقبة الكلام متدبرة وأشكال الأمور معتبرة وفي الكثير ثقله وفي القليل بلغة  
وفي الملوك سورة العز وهذا منطلق شرف فيه من شرف . وخمّل فيه من خمل ، لم نأت  
لضيمك ولم نغد لسخطك ولم نتعرض لرفدك ، إن في أموالنا منقدا وعلى عزنا معتمدا ، إن  
أورينا نارا أتقينا وإن أود دهر بنا اعتدنا ، ألا إننا مع هذا لجوارك حافظون ولمن رامك  
كأخون وبالأمانة متمسكون وللداعي مجيبون ، نبي بالعهد ونحفظ الود . قال كسرى ما يقوم  
منطلقك بإفراطك ولا مدحك بدمك . قال عمرو كفى بقليل كلامي هاديا وبأيسر إفراطي  
مخبرا ، قال كسرى ما كل ما يعرف المرء ينطق به

ثم قام خالد به جعفر الكلابي فقال - أعطى الله الملك إسعادا وأرشده إرشادا ، إن  
لكل منطلق فرصة ولكل حاجة غصة وعي المنطق أشد من عي السكوت وعثار القول  
أنكأ من عثار الرجل وتركى ما أعلم من نفسي ويعلم من يسمني أنني له مطيق أحب إلي من  
تكلفني ما أتخوف منه ويتخوف به مني ، وقد أوفدنا إليك ملكنا النعمان وهو لك من خير  
الأعوان ونعم حامل المعروف والاحسان لتخبرك عن شيمنا ونظهر ما استتر من شرفنا ، لنا  
أنفس أبيّة ومكارم سنيّة نكرم الوفود ونؤمّن الخائف ونفرج الكروب وأيدينا لك  
بالوفاء رهينة . قال له كسرى نطقت بعقل وعلوت بفضل

ثم قام علقمة به عاصم العاصري فقال - مهدت لك سبل الرشاد وخضعت  
لك رقاب العباد ، إن الاقاويل مناهج والآراء مواجج وللعويص مخارج وخير القول أصدقه  
وأفضل الطلب أتجحه ، إنا وإن كانت المحبة أحضرتنا والوفادة قرّبتنا فليس من  
حضرنا منا أفضل ممن عزب عنك بل لو عرفت كل رجل منهم وعلمت من شرفه ما علمنا  
لوجدت كلا إلى الفضل منسوبا وبالشرف والسودد موصوفا وبالرأي الراجح والأدب الكامل  
معروفا ، لا تخمد ناره ولا يحترز منه جاره . قال كسرى حسبك أبلغت وأحسنت

ثم قام فيس به مسعود الشيباني فقال - أظاب الله بك المرشد وجنّبك  
المصائب ووقاك مكروه الشصائب ، ما أحقنا إذا أتيناك بإسماعك ما لا يحنق صدرك ولا يزرع  
لنا حقدًا في قلبك ، لم تقدم أيها الملك لمساماة ولم تنتسب لمعاداة ولكن لتعلم أنت ورعيتك ومن  
حضرك من وفود الأمم أنا في المنطق غير محججين ، وفي الناس غير مقصرين ، إن جورينا فغير  
مسبوقين وإن سوميئا فغير مغلوبين ، إن قلنا ففعلون وإن عاهدنا فمجزون . قال كسرى نعم  
القول إن صدق

ثم قام عمرو بن معد بكرب الزبيرى فقال - إنما المرء بأصغره قلبه ولسانه  
فبلاغ المنطق الصواب وملاك النجدة الارتياح وعضو الرأي خير من استكراه الفكرة وتحقيق  
الخبر خير من اعتساف الحيرة فاجتهد طاعتنا بلنظك واكظم بادرتنا بحلمك وألن لنا كنفك  
يسلس لك قيادنا فإننا أناس لا يقاومنا من أراد لنا تضاماً ومنعنا حماناً من كل من رام لنا هضاماً  
فقال له كسرى اجلس

ثم قام الحارث بن عازم بن ظالم المرى فقال - ان من آفة المنطق الكذب ومن لؤم الاخلاق  
الملق فان أعلمناك أيها الملك أن مواجعتنا لك عن انتلاف وانقيادنا لك عن تصاف فما أنت في قبوله منا  
بخلق ولا في الاعتماد عليه بتحقيق، الامر بيننا وبينك معتدل ما لم يأت من قبلك ميل أو زلك .  
قال كسرى من أنت . قال الحارث بن ظالم . قال إن في أسماء آبائك لدليلاً على قلة وفائك وان  
تكون أولى بالقدر وأقرب من الوزر . قال الحارث إن في الحق مغضبة، ولن يوصف أحد بالحلم  
إلا مع القدرة فلتشبه أقوالك وأفعالك مجلسك . قال كسرى هذا فتى القوم . ثم قال قد  
فهمت ما نطقت به خطباؤكم وتفنن به متكلموكم . وقد قبلت ما كان في منطقتكم من صواب  
وصفحت عما بدا فيه من خطأ لأنني أعلم أنكم لم تزالوا على طباعكم الأصلية لعدم اختلاطكم  
بالأم ذات الاخلاق المرضية، فانصرفوا إلى ملككم فأحسنوا موازرتهم والتزموا طاعته فان في  
ذلك الخيرات العامة وإصلاح العباد ما بين الخاصة والعامة



ومن هذا القبيل نثرنا ونظما ما روي عن الكلبي أيضا انه قال كان كسرى يحفل بالعرب  
ويستأنس بمشاهدتهم ويرغب في سماع محادثاتهم ومفاخراتهم ومنافراتهم ولم يدخر وسعا إلا  
بذله للحصول على ذلك . ومما اتفق له ان النعمان بن المنذر كان بمجلسه يوما فقال له هل في  
العرب من قبيلة تشرف على قبيلة . قال نعم . قال فبأي شيء . قال من كانت له ثلاثة آباء متواليه  
رؤساء واتصل ذلك بمزية رابعة فيته أشرف بيت واليه تنسب القبيلة وبه تعلق على غيرها  
قال أحضر من هذه صفتهم . فطلبهم النعمان فلم يصبهم إلا في آل حذيفة بن بدر وآل  
ذي الجدين وآل الأشعث بن قيس بن كندة فأحضرهم في جملة من عشارهم ، فعقد لهم  
كسرى مجلسا عامما حضره الحكام والعدول والأعيان . ثم قال ليتكلم كل منكم  
بما أثر قومه وليصدق

فانتصب حذيفة بن بدر قائما وكان ألسن القوم فقال قد علمت العرب أن فينا الشرف  
الأقدم والفخر الأعظم . فقيل له لم ذاك يا أخا فزارة . قال ألسنا الدعائم التي لاترام والعز  
الذي لا يضام . فقيل له صدقت . ثم قام شاعرهم فقال

فزارة بيتُ العزِّ والعزِّ فيهم \* فزارة بدرٍ حسبُ بدرٍ نضالها

لها العزة النفساء والحسب الذي \* بناء لبدر في القديم رجالها  
 فهيات قد أعيأ القرون التي مضت \* مآثر بدر مجدها وفعالها  
 وهل أحد إن مد يوماً بكفه \* إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها  
 فان يصلحوا يصلح لذاك جميعنا \* وإن يفسدوا يفسد على الناس حالها  
 ثم قام الأشعث بن قيس فقال لقد علمت العرب أننا نقاتل عديدها الاكثر ونقهر  
 جمعها الاكبر وأناغيث اللزبات وبنات المكرمات . فقيل له لم يا أخا كندة . قال لانا  
 ورتنا ملك كندة فاستظلمنا بأفياضه ونقأدنا منكبه الأعظم وتوسطنا بجوحه الأكرم . ثم قام  
 شاعرهم فقال

إذا قست آيات الرجال بيتنا \* وجدت له فضلا على من يفاخر  
 فمن قال كلاً أو أنانا بخطه \* ينافرنا يوماً فنحن نخاطر  
 تعالوا فعدوا يعلم الناس آينا \* له الفضل فيما أورثه الأكاير  
 ثم قام بسطام بن قيس فقال قد علمت العرب أننا بنات بيتها الذي لا يزول ومغرس عزها  
 الذي لا يحول . فقيل له ولم يا أخا شيبان . قال لانا أدركهم للنار وأضربهم للملك الحيار  
 وأقولهم للحق وألدهم للخصم . ثم قام شاعرهم فقال

لعمري بسطام أحق بفضلها \* وأول بيت العز عز القبائل  
 فسائل أبيت اللعن عن عز قومها \* إذا جد يوم الفخر كل مناضل  
 فيخبرك الأقوام عنها فإنها \* وقائع جدي لا ملاعب هازل  
 ألسنا أعز الناس قوما وأسرة \* وأضربهم للكيش يوم التخاذل  
 وقائع عز كلها ربعية \* تذلل لهم فيها رقاب المحافل  
 إذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها \* وعاذبها من شرها كل قائل  
 وإنا ملوك الناس في كل بلدة \* إذا نزلت بالناس إحدى التوازل  
 ثم قام حاجب بن زرارة التيمي فقال قد علمت العرب أننا فرع دعامتها وقادة زحفها .  
 فقيل له لم ذلك يا أخا بني تميم . قال لانا أكثر الناس عديداً وأنجبهم طراً وليداً وأعطاهم للجزيل  
 وأحملهم للتقيل . ثم قام شاعرهم فقال

لقد علمت أبناء حديف أننا \* لنا العز قدما في الخطوب والأوائل  
 وأنا كرام أهل مجد وثروة \* وعز قديم ليس بالمتضائل  
 فكم فيهم من سيد وابن سيد \* أغر نجيب ذي فعال ونائل  
 فسائل أبيت اللعن عنا فإننا \* دعائم هذا الناس عند الجدائل  
 ثم قام قيس بن عاصم السعدي فقال لقد علم هؤلاء أننا أرفعهم في المكرمات وأثبتهم في  
 الثابتات . فقيل له لم ذلك يا أخا بني سعد . قال لانا أدركهم للنار وأمنعهم للجار لانتكل اذا

حملنا ولا نرام إذا حملنا . ثم قام شاعرهم فقال  
 لقد علمت قيس وخصيف أنا \* وجدل تميم والجموع التي ترى  
 بأناليوث البأس في كل مآزق \* إذا جُزَّ بالبيض الجماجم والطل  
 وأنا إذا داع دعانا لتجدة \* أجبنا سراعاً في العلام من دعا  
 فبهات قد أعياء الجميع فعالمهم \* وقاتوا بيوم الفخر مسعادم من سعى  
 فقال كسرى حينئذ ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه ، وأعظم صلاتهم أجمعين وردتهم الى  
 أقوامهم معظمين



### نخب من معلقة امرئ القيس

وهو جندح أبو وهب بن حنجر بن الحرث الكندي من أهل نجد ، وأمه فاطمة بنت ربيعة  
 أخت كليب والمهلهل ، وهو من فحول شعراء الطبقة الأولى سبق غيره الى أشياء ابتدعها كرقعة  
 التشيب وذكر الاطلال والديار ، واستحسنتها العرب وأتبعته الشعراء فيها . وكان أبوه ملكا  
 على بني أسد فقتلوه غيلة ، فلما جاء الخبر أمراً القيس وهو بعيد عن قومه لأن أباه كان قد  
 طرده لولعه بالشعر شق ثيابه وحزن وآلى على نفسه ألا يشرب خمر ولا يغسل رأسه حتى  
 يقتل من بني أسد مئة ويجز نواصي مئة ولما جنه الليل قال

أرقت لسبق بليلى أهل \* يضيء سناه بأعلى الجبل  
 أناني حديث فكذبه \* بأمر تزعزع منه القليل  
 يقتل من بني أسد ربهم \* ألا كل شيء سواه جليل

ثم قام يسير في أحياء العرب وغيرها يستنجدهم على بني أسد ، فلم ينصروه بعد قصة يطول  
 شرحها ، ومات وهو راجع من القسطنطينية سنة ٨٢٥ م

والسبب الذي دعاه الى انشاء معلقته هو أنه كان يرغب أن يتزوج ابنة عمه عنبزة  
 فلما أبعدته أبوه انشأها يصفها ويشرح حاله وما جرى له معها ، واستطرد الى ذكر أشياء أخرى  
 كوصف الحبل والأماكن والوحوش . قال

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل \* بسقطاً للوى بين الدخول وخومل (١)  
 وإن شيفاني عبرة مهراقة \* فهل عند رسم دارس من معول (٢)

« ١ » ذكرى تذكر وسقط منقطع الرمل حيث يستدق وهو مثلك السين واللى الرمل المتنوي والدخول  
 وخومل موضعان ، وصدر هذا البيت يضرب به المثل في الشهرة . يريد قفا أيها الصاحبان نيك من أجل  
 حبيب ومنزل فارقتما وذلك الحبيب أو المنزل أوهما أو البكاء بمنقطع الرمل المتنوي بين هذين الموضعين  
 « ٢ » العبارة اللمعة والمهراقة المصبوبة والرسم ما بقي من أثر الدار والدارس المسحوق والمعول المعتمد  
 والاستهتام للنفي وعند متعلق بمحذوف خبر مقدم ومعول مبتدأ مؤخر مرفوع بضمزة مقدرة ومن زائدة

وليل كعوج البحر أرخى سدوله  
فقلت له لما تمطى بضدبه  
ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي  
فيا لك من ليل كأن نجومه  
وواد كجوف العير قفر قطعه  
فقلت له لما عوى إن شأننا  
كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته  
عليّ بأنواع الهوم ليلتي (١)  
وأردف أمجّازاً وناءً بكل ككل (٢)  
بصبح وما الإصباحُ منك بأمثل (٣)  
بكل مغار القتل شدت بيذبل (٤)  
به الذئب يعوي كالحليع المعيل (٥)  
قليل الغنى إن كنت لثما تمول (٦)  
ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل (٧)

يريد أن يرثي مما أصابني بفراق الحبيب يكون بدمع أصبه ثم قال ولا معتمد على البكاء عند أثر محو لانه لا يفيد صاحبه شيئاً «١» السدول جمع سدل وهو الستر وارخى ارسل والباء في بأنواع بمعنى مع والهوم الاحزان ويبتلي يحترق والواو في وليل واو رب وليل مبتدأ مرفوع بضمه مقدرة وكعوج متعلق بمحذوف صفة له وجملة أرخى صفة ثانية وخبره محذوف تقديره قطعه ، يريد ورب ليل كعوج البحر في هوله وصعوبته أرخى علي ستور ظلامه مع الهوم ليحترق صبري على شدائد الدهر قطعه «٢» تمطى تمدد والصاب عظم الظهر وأردف أتبع والأعجاز جمع عجز وهو المؤخر وناء بعد وهو متلوب نأي فأصله نياً قلبت ياؤه ألفاً لتحركها بعد فتحة والكل ككل الصدر شبه الليل بحيوان واستماره له وحذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو صاب والباقي ترشيح ، يريد قلت لليل لما امتد طوله وازدادت أواخره امتداداً وبعد عهدي بأوله لقرط طوله إلا أيها الليل الخ «٣» انجلي انكشف والاصباح الصبح وأمثل أفضل والياء في انجلي للاشباع وما يصبح جعلها حجازية فيكون الاصباح اسمها أو تسمية فيكون الاصباح مبتدأ وبأمثل خبر على كلا الوجهين بزيادة الباء فهو منصوب على الأول ومرفوع على الثاني تقديراً ، يريد ألا أيها الليل الطويل اكشف ظلامك بضياء الصبح ثم قال وايص الاصباح عندي بأفضل منك لاني أقاسي فيه شدة الهوم كما أقاسيها فيك «٤» مغار القتل محكمه وشدت ربطت وبذبل اسم جبل في بلاد نجد وياحرف تبيبه والك متعلق بعجبا محذوف وكذا من ليل وجملة كأن نجومه صفة لليل وبكل متعلق بشدت وكذا بيذبل وبأؤه بمعنى في ، يريد عجبا لك من ليل طويل لا تزول نجومه كأنها ربطت في يذبل بكل جبل محكم القتل «٥» الوادي مر الماء بين جباين أو نحوهما والجوف باطن الشيء والعر الحمار والفقر الخلاء الذي لا مسكن به ولا نبات ولا ماء وقطعته سلكته ويعوي يصيح والحليع الذي خامه أهله وتبرأوا منه لحبسه والمعيل الكثير العيال والواو في وواد واو رب وواد مبتدأ وكجوف متعلق بمحذوف صفة له والخبر جملة قطعه وجملة به الذئب يعوي حال من الهاء في قطعه ، يريد ورب واد يشبهه بطن الحمار في خلوه مما ينتفع به سلكته والذئب يصيح فيه من فرط الجوع كالرجل الذي تبرأ منه أهله وله عيال كثيرون يطالبونه بالنفقة وهو يصيح بهم ويزجرهم لعدم وجود ما يعطيهم إياه «٦» الشأن الحال وتمول تكن ذامال وهو فعل مضارع حذف إحدى نائيه فاصله تمول ولما الأولى حينية والثانية حرف نفي وجزم وقلب كلم وقليل خبر لأن محذوف مع اسمها وهو يستوي فيه الذكر والمؤنث وليس خبراً عن إن الموجودة لان اسمها يدل على معنى وقليل يدل على ذات والمصدر خبر إن في إن شأننا وجواب ان الشرطية محذوف يدل عليه ما قبله ، يريد قلت للذئب لما صاح إن لم يكن لك مال مثلي فان حالنا أننا قليل الغنى «٧» نال أصاب وأفاته أذهبه ويحترث يشق الارض للزرع ويهزل بصير مهزولاً أي ضعيفاً وقد استعار يحترث ليسي ويهزل ليفتقر استعارة

وقد أغتدي والطيء في وكناتها  
مكتر مقرر مقبل مدبر معاً  
كجلمود صخر حطه السيل من على (٢)  
ككيت زل الأبد عن حال متته  
كما زلت الصفواء بالتنزل (٣)  
له أطلا نظبي وساقا نعامة  
وإرخاء سرحان وتقريب تفل (٤)  
فمن لنا سرب كأن نعاجة  
مهاى عتاق في فضاء معطل (٥)  
فألحقنا بالهاديات ودونه  
جواحرها في صرة لم تزيل (٦)  
فعداء بين نور ونعجة  
دراكا ولم ينضح بماء فيغسل (٧)

تصريحية تبعية وما زائدة بعد اذا وحرثي مفعول مطاق ليحترت على معنى كحرثي ، يريد كل واحد منا اذا أصاب شيئاً أذهبه وأتلفه فيميش فقيرا وهذا شأن من يسمى سمي وسعيك « ١ » أغتدي أبكر والوكبات جمع وكنة وهي عش الطائر والمنجد الفرس السابق لانه يسبق غيره فيجرد عنه والاوابد جمع أبدة اسم للوحش والهيكل الضخم والواو في والطيء للحال والباء في منجد بمعنى على ، يريد وقد أذهب مبكرا حال كون الطير لم يخرج من أعشاشها على فرس ضخم سريع الجري يدرك الاوابد ويصير لها بمنزلة القيد فيمنعها من الفرار « ٢ » مكر عطوف أي رجاع الى العدو ومفر جيد الفرار أي واسع الجولان للانعطاف على العدو والجلود حجر مثل رأس الجدي والصخر الحجر العظيم الصلب وحطه ألقاه والسيل الماء الكثير وعدل المكان المرتفع ومكر بالجر صفة لمنجد وكذا ما بعده ومعا حال من الضمير المستتر فيما قبله وكجامود متعاق بمخدوف صفة أيضا ، يريد ان هذا الفرس سريع الكر والفرار والاقبال والادبار حتى كأن تلك الصفات المتضادة لسرعتهما منه مجتمعة فيه في آن واحد وهو يشبه في سرعته حجرا من صخر ألقاه الماء الكثير من مكان مرتفع « ٣ » الكميت هو الفرس الذي خالط حرته سواد ويزل يزلق وينحدر وحال متته وسط ظهره والصفواء الصخرة المساءة والتنزل النازل وكميت بالجر صفة لمنجد وكذا ما بعده ، يريد ان هذا الفرس ينحدر لده عن وسط ظهره لاكتناز لجمه وملاسه صلبه كما ينحدر النازل على الصخرة المساءة « ٤ » أيطلا مثنى أيطل وهو الحاصرة وساقا مثنى ساق وهي ما بين الكعب والركبة وإرخاء جري وسرحان ذئب وتقريب جري أيضا وتتفل ثعلب وله متعاق بمخدوف خبر مقدم والضمير فيه للمنجد وأيطلا مبتدأ مؤخر وما بعده معطوف عليه ، يريد ان خاصرتي هذا الفرس تشبهان خاصرتي الطي في الضمور وساقاه تشبهان ساقى النعامة في الطول والاعتدال وجريه يشبه جري الذئب والثعلب في السرعة « ٥ » عن ظهر وسرب جماعة من بقر الوحش ونعاجه إنائه والمهاى جمع مهرية وهي النجبية من الابل تسبق الخيل في السرعة وعتاق جمع عتيق وهو الكريم والمعطل الذي لانبات به ، يريد فظهر لنا جماعة من بقر الوحش كأن إنائها في العدو مهاى كرام في فضاء لانبات به فكيف عدو ذكورها « ٦ » الهاديات جمع هادية وهي المتقدمة ودون بمعنى وراء والجواحر جمع جاحرة وهي المتخلفة والصرة الجماعة وتزيل تنزىل حذفت إحدى نأيه والواو للحال ودونه متعاق بمخدوف خبر مقدم عن جواحر وفي صرة متعلقة بذلك الخبر المخدوف أو بمخدوف حال وجلة لم تزيل إما في محل رفع خبر ثان أو في محل نصب حال من جواحرها أو في محل جر صفة لصرة ، يريد ان هذا الفرس ألحقنا بالمتقدمات من ذلك السرب وترك وراءه المتخلفات منه مجتمعة لم تنفرق أي أنه لشدة عدوه يدرك الاوائل قبل تفرق الاواخر « ٧ » فعداء الى موالة ودراكا متصلا وينضح يمرق وعداء مفعول مطاق ودراكا صفته والواو بعدها للحال وينسل معطوف على ينضح ، يريد ان هذا

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه متى ما ترق العين فيه تسفل (١)  
فبات عليه سرجه ولجامه وبات بعيني قائماً غير مرسل (٢)



### نخبة من معلقة طرفه

وهو عمرو بن العبد بن سفيان البكري ينتهي نسبه إلى عدنان . كان شاعراً مجيداً من شعراء الطبقة الأولى نال درجة في الشعر مع حداثة سنه لم ينلها غيره مع طول عمره . وكان في نسب من قومه جريئاً على الهجاء ، هجا ملك العرب عمرو بن هند . فكتب كتاباً إلى عامله بالبحرين يأمره فيه بقتله وأظهر لطرفة أنه رسم له فيه بجائزة وأعطاء الكتاب . فذهب به إلى العامل ودفعه له . فلما قرأه قال له انج بنفسك قبل أن يعلم أحد بك فإني أمرت بقتلك وما بيني وبينك من الخوالة يمنعني من ذلك . فقال طرفه هل استعظمت جائزتي فأردت أن تحرمني إياها ، وأبي أن يهرب . فلما جاء الصباح وحضر القوم قالوا للعامل ما أقدم طرفه . فقرأ عليهم الكتاب وأمر بحبسه وكتب إلى الملك يقول ابعث لعمالك من يتولاه فإني غير قاتل طرفه . فبعث الملك رجلاً من تغلب وأمره بقتل العامل وطرفة معا فقتلها سنة ٥٥٢ م . وعمر طرفه إذ ذاك عشرون سنة

وكان سبب نظمه لمعلقته ان أخأ له اسمه مبعده عيره بتركه إبلا لأبيه كان يراها فيهملها وينقطع لقول الشعر . فقال له أترى إن أخذت الأبل تردّها بشعرك . فقال طرفه أني لا أخرج إليها حتى تعلم ان شعري يردّها إن أخذت ، فتركها إلى أن أخذها أناس من مصر . فقال معلقته وتقدم بها الى جيران له من أشراف العرب فاستردّوها منهم . قال

ليخولة أطلال بئرقة تهمد ظلت بها أبكي وأبكي إلى الغد (٣)

الفرس والى موالاته متصلة بين ثور وناجعة أي جمع بينهما وأدركهما في شوط واحد بدون أن يسرق عرفاً يوجب غسله «١» رحنا رجعنا والطرف النظر ويقصر يعجز وترق ترتفع أصله تترق حذفت إحدى نائيه وتسفل ضده وأصله تسفل وجلة يكاد حال من الفاعل قبله وترق فعل الشرط وهو متى وتسفل جوابه ، يريد رجعنا ونظرنا يكاد يعجز عن وصف حسن هذا الفرس ومتى ارتفعت العين لتتظر اعلاه اشتاقت الى نظر اسفله لكامل الحسن في جميعه «٢» المرسل المطلق وبمعني متعلق بمحذوف خبر بات تقديره منظوراً وقائماً حال من نائب الفاعل المستتر فيه ، يريد بات هذا الفرس مسرجاً مانجماً وأنا أنظره بعيني حال كونه قائماً غير مطلق الى المرعى لا اكتشافه باليسير وهذا دليل على كرمه وتعام محاسنه «٣» خولة اسم امرأة وأطلال جمع طلل وهو ما شخص أي ارتفع من آثار الديار وبرقة تهمد علم موضع في بلاد العرب لبني دارم ويروى بدل الشطر الثاني « تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد » يريد لهذه المرأة شواخص من بقايا دارها ببرقة تهمد قعدت أبكي بها وأبكي كل من يراني طول نهاري إلى الغد

وإني لأمضي ألهم عند احتضاره  
 إذا التوم قالوا من قتي خلت أني  
 رأيت بني غبراء لا ينكرونني  
 فإلي أراي وأبن عمي مالكا  
 يوم وما أدري علام يلومني  
 على غير شيء قتله غير أني  
 وإن أدع للجلتي أكن من حماها  
 وإن يقذفوا بالقذع عرسه أسقيهم  
 فلو كان مولاي امراً هو غيرهُ  
 فآليت لا ينفك كسحي بطانة

بعوجاء مرقال تروح وتغتدي (١)  
 عُغتُ فلم أكل ولم أتبلد (٢)  
 ولا أهلُ هذاكَ الطرافِ الممدد (٣)  
 متى أدن منه ينأ عني ويبعد (٤)  
 كالأمي في الحي قُرطُ بنُ أعبد (٥)  
 نشدتُ فلم أغفل حولة مَعبد (٦)  
 وإن يأتِه الأعداء بالجهد أجهد (٧)  
 بشرب حياض الموت قبل التهتد (٨)  
 لفرج كربي أو لأنظرتي غدي (٩)  
 لعضب رقيق الشفرتين مهنده (١٠)

«١» أمضي أذهب واحتضاره حضوره وعوجاء ناقة ضامرة ومرقال سرية في السير وتروح تذهب في  
 الرواح أي العشي وتغتدي ضده ولام لامضي للتوكيد وعوجاء ممنوعة من الصرف للالاف المدودة، يريد  
 واني لاأذهب ألهم عند حضوره بالسير على ناقة ضامرة سرية السير صبور توصل سير الرواح بسير الغد  
 «٢» الغتي الشاب القوي وعني قصد وأتبلد أتردد وأنحجر والقوم فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده،  
 يريد اذا قال القوم عند حدوث خطب من شاب قوي يكفيناه ظننت أني أنا المقصود بقولهم فلم أتباطأ  
 ولم أتردد متخيراً في أمرى بل اسير اليه سرية «٣» الغبراء الارض وبنوها الفقراء وينكرون يجهلون  
 والطراف البيت من الجلد والممدد المدود أي المشدود بالجبال وأهل معطوف على الواو في ينكرون ،  
 يريد رأيت الفقراء لا يجهلونني لاحساني عليهم وكذا اهل ذلك البيت المشدود بالجبال أي الاغنياء لشرفي  
 بينهم ، يقول ان جميع الناس من فقراء وأغنياء يعرفونني «٤» ادن اقرب وينأ يبعد فذكر يبعد ثانياً  
 للتوكيد وجملة أراي في محل نصب حال ومالكا بدل مطابق من ابن ، يريد أي امر حصل لي حال كوني  
 أراي ومالكا ابن عمي متى أقرب منه يبعد عني «٥» الحي القبيلة وعلى حرف جر وم اسم استفهام في محل جر  
 بها وحذفت ألفها للتخفيف والجار والمجرور متعلق بيلوم الذي بعده ، يريد يلومني ابن عمي ولم أعلم على  
 أي شيء يلوم كما لاني قبله في القبيلة قرط بن أعبد «٦» نشد طلب الضالة وأغفل أترك والحولة الابل  
 التي يحمل عليها ومعبد أخوه وعلى غير متعلق بيلوم ، يريد يلوم على غير قول حصل مني لكنني طلبت  
 إبل أخي معبد ولم أتركها تضيع «٧» أدع أنادي والجلي الامر العظيم وحماة جمع حام وهو المانع والجهد  
 الطاقة والباء فيه زائدة وهو مفعول مطلق لاجهد مقدم ، يريد ان دعائي ابن عمي للمحافظة على الامور العظيمة  
 كالذود عن الاهل والمال أكن من جملة المانعين لها المدافعين عنها وان يأتها الاعداء أجهد طاقتي في المدافعة  
 «٨» يقذفوا يرموا والقذع سيء القول والعرض موضع المدح والذم من الانسان وشرب مصدر بمعنى  
 مشروب والباء فيه زائدة وحياض جمع حوض واضافته لدوت مجاز والتهتد التهديد وهو التخويف، يريد ان  
 يرمه الاعداء بسوء القول أسقيهم شراب الموت قبل أن أخوفهم أي أهتم باهلاكهم لا يتهددهم «٩» مولاي  
 ابن عمي وأنظر أهل وجملة هو غيره صفة لامري ولام لفرج واقمة في جواب لو، يريد لو كان ابن عمي  
 انسانا غير مالك لا زال همي أو أمهاني «١٠» آليت أقسمت والكشح ما بين الحاصرة والضلع الخلف وهو أقصر  
 لا ضلاع والبطانة ضد الظهارة والعضب السيف القاطع والشفرتين الحدين والمهند السيف المنخذ من

- حُسامٍ إذا ما قَتُّ متصراً به كفى العودَ منه البدءَ ليس بمعضدٍ (١)  
 إذا أبتدر القومُ السِّلاحَ وجدني منيعاً إذا بَلَّتْ بقائه يدي (٢)  
 فلو كنتُ وغلاً في الرِّجال لضررتي عداوةُ ذي الأصحابِ والمتوجِّدِ (٣)  
 ولكن نفي عني الرِّجال جراءتي عليهم وإحساني وصدقي ومخدي (٤)  
 أرى الموتَ يقتال النفوسَ ولا أرى بعيداً غداً ما أقربَ اليومَ من غدِ (٥)  
 سبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً وبأنيك بالأخبارِ مَنْ لم تزودِ (٦)

### نخبة من معلقة زهير

وهو ربيعة بن رباح المزني كان سيدا كثير المال حلما موصوفا بالورع مشهورا بالتنقيح وهو أحد الثلاثة المتقدمين على سائر الشعراء والآخرا ن امرؤ القيس والنابغة الذبياني ، وكان يتجنب وحشي الكلام ويتعد عن سخيفه ويجمع الكثير من المعاني في القليل من الألفاظ انشأ معلقته يمدح فيها الحرث بن عوف وهرم بن سنان المرهبين لإتمامهما الصلح بين قبيلتي عبس وذبيان . كانت وفاته سنة ٦٣١ م . قال

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومة الدراج فالمشلم (٧)

حديد الهند ، يريد فأقمت أنه لا يزال كسحي ملازما لسيف حاد الحدين متخذ من حديد الهند ملازمة البطانة للظاهرة « ١ » متصرا منتقما والعود الرجوع والبدء الابتداء والمعصد السيف الذي يقطع به الشجر وهو أبدأ السيوف وحسام يدل من نصب في البيت قبله والعود مفعول به لكني والبدء فاعله والباء في معصد زائدة وهو خبر ليس منصوب تقديره وجملة ليس صفة لحسام ، يريد ان هذا السيف ليس رديئا واذا قت منتقما به من خصمي وضربته به لأعيد الضرب مرة ثانية لأن الضرب الأول يفني عن الاعادة « ٢ » ابتدر تسارع وهو متعد بنفسه ومنيما عزيرا لا يقهر وبات ظفرت والقائم القبض ، يريد اذا تسارع القوم الى السلاح وظفرت يدي بذلك السيف وجدتي رجلا عزيرا لا يقهرني أحد « ٣ » الوغى الضعيف والمتوحد المنفرد ، يريد لو كنت ضعيفا بين الرجال لضررتي عداوة المعاشرين والمنفردين « ٤ » نفي دفع وجراءتي إقدامي ومخدي أصلي ، يريد ان الذي دفع عني ضرر الرجال هو جراءتي عليهم وإحساني اليهم وصدقي في أقوالي وأفعالي وكرم أصلي « ٥ » يقتال يهلك على غفلة والغد اليوم الذي بعد يومك وبعيداً مفعول أرى الثاني وغدا مفعوله الأول وما تعجبية في محل رفع بالابتداء والجملة بعدها خبر عنها ، يريد أرى الموت يهلك النفوس وهي غافلة ولا أرى غدا بعيدا بل هو شديد القرب من اليوم الحاضر « ٦ » تبدي تظهر وتزود تعطه زادا ، يريد ستظهر لك الايام الامور التي انت جاهلها ويحجي . لك بالاخبار من لم تعطه زادا « ٧ » أم أوفى كنية امرأة والدمنة آثار الدار وحومة الدراج والمنتلم علما موضعين في بلاد العرب ومن ام متعلق بمحذوف خبر مقدم ودمنة مبتدأ مؤخر وجملة لم تكلم صفته وتكلم فعل مضارع أسله تكلم وبحومة متعلق بمحذوف صفة ثانية له ، يريد لام

- ودار لها بالرقمتين كأنها  
وقفت بها من بعد عشرين حجة  
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش  
وأعلم علم اليوم والأمس قبله  
ومن لم يصانع في أمور كثيرة  
ومن يجعل المعروف من دون عرضه  
ومن يترب يحسب عدواً صديقه  
ومهما يكن عند امرئ من خليقة  
مراجيع وشم في نواشر معصم (١)  
فلاياً عرفت الدار بعد توهّم (٢)  
ثمانين حولاً لا أباك يسأم (٣)  
ولكنني عن علم مافي غدٍ عمي (٤)  
يُضرسُ بأنياب ويوطأ بمنسِم (٥)  
يفرّه ومن لا يتق الشّم يُشم (٦)  
ومن لا يُكرّم نفسه لا يُكرّم (٧)  
وإن خالها تخفى على الناس تُعلم (٨)

أوفى بهذين الموضعين آثار دار لا تجيب سؤالي وأخرج هذا مخرج الاستفهام إشارة الى شدة تحيره وتفجيره «١» الرقتين موضعان بناحية الصمان من بلاد العرب والمراجع جمع مرجوع أو مرجوعة وهو الوشم المعاد مرة بعد أخرى والوشم الغرز بالابرة في البدن والنواشر جمع ناشرة وهي عصب الذراع والمعصم اليد ودار سعطوف على دمنة وما بعدها صفتها، يريد لأم أوفى دار بالرقمتين كأنها وشم تجدد مرة بعد أخرى شبه ظهور رسوم الدار بالامطار النازلة مرة بعد الأخرى تجدد الوشم في اليد «٢» الحجة السنة ولا يامشقة وهو منصوب بعد نزع الخافض والتوهّم التفرس، يريد وقتت بهذه الدار من بعد مضي عشرين سنة فلم أعرفها بعد التفرس إلا بمقاساة مشقة شديدة «٣» سئمت مللت وتكاليف جمع تكليف وهو المشقة والحول العام ولا أباك جملة معترضة المراد منها هنا التنبيه وايس المقصود بها الداء كما هو أصل معناها ولا نافية للجنس وأبا اسمها منصوب لاضافته الى الكاف وهذه الاضافة لاتفيد التعريف لأنه بمعنى شبه فلا يشرف بالاضافة والمقصود منه غير معين وهو الناصر وزيدت اللام بين المتضامين لئلا تدخل لا النافية للجنس على مظاهره التعريف وخبرها محذوف ، يريد مللت مشاق الحياة لأنني كبرت ومن يكبر يحصل له المثل لا بحالة «٤» عمي أي جاهل وهو خبر لكن وعن علم متعلق به وفي هذا البيت حشو بزيادة لفظة قبله لأنه ينفي عنها ما قبلها ، يريد أنا أعرف ما يقع في اليوم الحاضر وما وقع فيما قبله ولكنني جاهل ما سيحصل فيما بعده «٥» يصانع يداري ويضرس يعض وأنياب جمع ناب وهي السن الفاصلة بين الثنايا والاضراس ويوطأ يداس والمنسِم خف البعير ، يريد من لم يدار الناس ويلطفهم في سيره معهم يعض بالانياب ويداس بالاخفاف أي يقهر ويذل بينهم «٦» دون بمعنى أمام ويفره يصنه من وفر ويتق يحذر من وقى . يريد من يجعل معروفه امام عرضه أي حاجزا له من ذم الناس يصنه بمعنى أن من يبذل ماله في ارضاء الناس عنه يحفظ عرضه ومن لا يحذر الشتم باتخاذ الاسباب المانعة له يشتم «٧» يترب يتغرب ويكرّم يعظم ، يريد من يتغرب عن وطنه يظن العدو صديقا له لأنه لم يجرب به حتى يعرف ضميره ومن لا يعظم نفسه بالتباعد عن الدنيا لا يعظمه الناس «٨» الخليقة الطبيعة وخال ظن ومهما في محل رفع مبتدأ ويكون فعل الشرط وفيه ضمير مستتر إما فاعل له على أنه تام أو اسم على أنه ناقص وعند على الاول متعلق به وعلى الثاني متعلق بخبره ومن خليقة متعلق بمحذوف حال من الضمير المستتر وهي بيان لهما والواو للحال وان زائدة وجملة خال في محل نصب حال وجملة تخفى مفعولها الثاني وتعلم جواب مهما وجملة جواب الشرط خبر مهما، يريد مهما تكن طبيعة عند امرئ من الناس تظهر وتعلم وان بالغ في اخفائها وظن انها مستورة عليهم لان الطبع يغلب التطبع

وكأن ترى من صامت لك مدحج  
زيادته أو نقصه في التكلم (١)  
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده  
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم (٢)  
رأيت سقاء الشيخ لأجله بعده  
وإن الفتى بعد السفاهة يحلم (٣)  
سألنا فأعطينم وعدنا فعدتم  
ومن أكثر التسأل يوما سيحرم (٤)

### تحفة منه معلقة لبير

وهو أبو عقييل بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري الصحابي من أهل العراق وفحول الشعراء الجاهليين والمخضرمين . كان سيدا جوادا أدرك الإسلام وأسلم ولم يقل شعرا بعد إسلامه إلا قوله

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي \* حتى لبست من الإسلام سربالا

استشده عمر بن الخطاب أيام خلافته فكتب سورة البقرة وقدمها له وقال أبدلني الله الشعر في الإسلام بهذه ، فسر عمر بحجابه وأجزل عطاءه

قال معلقته زمن الجاهلية يصف فيها المعيشة البدوية ويفتخر بماثر قومه . مات في الكوفة آخر خلافة معاوية سنة ٦٨٠ م وعمره ١٤٥ سنة . ومن جيد شعره قوله

ولقد سئمت تكاليف الحياة وطولها \* وسؤال هذا الناس كيف ليبد

يشير إلى طول عمره وماله من مشاق الحياة . قال

عفت الديار محلها فقامها \* عفت غولها فرجامها (٥)

« ١ » كائن لفة في كائين تستعمل للاخبار عن كثرة العدد وهي في محل نصب مفعول مقدم لترى بمعنى تبصر ومن صامت تتميزها ، يريد ان كثيراً من الناس حين تراهم ساكتين تستحسنهم ولكن قدر الانسان لا يعرف الا بالتكلم فاذا تكلم ظهر فضله على غيره أو نقصانه عنه « ٢ » نصف الاول خبر عن لسان ونصف الثاني خبر مقدم عن فؤاد ، يريد المرء بأصغريه قلبه واسانه وأما هيئته المركبة من اللحم والدم فلا يعول عليها « ٣ » الحلم الطمانينة عند سورة الغضب والسفاه والسفاهة عبارة عن خفة تعترى الانسان فتبمته على الايمان بما يخالف موجب العقل والشرع ، يريد عامة أن المرء المتقدم في العمر اذا كان سيء الخلق لا يمكن ان يخالع عن حاله ويتصف بحاسن الصفات وأن الفتى اذا كان بتلك الحال يمكن أن يتخلى عنها ويتجلى بجميل الاخلاق « ٤ » التسأل السؤال وحذف الفاء من جواب الشرط سيحرم ضرورة ، يريد سألناكم معروفكم فاعطينمونا وعدنا الى السؤال فعدتم الى الاعطاء ومن يكثر السؤال يحرم لان الاكثر داع الى الملل بحكم العادة « ٥ » عفت درست وعفته الريح درسته يستعمل لازما ومتعديا والمحل من الديار ما عد للاقامة به مسدة والمقام منها بفتح الميم وضعها ما تدوم الاقامته ومعنى علم موضع بنجد وهو غير منى مكة بصرف ويمتدح من الصرف وتابند خلا من السكان والقول والرجام علما جبليين ببلاد العرب والضمير فيهما عائد الى ديار محذوفة لا الى المذكورة ومحلها بدل من الديار وبمعنى متعلق

رُزِقَتْ مَرَابِيعَ الْحَيَاةِ وَصَابَهَا  
 إِنَّا إِذَا التَقْتِ الْجَمَاعُ لَمْ يَزَلْ  
 وَمُقَسِّمٌ يَعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا  
 مِنْ مَعْشَرِ سَنَتٍ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ  
 لَا يَطْبَعُونَ وَلَا تَبُورُ فَعَالُهُمْ  
 فَبَنَوْا لَنَا بَيْتًا رَفِيعًا سَمَكُهُ  
 وَهُمْ السَّعَادَةُ إِذَا الْعَشِيرَةُ أَفْظَعَتْ  
 وَهُمْ رِبِيعٌ لِلْمَجَاوِرِ فِيهِمْ  
 وَذَقُّ الرِّوَاعِدِ جَوْدَهَا فَرِيحًا مَهَا (١)  
 مَنَّا لِرِزَازٍ عَظِيمَةٍ جَشَامَهَا (٢)  
 وَمَزَلَزَلُ قَلْبِ الْعِدَى هَزَامَهَا (٣)  
 وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا (٤)  
 إِذْ لَا تَمِيلُ مَعَ الْهَوَى أَحْلَامَهَا (٥)  
 فَسَمَا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَغَلَامَهَا (٦)  
 وَهُمْ فَوَارِسُهَا وَهُمْ حُكَّامُهَا (٧)  
 وَالْمُرْمِلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا (٨)

بمخدوف حال من الديار، يريد درس ما كان من الديار التي بمعنى معدا للاقامة به مدة وما كانت تدوم الاقامة فيه وخت الديار الغولية والرجامية من السكان « ١ » سرايع جمع سرايع وهو المطر في أول الربيع وصاب أصاب وودق مطر والرواعد جمع راعدة وهي السحابة ذات الرعد والجود المطر الغزير والرهام المطر الضعيف وجود بدل من ودق وأنت ضميره باعتبار المضاف اليه ، يريد ان هذه الديار بعد أن خلت من السكان نالها المطر الذي يتبع باول الربيع فاكسبها الحياة فاعشبت ثم أصابها بعد ذلك الكثير والقليل من مطر السحب ذات الرعد فاصح نباتها « ٢ » التقت الجماع اتي بعضهم بعضا والازاز الموكل بالخصومة القادر على حسم النزاع فيها والجشام المتحمل للصعاب ومنا متعلق بمخدوف خبر مقدم ليزل ويزاز اسمها مؤخر وجشام معطوف عليه وحرف العطف مخدوف ، يريد اننا اذا اجتمعت المحافل لا تخلو من أن يكون فيها منا رجل موكل بالخصومات قادر على اجراء الصالح فيها ومتحمل عظام الخصاص « ٣ » العشيرة القبيلة ومقسم معطوف على لزاز في البيت قبله وكذا مززل ، يريد منا الذي يقسم حقوق العشيرة فيعطي كل ذي حق حقه ومنا الذي يزلزل قلوب الاعداء ويهزمهم « ٤ » معشر جماعة وسنت وضعت والسنة الطريقة والامام المتبع ومن معشر متعلق بمخدوف خبر لمبتدأ مخدوف وجملة سنت لهم آبأؤهم في محل جر صفة ولكل قوم متعلق بمخدوف خبر مقدم وسنة وامامها مبتدأ مؤخر ومعطوف عليه ، يريد هؤلاء المتقدم ذكرهم من جماعة وضعت لهم أسلافهم طرق اكتساب الرغائب فاتبعوهم فيها ولا بدع فان لكل قوم طريقة وامام يتبع فيها « ٥ » لا يطبعون لا يدنس عرضهم وأخلاقهم وتبور تبطل والهوى هنا الميل الى الدنيا والاحلام العقول واذ تعليلية ، يريد لا أحد يدنس عرضهم ولا أخلاقهم ولا يبطل أفعالهم لانهم لا تميل الى الدنيا عقولهم « ٦ » السمك السقف وسما علا والكهل من جاوز الثلاثين من عمره والغلام الصغير وسمكه فاعل لرفيع ، يريد ان معشرنا بسبب ماسنت لهم آبأؤهم بنوا لنا بيت مجد رفيع السقف فعلا اليه كبير القبيلة وصغيرها « ٧ » السعادة جمع ساع وهو المسرع وأفظعت نزل بها أمر فظيع والعشيرة نائب فاعل لفعل مخدوف يفسره ما بعده ، يريد أن أولئك المتقدم ذكرهم هم المسرعون الى دفع ما ينزل بالعشيرة من الامور الفظيعة وهم فوارسها عند الحروب وهم حكامها وقت الخصاص « ٨ » الربيع المطر والمرميلات جمع مرملة وهي المرأة الفقيرة التي مات زوجها وتطاول طال للمجاور متعلق بربيع على تأويله بالنافع وفيهم متعلق بالمجاور والمراد من العام هنا مطلق الوقت ، يريد ان أولئك الرجال في نفع المجاورين لهم والنساء اللاتي مات أزواجهن وهن فقيرات واستظن وقتهن لسوء حالهن كالمطر في نفع النبات والحيوانات

فَأَقْعَ بِمَا قَسَمَ الْمَلِكُ فَإِنَّمَا قَسَمَ الْخَلَائِقَ بَيْنَنَا عَلَامَهَا (١)



### نخبة منه معلقة عمرو

وهو ابن كُثَيْبِ بْنِ التَّغْلَبِيِّ من أهل الجزيرة وأمه ليلي بنت مهلهل أخي كليب وأهل ، كان من أجود العرب وأغزرهم شعرا وأعزهم نفسا وأجرهم قلبا ، بلغ من أمره أنه فتك بملك العرب عمرو بن هند في دار سلطانه . وكان يقوم بقصائده خطيبا في سوق عكاظ وبنو تغلب تعظمها كثيرا يحفظها صغيرهم وكبيرهم . عاش ١٥٠ سنة . ولما أحسن بقرب أجله جمع أولاده وقال لهم يا بني إني بلغت من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائي وقد آن أن ينزل بي ما نزل بهم فاحفظوا عني وصيبي تكن لكم ذخرا ، كفوا عن شتم الناس فإن ذلك أسلم لكم وأحسنوا جوارهم يحسن التناء عليكم وأكرموا الغريب يذيع صيتكم وإذا حدثتم فأوجزوا وإذا حدثتم فاسمعوا فإن الإكثار داع إلى الملل والإعراض سبب النفار ، ولا خير فيمن لاروية له عند الغضب ولا فيمن إذا عوتب لم يقبل العتاب . مات سنة ٥٧٠ م قال معلقته يفتخر فيها بقومه ويعير بني بكر بوقائع قهروا فيها . قال

قني قبل التفرق يا طعينا      نُخْبِرُكَ الْيَقِينِ وَتُخْبِرُنَا (٢)  
 بيوم كريمة ضرباً وطعنا      أَقْرَبَ بِهِ مَوَالِيكَ الْعَيْونَا (٣)  
 وأيام لنا غر طوال      عصينا للملك فيها أن نديننا (٤)  
 وسيد معشر قد توجوه      بتاج الملك يحيي المهجريننا (٥)

« ١ » إقنع ارض والمليك المالك يعني الله تعالى والخلائق الطبايع وفيه قصر صفة وهي التسمية على موصوف وهو علام وإنما ، يريد ارض أيها الحاسد بما أنت عليه ولا تمن زوال ما عندنا فان ذلك صنع الله الذي يعلم ما يليق بكل فيعطيه إياه « ٢ » الظمين المرأة للمسافرة في الهودج وأصله ظمينة فرخم ونخبير مجزوم لوقوعه جوابا للأمر ، يريد قمني أيها المسافرة نخبرك بما لاقيناه بعد فراقك من الشدائد وتخبيرنا بما لاقيته أنت بعدنا « ٣ » الكريمة الحرب والظمن الوخر وأقر أفرح والموالي جمع مولى وهو ابن العم وبيوم متعلق بنخبرك في البيت قبله وضربا وطعنا مفعولا مطلقا لفظين محذوفين وموالي فاعل لأقر ، يريد نخبرك أيها المسافرة بيوم حرب ضربنا فيه ضربا وطعنا نحن بني عمك أفرحنا العيون بما ذكر من الضرب والظمن « ٤ » غر جمع أغر وهو الفرس الذي يجيئه بياض والملك يفتح الميم وإسكان اللام لغة في الملك بكسر هاء وندين نخضع وأيام معطوف على يوم كريمة وما بعده صفات له والمصدر المؤول من أن ندين مجرور بمن محذوف والجار والمجرور متعلق بعصينا ، يريد نخبرك أيها الظمينة بإيام لنا مشهورة مثل شهرة الخيل الفر من بين بقية الخيل وتلك الايام طوال امتنعنا من ان نخضع فيها للملك « ٥ » توجوه بتاج الملك ألبسوه تاج الملك والمججرين جمع مججر وهو المصاب بالقمح والشدة والواو في سيد واو رب وسيد مبتدأ مرفوع بضمه مقدرة والجملة بعده صفة له وخبره جملة

تركنا الطيرَ عاكفةً عليهِ      وأبنا بالغنائمِ سالمينا (١)  
 متى ننتقلُ إلى قومِ رَحانا      يكونوا في الألقاءِ لها طحيناً (٢)  
 يكونُ نفالها شريقيَّ نجدٍ      وأهوتها قضاةُ أجمعينا (٣)  
 نعمُ أناسنا ونعمَ عنهم      ونحملُ عنهم ما حملونا (٤)  
 نطاعنُ ما تراخي الناسُ عنا      ونضربُ بالسيوفِ إذا غشنا (٥)  
 ورثنا مجدَ علقمةَ بنِ سيفٍ      أباح لنا حصونَ الجِدِّ دينا (٦)  
 وعتاباً وكثوماً جميعاً      بهم نلنا تراثَ الأكرمينَا (٧)  
 ترانا بارزينِ وكلُّ حيٍّ      قد اتَّخذوا مخافتنا قرينَا (٨)  
 وقد عَلِمَ القبائلُ من مَعَدِّ      إذا قَبَّ بأبطحها بُنينَا (٩)

تركنا في البيت التالي ، يريد ورب سيد جماعة قد ألبسوه تاج الملك يحمي المصابين بالقطع والشدة تركنا الطير الخ «١» تركنا صيرنا وعاكفة ملازمة وأبنا رجعتنا ، يريد أنا قتلنا السيد المتقدم ذكره وصيرنا الطير ملازمة له تأكل من لحمه ورجعتنا بالغنائم بدون أن يلحقنا أذى «٢» نقل نحول والرحى الطاحون واللقاء الحرب والطحين الشيء يطحن ، يريد متى نحول رجالنا المشبهين بالطاحون بجامع سحق في كل إلى قوم يكن أولئك القوم لرجالنا عند انتشاب الحرب مشبهين بالشيء الذي يطحن بجامع الانسحاق في كل «٣» النفال هو ما يوضع تحت الرحى ليقع عليه الطحين ونجد جهة من بلاد العرب والاهوة القبضة من الحب تلقى في فم الرحى وقضاة قبيلة من قبائل العرب ، يريد ان مكان القتلى الشبيه بالنفال في سقوط المسحوق عليه شرقي نجد والرجال الذين تقتلهم في هذه الحرب المشبهين بالاهوة في اعداد كل للسحق قبيلة قضاة جميعها «٤» ما حملونا ما كلفونا حمله ، يريد اشمل جميع افراد قبيلتنا بالمطاء ونكف أنفسنا عن أخذ ما لديهم ونقوم بإداء ما كلفونا به من أثقالهم «٥» نطاعن نرمي بالرمح وتراخي بعمد وغشنا أتينا مبنيا للمجهول وما ظرفية مصدرية ، يريد نرمي الابطال بالرمح ، عند بعدهم عنا ونضربهم بالسيوف عند قربهم منا «٦» مجد شرف وعلقمة بن سيف هو الذي تولى قيادة بني تغلب و أنزلهم بعد انتهاء حرب البسوس جنوبي الجزيرة خوفا من بني بكر وحسما لايواب النزاع وأباح أحل وديننا ملكا وهو منصوب على التمييز وجملة أباح في محل نصب على الحال من علقمة بتقدير وقد وفي قوله حصون المجد استعارة مكنية شبه المجد بمدينة بجامع الحسن في كل ثم حذف ورمز اليها بحصون وإثبات حصون للمدينة استعارة تخيلية ، يريد ورثنا شرف ذلك الرجل المشهور وقد أحل لنا المجد الشبيه بالمدينة في الحسن ملكا «٧» عتاب هو جد علقمة المذكور وكثوم هو والد عمرو صاحب هذه المعلقة وتراث ميراث وعتابا معطوف على مجد وجميعا حال ، يريد ورثنا أيضا عتابا وكثوما وبكل واحد من المذكورين حزنا ميراث الاكرمين أي مآثرهم «٨» بارزين جمع بارز وهو الخارج الى مبارزة العدو وحي قبيلة والقرين الملازم ، يريد ننظرنا خارجين لمبارزة العدو والحال ان كل قبيلة صيرت خوفنا ملازما لقلوبها «٩» معد هو ابن عدنان أبو قبيلة من العرب وقب جمع قبة وهي بناء سقفه مستدير معقود بالحجارة أو الآجر والابطح المكان المتسع وقب نائب فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده ، يريد ان قبائل بني معد عند بناء القبب بمكانها الواسع المسمى بالابطح تعرف من فضائلنا ما يأتي ذكره

بأنا المتعمون إذا قدرنا	وأنا المهلكون إذا ابتلينا (١)
وأنا المانعون لما أردنا	وأنا النازلون بحيث شينا (٢)
وأنا التاركون إذا سخطنا	وأنا الآخذون إذا رضينا (٣)
وأنا العاصمون إذا أطعنا	وأنا العازمون إذا عصبنا (٤)
ونشرب إن وردنا الماء صفوا	ويشرب غيرنا كدرا وطينا (٥)
إذا ما الملك سام الناس خشنا	أينا أن نقر الخسف فينا (٦)
ملأنا البر حتى ضاق عنا	وظهر البحر نملاهُ سفينا (٧)
إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً	نحرق له الجبار ساجدينا (٨)

### نخبة من معلقة الحارث

وهو أبو ظلم بن حليزة الشكري من أهل العراق ، كان ذا حزم وبصيرة بأعقاب الأمور فصيح المنطق سريع البديهة أرتجل معلقته في ملاء من الناس أمام عمرو بن هند ملك العرب يعبر فيها بني تغلب بجملة وقائع خذلوا فيها وبتقصم اليهود ويذكر مآثر قومه ، وذلك أن عمرو بن هند المذكور لما جمع قبيلتي بكر وتغلب ابني وائل وأصالح بينهما في حرب البسوس أخذ من الحيين رهنا من كل حي مئة شاب أيكف بعضهم عن بعض . فكانوا يصحبونه أينما سار ويفزون معه . فأصابهم ريح السموم في بعض الجهات فهلك التغليون وسلم البكريون ، قتلت بنو تغلب لبني بكر أعطونا ديات أبنائنا فأبت بنو بكر وجاءت

« ١ » المنعمون المفضلون والمهلكون المعدمو الأعداء وابتلينا اختبرنا والمصدر المجرور بالباء وهو إنعامنا متماق بلم في البيت قبله ، يريد علمت القبائل بأننا المتفضلون على أعدائنا بفك أسراهم والاحسان إليهم عند تمكننا منهم وأننا المهلكون لهم إذا اختبروا اقتدارنا « ٢ » النازلون الخالون وشينا أصله شينا قلبت همزته ياء ، يريد وأنا تمنع الناس مما تريد منهم عنه وأنا الخالون في أي مكان تريد حياوله « ٣ » التاركون الراضون وسخط غضب ، يريد وأنا نرفض ما لا يوافق رغبتنا وتأخذ ما يوافقنا « ٤ » العاصمون الحافظون والعازمون المعصومون ، يريد وأنا الحافظون لمن أطعنا وأنا المعصومون على إيذاء من خالفنا « ٥ » الصفو الرائق والكدر المكر ، يريد أننا تأخذ من كل شيء أحسنه وتأخذ غيرنا أخشبه يعني أننا الأكبر وغيرنا الأصغر « ٦ » سامه خشنا أهانه وأبنا امتننا وما زائدة بعد إذا والمك فاعل لفاعل محذوف يفسره ما بعده ، يريد إذا أهان الملك الناس دفعنا الإهانة عنا « ٧ » السفين جمع سفينة أي المركب وهو تمييز ، يريد أننا إذا توجهنا لقتال أعدائنا نملأ البحر بالرجال والبحر بالسفن « ٨ » نحر تنكب والجبار جمع جبار وهو التكبر العاتي وساجدين جمع ساجد وهو الخاضع وساجدين حال من الجبار ، يريد إذا فطم الرضيع منا تخضع له الجبارة مهابة

بالحارث بن حازرة صاحب هذه المعانعة وجاءت بنو تغلب بعمر بن كلثوم صاحب المعانعة السابقة واجتمع الفريقان عند الملك . قتال عمرو للحارث جاءت بك بنو بكر لتنازل عنهم وهم يفتخرون عليك . فقال وعلى من أظلت السماء يفتخرون ولا ينكر ذلك عليهم . ثم قام بين الحاضرين فارتجل معلقته ارتجالاً . توفي سنة ٥٦٠ م وهو طاعن في السن . قال

آذَنَّا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ	رُبَّ نَاوٍ يَمِلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ (١)
بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِبُرْقَةٍ شَمًا	ءَ فَأَدْنَى دِيَارِهَا التَّخْلِصَاءُ (٢)
وَأَنَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَنْزِ	بَاءٍ خَطْبُ نَعْنَى بِهِ وَنِسَاءُ (٣)
إِنَّ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَنْغَلَوُ	نَ عَلَيْنَا فِي قَوْلِهِمْ إِحْفَاءُ (٤)
يَخَاطُونَ الْبَرِيَّةَ مَنَابِذِي الذَّنْبِ	بٍ وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّةَ الْخِلَاءُ (٥)
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا	أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ (٦)
فَأَتْرَكُوا الطَّيْخَ وَالتَّعَاشِيَّ وَإِمَا	تَتَعَاشَوْا فَنَفِي التَّعَاشِيَّ الدَّاءُ (٧)
وَإِذَا كَرُوا حَلْفَ ذِي الْمَجَازِ وَمَا قُدَّ	دِمَّ فِيهِ الْعَهْودُ وَالْكَفْلَاءُ (٨)

« ١ » آذن أعلم والبين الفراق وأسماء علم امرأة والثاوي المقيم بالمكان طويلاً ويميل يسأم والثواء الإقامة ورب حرف جر شبيه بالزائد وناو مبتدأ سرفوع بضمه مقدره وسوغ الابتداء به دخول رب عليه وجملة يمل خبره ، يريد ان أسماء أعلمتنا بعزمها على الفراق ولم تكن قد سئمتنا من طول اقامتها وإن كان شأن من يطيل الإقامة أن يمل منه « ٢ » عهد لقاء وبرقة مكان فيه حجارة ورمل وطين وشماء عالية وأدنى أقرب والخلصاء علم موضع ببلاد العرب وأدنى مبتدأ خبره الخلاء ، يريد ان هذا الإقليم حصل بعد لقاء لنا بمكان عال كثير الحجارة والرمل والطين وبالخلصاء التي هي أقرب ديارها إلينا « ٣ » الحوادث جمع حادث وهو الأمر الطارئ والانباء جمع نيب وهو الخبر والخطب الأمر المحزن ونعني نقصد ونساء نتكدر ، يريد بلغنا من الاخبار حادث محزن قصدنا به دون غيرنا من الناس فتكدرنا من أجله « ٤ » الاراقم جماعات من قبيلة تغلب ودعاهم إخوانه وإن كان هو من بني بكر لان بني بكر وتغلب أبناء رجل واحد وهو وائل ويغولون يبالغون في عداوتنا واحفاء الحاح ، يريد ان ذلك الخطب هو غلو اخواننا الاراقم في عداوتهم لنا والحاحهم في أقوالهم الموجهة الينا بأنواع الذم « ٥ » يخاطون يشركون والبرية الخالي من الذنب ومثله الخلية ، يريد أنهم يشركون البرية وغيره في الاساءة فلا تنفع البرية براءته « ٦ » أجمعوا عزموا والضوضاء أصوات الناس في الحرب وأصبح الاولى تامة والواو فاعلها والثانية ناقصة ولهم متعاق بمحذوف خبرها مقدم وضوضاء اسمها مؤخر ، يريد عزموا على قتالنا في وقت العشاء فلما جاء وقت الصباح باشرنا الحرب وعلت أصواتهم فيها « ٧ » الطيخ التكبر والتعاشي التجاهل وإن المدحمة في ما الزائدة حرف شرط جازم وتتماشوا فعل الشرط وجملة فني التعاشي الداء في محل جزم جوابه ، يريد اتركوا التكبر علينا والتجاهل بقدرنا وإن تجاهلوا يجر ذلك عليكم شراً عظيماً « ٨ » الحلف اليمين وذو المجاز علم موضع قرب مكة كانت العرب تقيم به سوقاً في الجاهلية والكفلاء جمع كفيل وهو الضامن ، يريد تذكروا الايمان التي حصلت منا ومنكم في ذي المجاز وما اتفقنا عليه نحن وأنتم من المعاهدات وما فيه من الضامين

حَدَرَ الحَوْنَ والتعدّي وهل ين	تَحَضُّ ما في المهارق الأهواء (١)
وأعلموا أننا وإياكم في	ما اشترطنا يوم اتفقنا سواء (٢)
أعلينا جناح كندة أن يغ	نم غازيهم ومنا الجزاء (٣)
أم علينا جرّى حنيفة أو ما	جمعت من محارب غبراء (٤)
أم علينا جرّى قضاة أم ليد	س علينا فيما جنوا إيذاء (٥)
ليس منا المضرّبون ولا قية	س ولا جندل ولا الحداء (٦)
أها المبيض المبلغ عنا	عند عمرو أما لذلك أنتهاء (٧)

### نخبة من معلقة عنتره

وهو أبو المغلس بن شداد العبسي من أهل نجد ومن شعراء الطبقة الأولى . كان عالي الهمة كريما مضيافا شديد البطش بصيرا بأساليب الشعر لم يحذ في شعره حذو الجاهلية من استعمال وحشي الألفاظ وغريب المعاني . وكان أبوه قد نفاه في بدء أمره لكون أمه سوداء وأرسله مع العبيد يرعى الإبل . فلما أغار بعض أحياء طيء على بني عبس وسلبوا أموالهم وسبوا نساءهم تبعهم العبسيون وفيهم عنتره . فقال له أبوه

« ١ » الحون نقض العهد والتعدّي الظلم وينقض يبطل والمهارق جمع مهرق وهو خرقة تطلى بنحو الصنع وتصلق ثم يكتب فيها والاهواء جمع هوى وهو ميل النفس وحذر مفعول لاجله لتقديم في البيت قبله والاستفهام للانكار، يريد لم يقع ما وقع في ذي الحجاز من الايمان وتقديم الضامين إلا خوف نقض العهد وحصول الظلم وهل ينقض ما كتب في المهارق أميال الانفس أي لا ينبغي ذلك « ٢ » اشترطنا اتخذنا شروطا، يريد اعلوا أننا وإياكم مستوون في الشروط التي اتخذناها يوم اتفقنا في ذي الحجاز « ٣ » الجناح الذنب وكندة قبيلة من عرب اليمن غزت بني تغلب وقتلت رجالهم وغنمت أموالهم والغازي السائر الى قتال عدوه واتمابه في دياره والمصدر المأخوذ من أن يغتم غازيهم بدل بعض من جناح ، يريد أعلينا ذنب كندة يقتلون رجالكم ويغتمون أموالكم ونواخذنكم بما فعلوه والمقصود من الاستفهام توبيخ المخاطبين أي ليس علينا ذلك « ٤ » الجرّى الذنب وحنيفة علم قبيلة من العرب قهرت بني تغلب والغبراء الارض ، يريد وليس علينا ذنب حنيفة ولا ذنب ما جمعت الارض من الذين يحاربونكم « ٥ » قضاة علم قبيلة من العرب أغارت على بني تغلب فقتلت وسبت منهم عددا عظيما وجنى أذنب وإيذاء أذى وأم حرف عطف بمعنى بل في هذا وما قبله ، يريد وليس علينا ذنب قضاة وليس علينا فيما ارتكبه جميع هؤلاء من أذى يقصد بذلك تعييرهم بما حصل لهم وإظهار حقهم بمؤاخدة البريء بذنب غيره « ٦ » المضرّبون الذين كثر فيهم الضرب وقبس وجندل والحداء أعلام رجال من بني تغلب قتلهم المنذر لزرعهم الفتن في مملكته ، يريد ليس المضرّبون ولا قيس ولا جندل ولا الحداء منا بل هم منكم « ٧ » يقصد بالمبيض خصمه عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة السابقة وبعمره ملك العرب عمرو بن هند ، يريد أيها العدو الساعي في زرع الفتن بيننا وبين الملك ألا تنتهي عن هذا الفعل التبيح الذي لا يجدي لك نفعا

كَرَّ عَلَى الْعَدُوِّ يَاعْتَرَةً • فَقَالَ الْعَبْدُ لِأَيُّحْسَنِ الْكَرِّ وَإِنَّمَا يَحْسَنُ الْحَلْبَ وَالضَّرَّ • فَقَالَ لَهُ كَرَّ  
وَأَنْتَ حَرَّ • فَتَقَدَّمَ إِلَى الْأَعْدَاءِ وَقَهَرَهُمْ وَأَسْتَرَدَّ مَا كَانُوا قَدْ أَخَذُوهُ فَاسْتَلَحَّتْهُ أَبُودَ وَمِنْ  
تَمَّ اشْتَهَرَ بِالشَّجَاعَةِ وَالْفُرُوسِيَّةِ

وَسَبَبَ نَظْمَهُ لِمَعْلَقَتِهِ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا مَعَ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ فَعَبَّرَ بِأَمِّهِ وَسَوَادَ جِسْمِهِ فَفَخَّرَ  
عَلَيْهِ عَنْتَرَةً بِالشَّجَاعَةِ وَالْعَنَّةِ وَالْجُودِ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ أَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ فَأَنْشَأْ عَنْتَرَةً مَعْلَقَتِهِ  
يَذَكُرُ فِيهَا تَتْلَاهُ . مَعَاوِيَةَ بْنِ زَيْلٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ فِي وَاقِعَةِ الْفُرُوقِ وَهُوَ وَادٍ بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَالْبَحْرَيْنِ .  
تُوفِيَ قَبِيلًا عَنْ تَسْعِينَ سَنَةً ، قَتَلَهُ الْأَسَدُ بْنُ رُهَيْصٍ سَنَةَ ٦١٥ م . قَالَ

هل غادرَ الشعراءُ مِن مُتَرَدِّمٍ	أم هل عرفتَ الدارَ بعد توهُمِ (١)
يادارَ عبلةَ بالجواءِ تكلمِي	وعمي صباحاً دارَ عبلةَ وأسلمِي (٢)
حلتُ بأرضِ الزائرِينِ فأصبحتُ	عَبيراً عليَّ طَلائُكُ أبنَةَ مَحْرَمِ (٣)
كيفَ العزائرُ وقد تربعَ أهلُها	بِعُنِيزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالغَيْلَمِ (٤)
ماراعني إلا حمولةُ أهلِها	وسَطَ الدِّيارِ تَسْفُ حَبَّ الحِجْمِ (٥)

«١» غادر ترك والمتردم الموضع من الثوب الذي يحتاج الى ترقيق شبه الرديء من الشعر بالشوب الخلق  
بجامع احتياج كل الى الاصلاح والتوهم التفرس ومن زائدة ومتردم مفعول غادر منصوب بفحمة مقدرة  
وام حرف عطف بمعنى بل ، يريد هل ترك الشعراء الذين سبقوني شيئاً من الشعر يحتاج الى اصلاح  
حتى أتعرض له ثم خاطب نفسه بقوله هل عرفت الدار التي كنت ترى فيها أصحابك بعد تفرس طويل  
والقصود من الاستفهام في الموضعين الانكار أي أنهم لم يتركوا له من ذلك شيئاً ولم يعرف هو  
الدار بعد التفرس الطويل «٢» عبلة علم امرأة والجواء علم موضع بديار عيس وعمي فعل أمر من وعم  
يم كوعد بعد بمعنى انعمي أي تنعمي واسلمي انجي ودار الثانية منادى حذف منه حرف النداء ، يريد  
يادار عبلة بهذا الموضع أخبرني عن سكانك ما حصل لهم ثم قال وتنعمي أيها الدار وقت الصباح وانجي  
كما يكدر صفوك «٣» حلت تلك والزائر جمع زائر من زثر يزأر والطلاب الطيب وابنة محرم كنية  
عبلة المتقدم ذكرها وهو منادى حذف منه حرف النداء وسيأتي أنه يكنىها بابنة مالك ومحرم ومالك  
علما عم الشاعر وفي البيت التفات ينقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفيه استمارة تصريحية تبعية حيث  
شبه تهديد الاعداء بزئير الاسود بجامع الإرهاب في كل أو مكنية أصلية حيث شبهت الاعداء بالاسود  
بجامع الضرر من كل ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ، يريد نزلت عبلة ببلاد أعدائي  
المشبهين بالاسود في الشجاعة فصار طلبها عدواً علي «٤» المزار الزيارة وتربع أقام زمن الريم وعنيزتين  
والغيلم علما موضعين ببلاد العرب وكيف في محل رفع خبر مقدم والمزار مبتدأ مؤخر والواو للحال والجملة  
بمدها في محل نصب وعنيزتين مجرور وعلامة جره الياء لانه ملحق بالثني ، يريد كيف أمكن من زيارة  
عبلة وقد أقام أمها زمن الريم بعنيزتين وأقام أهلنا بالغيلم وبين الموضعين مسافة بعيدة «٥» راع أفرغ  
والحمولة الامبل التي يحمل عليها وتسف تأكل اليايس غير مخلوط بماء والنجم نبت ذوشوك دقيق يلصق  
بكل ما يتماق به ووسط متماق بمحذوف حال من حمولة وجملة تسف في محل نصب حال منها أيضاً ،  
يريد ما أفرعني إلا علمي بتصميم أهلها على الارتحال من هذه الديار فاني شاهدت إبلهم تسف حب النجيم  
وسط ديارهم وكان ذلك عندهم من علامات العزم على السفر

فيها اثنتان وأربعون حلوبةً  
تَمِيي وتصبح فوق ظهر حشيةٍ  
هلاً سألت الحيلَ يا أبنة مالكٍ  
يُخبرك من شهد الواقعة أني  
وأرى مغامم لو أشاء حَوَيْتُهَا  
لَمَا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَعْمَهُمْ  
يدعون عَنَتَرَ والرماحُ كأنها  
ولقد شفى نفسي وأبرأ سَقْمَهَا  
والحيلُ تَقْنَحُ الخَبَارَ عَوَابِأً  
سودًا تَخْفِيَةَ الغرابِ الأَسْحَمِ (١)  
وأبَيْتُ فَوْقَ سَرَادِ أَدْهَمِ مُلْجَمِ (٢)  
إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي (٣)  
أَعْشَى الْوَعْيَ وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَغْمِ (٤)  
فِيصُدُّنِي عَنْهَا الْحِيَا وَتَهْكَرُمِي (٥)  
يَتَذَامِرُونَ كَرَّرْتُ غَيْرَ مُذَمَّمِ (٦)  
أَشْطَانُ بَثْرٍ فِي لِسَانِ الأَدْهَمِ (٧)  
قِيلُ الْفَوَارِسِ وَيَكُ عَنَتَرَ أَقْدِيمِ (٨)  
مَنْ بَيْنَ شَيْطَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْطَمِ (٩)

«١» الحلوبة هي التي تحب والحافية إحدى الحوافي وهي ريشات يكن في الجناح بعد القوادم إذا ضم الطائر جناحيه خفيت والاسحم الأسود ، يريد ان الجمولة فيها اثنتان وأربعون نافقة تحب شديدة السواد كسواد خافية الغراب الأسود خص السود بالذكر لعزيزتها عند العرب وهو يقصد بذلك أنهم من قوم أغنياء لأنهم إذا كانوا يملكون هذا العدد الكثير من ذلك الصنف العزيز فكهم يملكون من غيره «٢» الحشية الفراش المحشو بقطن أو نحوه والسراد أعلى كل نبيء والادهم الأسود والمنجم هو الذي يفمه اللجام وفوق الاولى يصح أن تكون متملقة بمخدوف خبر تسمى وتدل على خبر تصحج ويصح العكس ، يريد انها تمضي جميع أوقاتها في الراحة والتنعم وأنه هو يقطع أيامه ولياليه في العناء والشقاء «٣» هلا أداة حض وبما متعلق بسالت والباء بمعنى عن ، يريد يلزمك أن تسألني عن فرسان الخيل عما لم تعلمه من حالي في الحرب يا ابنة مالك ان كنت جاهلة به «٤» شهد حضر والواقعة مصادمة في الحرب وأعشى آتي والوعى الحرب وأعف أمتنع والمغمم الغنيمة ويخبرك مجزوم لوقوعه في جواب الحض ، يريد إن تسألني يخبرك من حضر مصادمتنا أني آتي الحرب بجأش رايش فأفهر الاعداء وامتنع من أخذ المال عند الغنيمة أي يخبرك بانني شجاع عالي الهمة «٥» حويتها ملكتها ويصد بمنع والحياء خلق يحمل صاحبه على ترك ما يوجب له اللوم وانما قصره الشاعر للضرورة والتكرم التزه عما يشين فاعله ، يريد كثيرا ما أشاهد غنائم عديدة لو أردت أن أملكها ملكتها ولكن يمنعني من ذلك حياتي وتنزهي عن القبيح «٦» يتذامرون يحض بعضهم بعضا على قتالنا وكررت حملت ومذمم مذموم وجملة أقبل جمعهم في محل نصب حال لا مفعول لا يرى لأنها بهيرية وجملة كررت جواب لما ، يريد لما أبصرت جمع الاعداء قد أقبلوا يحض بعضهم بعضا على قتالنا حملت عليهم بحالة يحمدني عليها كل من يراني «٧» أشطان جمع شطن وهو الجبل واللبان الصدر والادهم الأسود ، يريد كان قومي يدعوني ورماح الاعداء الشبيبة بأحبال البئر التي يستقي بها في الطول تصيب صدر فرسي «٨» القيل القول وويك مركبة من وي بمعنى أعجب وكاف الخطاب وأقدم اجترى ووي اسم فعل مضارع والكاف حرف خطاب وعتر منادى مرخم حذف منه حرف النداء ، يريد ان قول الفوارس عجبالك يا عتر اجترى على العدو هو الذي شفى نفسي وأبرأني من المرض «٩» تقتحم ترمي نفسها في المشقات والخبار الارض اللينة والعباس جمع عابس وهو السكالج والشيطمة الطويلة والاجرد قصر الشعر ، يريد يقولون لي ما تقدم ذكره في البيت السابق وقت أن كانت الخيل رامية نفسها عادة

ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تكن      لا لحزبٍ دائرةٌ على أُنبي ضمَّم (١)  
 الشاتمِي عِرْضِي ولم أَشْتِهُمَا      والناذِرِينَ إِذَا لم أَلْقَهُمَا دَمِي (٢)  
 إِن يَفْعَلَا فَاقْدُ تَرَكْتُ أَبَاهَا      جَزَرَ السَّبَاعِ وَكَلَّ نَسْرِي قَشَم (٣)



### نَجْبَةٌ مِمَّنْ لَامِبَةُ السَّنْفَرِي

وهو ثابت بن أؤس الأزديّ من عرب اليمن ، كان بنو شَبَابَةَ أُسْرُوهُ وهو غلام صغير وأقام بينهم حتى أسرت بنو سلامان رجلا من بني شَبَابَةَ ففدوه منهم بالسنفري ، استمر في بني سلامان زمنا طويلا يظن نفسه واحدا منهم لأنهم أخذوه قبل سنّ التمييز ، وتبناه رجل منهم عادم الذكور ، الى أن قال يوما لابنة ذلك الرجل واسمها جعسوس اغسلي رأسي يا أختي ، فأنكرت ذلك عليه ولطمت وجهه ، فغضب السنفري وانتظر قدوم أبها . فلما حضر سأله من أنا ، فذكر له نسبه الحقيقي . فلدحق بقومه وحلف ليقْتَنَنَّ من بني سلامان مئة رجل لجسهم إِيَادَ عن أهله . فكان إذا لقي رجلا منهم يقول له لِيَطْرُقْكَ ثم يرميه فيصيب عينه حتى قتل منهم تسعة وتسعين . فرصدوه إلى أن ورد يوما في مضيق ليشرّب فأمسكوه وقتلوه . ثم مرّ رجل منهم بجمجمته ملقاة على الأرض فضربها برجله غيظا منه فدخلت عظمة منها في رجله فمات بسببها فتمت القتل مئة

قال قصيدته وهو معتزل عن قومه يعاتبهم بعدم نصرتهم له ويفتخر بانفراده وعيشه في القفار حجة السباع ، توفي سنة ٥١٠ م . قال

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صَدُورَ مَطِيئِكُمْ      فَإِنِّي إِلَى قَوْمِ سِوَاكُمْ لِأُمَيْلُ (٤)

بعشقة في الارض اللينة التي تسوخ فيها قوائمها وهي كالحة الوجوه وتلك الخيل قصيرة الشعر طويلة القامة « ١ » خشي خاف والدائرة الهزبية وابني ضمضم هما هرم وحصين من بني مرة قتلها ورد بن حابش أحد فرسان بني عبس وكان عنزة قد قتل أباهما ضمضم المذكور قبلهما بمدة يسيرة ، يريد اني أخاف أن أموت ولم تكن للحرب هزيمة على ابني ضمضم فيشتما في موتي « ٢ » العرض محل المدح والذم من الانسان والناذرين مثني الناذر وهو من يوجب على نفسه أمرا لم يكن واجبا والشاطمي صفة لابني ولم الواد للحال ، يريد ان ابني ضمضم يشتمانه وهو لم يشتمهما ويوجبان على نفسها سفك دمه أي قتله في حالة غيابهما وعند حضوره لا يجاسران أن يقول شيئا « ٣ » ترك صير وجزر السباع اللحم الذي تاكله السباع والسباع جمع سبع وهو المفترس من الحيوانات والقشم المسن ، يريد ان يقتلني فلا يكون لهما فخر بذلك لاني صيرت أباهما لحمًا تاكله السباع وكل نسر مسن « ٤ » المطي جمع مطية وهي الدابة التي تركب وأميل اسم تفضيل بمعنى اسم الفاعل أي مائل ولذا لم تذكر بعده من

فقد حُتَّتِ الحاجاتُ والليلُ مقيرٌ  
وفي الأرضِ منأى للكريمِ عن الأذى  
لعمرك ما في الأرضِ ضيقٌ على امرئٍ  
ولي دونكم أهلون سيد عماسٌ  
همُ الأهلُ لا مستودعُ السرِّ ذائعٌ  
وكلُّ أُنبيءٍ بأسلٍ غيرِ أنبي  
وإنْ مدتْ الأيدي إلى الزادِ لمْ كنْ  
ولستُ بعليٍّ شرُّهُ دون خيره

وشدَّتْ لِحِيَّاتِ مطايا وأرْحُلِ (١)  
وفيها لمن خاف القلي متمزل (٢)  
سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل (٣)  
وأرْقَطُ زُهلولٌ وعرفاءُ جِيئال (٤)  
لديهم ولا الجاني بما جرَّ يُخْذَل (٥)  
إذا عرضتْ أُولَى الطرائدِ أبْسَل (٦)  
بأعجابهم إذ أجمَعُ القومَ أعجَل (٧)  
ألفٌ إذا ما رُعتَه أرتاعَ أعزَل (٨)

وبني منادى حذف منه حرف النداء وكفى بني أمه عن إخوته وبأقيموا صدور مطيكم عن التهمة للسفر ، يريد هيثوا يا إخوتي مطاياكم للسفر لتنظروا لكم حاميا غيري لاني مائل إلى معاشره قوم سواكم وراحل عنكم «١» حمت أحضرت وشدت أوتقت وطيات جمع طية بكسر الطاء وتشديد الياء وهي الجهة التي يقصدها الإنسان ويطوي البلاد لاجلها وأرحل جمع رحل وهو ما يستحبه المسافر من الامتعة، يريد قد أحضرت جميع لوازم السفر والليل مضيء وهيتت المطايا للرحيل إلى الجهات التي أقصدها «٢» المنأى المبعد أي المكان الذي يبتعد فيه والقلي البغض والمتزل موضع العزلة وفي الأرض متعاق بمحذوف خبر مقدم عن منأى وللكريم متعاق بمحذوف صفته وعن الأذى متعاق بمنأى وفيها لمن متعلقان بمحذوف خبر مقدم عن متمزل ، يريد ان الإي نسان الكريم لا يقيم يدار الذل ولا يحل يفضه فيه أحد وهو يجحد منأى ومتمزلاً يبتعد فيهما «٣» سرى سافر ليلا والراغب المريد للشيء والراهب الخائف واللام الابتداء وعمر مبتدأ خبره محذوف وجوبا أي قسمي وفي الأرض متعاق بمحذوف خبر مقدم عن ضيق وعلى امرئ متعاق بمحذوف صفته وجملة سرى في محل جر صفة امرئ وجملة وهو يعقل حال من فاعل سرى ، يريد ان الانسان الماقل أينما ذهب وكيفما ذهب يجحد متسما من الرزق «٤» دون غير والسيد الذئب والعماس القوي والارقط النمر والزهلول الاملس والعرفاء ذات الدرف وهو الشعر الثابت على العنق وجيال علم جنس للضيع فلذا لا تدخاه آل ولي ودون متعلقان بمحذوف خبر مقدم عن أهلون وسيد وأرقط وعرفاء بدل منه وجيال بدل من عرفاء ، يريد لي أهل غيركم من السباع من صفاتهم كذا وكذا أفضلهم عليكم «٥» ذائع ظاهر والجاني فاعل الجانية أي الذئب وجر ارتكب الذئب ويخذل لا ينصر ، يريد ان أولئك السباع هم الاهل الحقيقيون فلا يظهرون سرا الاستودع عندهم ولا يخذلون من يرتكب ذنبا بينهم «٦» الأبي هو الذي لا يرضى الدنيايا تكبرا والباسل الشجاع وعمرضت ظهرت وأولى مؤنث أول والطرائد جمع طريدة وهي الصيد . يريد ان هذه الوحوش مع اختلاف طبائهم لا ترضى الدنيايا وانها قوية لكنه أقوى منها عند ظهور أول الصيد فيلحقه ويتمكن منه قباها «٧» أعجل اسم تفضيل بمعنى اسم الفاعل والاجشع الشديد الحرص وبأعجل يصح جعل الباء أصالية بمعنى مع والمتعاق خبر أكن وجماعها زائدة فتكون أعجل هي الخبر وإذ تمليلية ، يريد أنا أفضل صهيري بالهفة فإن حضر الطعام ومدت أيدي القوم اليه لم أكن مع العاجل لان شديد الحرص على الاكل أي الشره هو الذي يعجل مديده الى الطعام «٨» العلي الضعيف والضعيف ودون امام والالف العايز عن الامور ورعته أنزعته والاعزل من لاسلاح معه وبعل الباء حرف جر زائد وعلى خبر ليس منصوب بفتحة مقبرة وشر مبتدأ ودون متعاق بمحذوف خبره والجملة صفة لعل وألف صفة ثانية له وما زائدة وجملة الشرط وجوابه صفة لائف وأعزل خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أو أنا ، يريد أنا لست رجلا ضيفا شره يتقدم خيره واست عاجزا عن

أَدِيمُ بِمَطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أُمَيْتَهُ  
وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الْأَرْضِ كَيْلَا يَرَى لَهُ  
وَلَوْلَا أُجْتَنَبَ النَّدَمُ لَمْ يُبْفَ مَشْرَبٌ  
وَأَعْدِمُ أَحْيَانًا وَأَغْنِي وَإِنَّمَا  
فَلَا جِزْعٌ مِنْ خَلَّتْ مِنْهُ مَتَكَيْفُ

وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا فَأَذْهَلُ (١)  
عَلِيٌّ مِنَ الطَّوْلِ أَمْرٌ مَطْوُولٌ (٢)  
يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدِيٍّ وَمَأْكَلٌ (٣)  
يُنَالُ الْغَنَى ذُو الْبُعْدَةِ الْمُتَبَدِّلُ (٤)  
وَلَا مَرِحٌ تَحْتَ الْغَنَى أَلْحَيْلُ (٥)

### من قصيدة للنايفة الزبيري (٦)

#### في عمر والرابع ابه الحارث الاصفر الفسائي (٧)

كَلَيْنِي لَهْمٌ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ      وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكُوكَا كَبِ (٨)

مباشرة الامور الخطرة ولا أخاف ممن يخوفني ولا أناخال من السلاح «١» المطال المطل وهو التسوية مرة بعد أخرى وأضرب عنه الذكر صفحا أي أعرض عنه وأذهل أنسى وصفحنا نائب عن المفعول المطلق لا ضرب وفي البيت استهارة ممكنة حيث شبه الجوع بالدائش بجامع كراهة النفس لسكل ثم حذف ، يريد لا أزال أتشاغل عن الجوع حتى لا يبقى له أثر وأعرض عنه الى أن أنساه «٢» أستف - أتناول الشيء اليابس غير مخلوط بماء ونحوه وتراب وحب والفضل والمتطول المنفضل ، يريد أتناول تراب الارض غير مخلوط بماء او نحوه ولا آخذ من أحد شيئا لئلا يرى له بتفضله علي فضلا «٣» اجتناب تجنب ويقف يوجد ومشرب ومأكل بمعنى مشروب ومأكل ولدي عندي ولولا حرف امتناع لوجود واجتناب مبتدأ خبره محذوف وجوبا وجملة لم يلف جواب لولا ، يريد لا تتوهم أنني أفعل ما أفعل من إطالة الجوع واستفاف التراب ليعجزني عن تحصيل المأكول والمشرب بل الخوفي من عار يلحقني في السعي وراء ذلك ولولا هذا لكانت جميع أنواع المشروب والمأكول عندي «٤» أعدم أفقر وذو البعده البعيد الرجوع عن الماداة والمتبدل الذي لا يصون نفسه ، يريد أنا أفقر أحيانا واغني أخرى ولا يستمر على الغنى إلا من يطيل معاداة الناس بخلة ولا يصون نفسه بمنح العطايا «٥» الجزع الضعيف عن حمل ما نزل به والحلة الفقر والمتكشف الظهر أمره والمرح شديد الفرح وأنجيل أتكبر وأتجتر وجزع خبر لمبتدأ محذوف ومثله مرح ، يريد لست أضعف عن حمل ما ينزل بي من الفقر فاكشفه للناس ولا يشتد فرحي بالغنى فأنيه كبراعليهم «٦» هو أبو أمامة زياد بن معاوية الشاعر المشهور من أهل الحجاز ونحو شعراء الطبقة الاولى . كان من أعلى العرب ديباجة وأحسنهم روثق كلام وأجزلهم بيتا كأن كلامه ليس فيه تكلف . مكث زمنا طويلا في بطانة النعمان أي قابوس مقرابانه يناديه ويؤانسه ثم تغير عليه وأوعده فهرب منه والتجأ الى عمرو الرابع المذكور فامتدحه وحظي عنده ثم كتب الى النعمان يتمنراليه وانشده قصيدته التي يقول فيها

كأنك شمس والملوك كواكب      إذا طلعت لم يبد منهن كوكب  
وأسن النايفة وكبر وتوفي سنة ٦٠٤م وهي السنة التي قتل فيها النعمان بن المنذر «٧» عمرو وهذا كان ملكا على عرب غسان من سنة ٥٨٠ إلى سنة ٥٨٧م «٨» كايين فعل أمر من وكل أي دعيني والهلم ما بهم الانسان بفعله وأميمة علم امرأة وناصب متمب وأقاسيه أكابد شدته وليل معطوف على هم ، يريد دعيني يا أميمة لا سر متمب هممت بفعله وللليل بطيء سير كواكبه أكابد شدته

- وصدور أراح الليل عازب همّه  
 عليّ لعمر و نعمة بعد نعمة  
 وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت  
 بنو عمّه دنيا وعمرو بن عامر  
 إذا ما غزوا بالخيـش حلق فوقهم  
 جوانح قد أيقن أن قبيله  
 لهنّ عليهم عادة قد عرفها  
 على عارقات للطعان عوابس  
 إذا استزلوا عنهم للطعن أرقلوا
- تضاعف فيه الحزن من كل جانب (١)  
 لوالده ليست بذات عقارب (٢)  
 كتائب من غسان غير أشائب (٣)  
 أولئك قوم بأسهم غير كاذب (٤)  
 عصائب طير تهدي بعصائب (٥)  
 إذا ما التقى الجمعان أول غالب (٦)  
 إذا عرض الخطي فوق الكواكب (٧)  
 بهنّ كلوم بين دام وجالب (٨)  
 إلى الموت إرقال الجمال المصاعب (٩)

«١» أراح رد والعاذب البعيد والهم الحزن وتضاعف صار مثل نفسه مرتين والواو حرف عطف وصدور معطوف على هم وما بعده صفات له ، يريد ودعيني لصدور رد الليل عليه حزنه الذي كان بعيداً منه وصار الحزن فيه من كل جانب مثل ما كان مرتين «٢» العقارب جمع عقرب والمقصود منها هنا الامتتان وأصله الحيوان المروف شبه به الامتتان بجماع الضرر في كل وعلى ولعمرو متعلقان بمحذوف خبر مقدم عن نعمة وبعد متعلق بمحذوف صفة له ولوالد متعلق بمحذوف صفة ثانية انعمة ، يريد ان المدوح له علي نعمة بعد نعمة كانت علي لوالده ليس فيها امتتان «٣» وثق أيقن وغزت سارت الى قتال العدو وانتهاه في دياره وكتائب جمع كتيبة وهي الجيش وغسان قبيلة من عرب اليمن وأشائب جمع أشايب وهي اخلاط الناس ، يريد أيقنت لعمر و بالنصر عند ما خرجت جيوشه من غسان ولم يخالطها غيرها من أسافل الناس «٤» الدنيا الاصلق النسب وعمرو بن عامر جد ملوك غسان والبأس الشدة في الحرب وبنو بدل من كتائب أو خبر لمبتدا محذوف أي هم ودنيا حال منه وعمرو معطوف على عمه ، يريد الكتائب هم بنو عمه الاقربون وبنو عمرو بن عامر وهم الذين صدق بأسهم في الحرب «٥» حاق ارتقم في طيرانه واستدار كالحلقة والمصائب جمع عصابة وهي الجماعة وتهدي ترشد، يريد اذا خرجوا لقتال عدوهم ارتفعت جماعات الطيور محلقة فوق رؤوسهم يرشد بعضها بمضاييمهم «٦» الجوانح جمع جانح وهو المائل للسقوط وأيقن علم والقبيل الجماعة والجوانح خبر لمبتدا محذوف ، يريد ان هذه الطيور ماثلت للسقوط على أعداء عمرو لتأكل من لحومهم لعلها ان جماعته هم الغالبون عند التقاء الجمعين «٧» عرض ظهر والخطي الرمح والكواكب جمع كائبة وهي ما يقع عليه يد الراكب من الفرس امام السرج ولهن وعليهم متعلقان بمحذوف خبر مقدم عن عادة وجواب اذا محذوف يدل عليه ما قبله ، يريد لهذه الطيور على هؤلاء الجماعة عادة قد عرفتها اذا ظهر الرمح فوق موضع يد الراكب من الفرس وهي قتلتهم اعداءهم فياً كان من لحومهم «٨» المارقات جمع عارفة وهي الصابرة والطمان الطمن وهو الضرب بالرمح وعوابس جمع عابس وهو الكالخ والكوم جمع كخم وهو الجرح والدامي هو الذي يسيل دمه والجالب الذي عليه الجلبة وهي النشرة التي تملو الجرح عند اقتراب البرء وعلى عارقات متعلق ببيغزون محذوف يدل عليه المقام وللطمان متعلق بمارقات ولا منه بمعنى على وعوابس صفة لمارقات وبنو متعلق بمحذوف خبر مقدم عن كوم وبين متعلق بمحذوف صفة لكوم ، يريد أولئك القوم يفوزون اعداءهم على خيل صابرات على الطمان كوالح الوجوه بها جروح حديثة يسيل دمه وجروح قديمة عليها القشور التي تدل على قرب برئها من كثرة الغزو عليها «٩» استزلوا نزلوا (كانت عادة العرب اذا اشتدت الحرب وضاق الموضع على الخيل أن يترجلوا ويعدوا بانفسهم الى عدوهم) وأرقلوا أسرعوا والمصاعب جمع مصعب وهو الجمل الذي لم يروض ؛

- فهم يتساقون النية بينهم      بأيديهم بيض رفاق المضارب (١)  
 يطير فضاخاً بينها كل قونس      ويتبعها منهم فراش الحواجب (٢)  
 ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم      بهن فلول من قراع الكتائب (٣)  
 لهم شيم لم يعطها الله غيرهم      من الجود والأحلام غير عواذب (٤)  
 رفاق النعال طيبت حُجُراتهم      يُحيون بالريحان يوم السباب (٥)  
 تُحبيهم بيض الولائد بينهم      وأكسية الإضريح فوق المشاجب (٦)  
 يصونون أجساماً قديماً نعيمها      بمخالصة الأردن خضر المناكب (٧)  
 ولا يحسبون الخير لاشراً بعده      ولا يحسبون الشر ضربة لازب (٨)

يريد اذا نزل هؤلاء القوم عن خيلهم عند التحام القتال أسرعوا الى الحرب التي هي سبب الموت اسراع الجمل غير الروضة فكما انه لا يقدر أحد على ردتك الجمل لا يستطيع أحد ان يردع أولئك الرجال لشدة شجاعتهم «١» يتساقون أي يسقي كل واحد صاحبه بملء الاناء الذي يستيان فيه ، يريد انهم عند ما ينزلون عن خيلهم بحث بعضهم بعضاً على الموت متسلحين بسيوف بيض حادة «٢» الفضاخ ما يتفرق من الشيء عند تكسره والقونس أعلى الرأس وفراش الحواجب عظمها وفضاضا حال من كل مقدم عليه ، يريد ان سيوف أوائك القوم عند ما ينزلون عن خيولهم تطير أعالي رؤوس أعدائهم متبددة في كل جهة وبنبيها عظم الحواجب «٣» الفلول جمع فل وهو نلم السيف والقراع المضاربة والكتائب جمع كتيبة وهي الجيش ، يريد ولا عيب في أوائك القوم سوى نلم سيوفهم من مضاربة أعدائهم وفيه تأكيد المدح بما يشبه الذم فانه استثنى من صفة ذم منفية صفة مدح بتقدير دخول الثانية في الاولى أي ان كان هذا عيباً فلا عيب فيهم غيره «٤» الشيم جمع شيمة وهي الطبيعة والعادة والأحلام جمع حلم وهو العقل والعواذب جمع عاذب وهو الغائب ولهم متعلق بمحذوف خبر مقدم عن شيم وجملة لم يعطها الله صفة له ومن الجود متعلق بمحذوف صفة له أيضاً والأحلام مبتدأ وغير خبره ، يريد لهم طبيعة من الجود لم يعطها الله غيرهم وعقولهم لا تغيب عنهم فهم دائماً على ثبات في جميع أمورهم «٥» النعال جمع نمل وهي ما بقي القدم من الأرض والمراد برفاق النعال انهم ملوك لانهم هم الذين كانوا يلبسون النعال الرقيقة وطيبت حُجُراتهم أي انهم أعفاه أطهار والريحان كل نبت طيب الرائحة ويوم السباب عيد الشعابين ورفاق خبر مبتدأ محذوف ، يريد أولئك القوم ملوك اعفاه اطهار يحبيهم رعاياهم بالنبات الطيب الرائحة يوم عيد الشعابين «٦» الولائد جمع وليدة وهي الامة والاكسية جمع كساء وهو الثوب والاضريح الحرير الاحمر والمشاجب جمع مشجب وهي عيدان تظم رؤسها ويفرج بين قوائمها توضع عليها الثياب ، يريد ان هؤلاء الملوك في نعمة عظيمة خدمهم من الاماء البيض وثيابهم من الحرير الاحمر توضع فوق المشاجب «٧» الخالصة الصافية البيضاء والاردان جمع ردن وهو طرف الكم والمناكب جمع منكب وهو مجتمع أعلى الكتف والعضد ونبيها فاعل لتقديم ، يريد ان هؤلاء القوم يحفظون أجسامهم النعمة قديماً بالثياب الصافية بياض أطراف الاكام الخضر من فوق المناكب وكانت هذه الثياب عند العرب ملبوس الملوك «٨» ضربة لازب لازم ثابت ، يريد ان هؤلاء القوم عارفون بقلب الزمان وتصرفه بأهله فاذا حياهم بخيره لم يشقوا بدوامه فطمئنوا اليه ويطروا واذا أصابهم بشره أيقنوا انه لا يدوم فلم يقطنوا فلذا ترى حالهم

مدحتُ بها غسانَ إذ كنتُ لاحقًا بقومي وإذ أُعيتُ عليّ مذاهبي (١)

### سيرة قصيدة لمرزوق

وهو عدي بن ربيعة التغلبي من أهل نجد وشعراء الطبقة الأولى . كان من أفصح أهل زمانه وأرقهم شعرا وأشدهم بأسا ، أقام في طلب نأر أخيه كليب من بني بكر أربعين سنة ، وكان كليب المذكور ملكا على بني معد بن زيار وقتل جموع اليمين جملة مزار وظهر عليهم في جميعها ، فداخله بذلك زهو شديد وبني على قومه وغيرهم حتى صار يحمي المراعي ومحال الصيد والمياه فلا يقربها أحد إلا بإذنه ، وكان لا يتكلم في مجلسه إنسان حتى يسأله ولا يجلس حتى يأمره ولا يرفع رأسه إلا بإشارته ولا توقد نار مع ناره ولا ترد إبل مع إبله فضرب به المثل في الهيبة والعزة . ولم يزل هكذا إلى أن قتله جساس بن مرة البكري أخو جليلة امرأته في ناقة البسوس ، وذلك ان البسوس بنت منقذ التميمية خالة جاس كانت نازلة عنده ولها ناقة اسمها سراب فخرجت يوما ترى مع إبل ابن أخيها في حمى كليب ، فرمت به الإبل وبينها تلك الناقة فأنكرها فرماها بسهم وقع في ضرعها فوات حتى بركت بفناء صاحبها حين أن رأها ضربت بيدها على رأسها ونادت وأذلاه ثم أنشأت تقول

لعمرك لو أصبحتُ في دار مُنقذٍ      لقسام بنصري عند ذاك سادائي  
ولكنني أصبحتُ في دار غريبةٍ      متى يعدُّ فيها الذئب يعد على شائي  
فيا نفس قد آن الرحيل عن الأذى      لأنك في قوم عن الجار أمواتٍ

فسمع قولها جساس فقال لها اصبري ياخالة والله لأقتلن جملا أعظم من نائك . وكان لكليب جمل من كرام الإبل يقال له عليان . فلما بلغه قول جساس ظن أنه يريد ، فقال ما بيني جساس من عليان ودونه خرط القناد في الليلة الظلماء ، وما زال جساس يتوقع غفلة كليب حتى ركب يوما وحده فتبعه ، وحينما صار بعيدا عن حبه عطف عليه وطعنه فوق صريبا يتخبط في دمه ورجع جساس يركض حتى هجم على قومه . فاما راء أبوه قال له ما وراءك يا جساس . قال قد طعنت طعنة تشغل بها شيوخ وأهل . قال وما هي . قال قتلت كليبيا . قال فكذلك أمك بئس ما جئت علينا . ثم لما بلغ الخبر بني تغلب أرادوا أن يتداركوا الشر قبل استفحاله ، فانطلق رهط من وجوههم وذوي أسنانهم وأتوا مرة أبا جساس ، فذكروا ما بينهم من الاخوة والمخالفة وقالوا له اختر ما إحدى خصال ثلاث إما أن تسلم إلينا جساسا

واحدة دائما « ١ » أُعيت عليّ مذاهبي ضائق بي الامر واذا في محل نصب ظرف زمان متعلق به حذف يدل عليه المقام ، يريد مدحت بهذه القصيدة قبيلة غسان لعلمي انهم مستحقون المدح وقت ان كنت مقيما في قومي ووقت ان ضاقت عليّ أموري حينما كنت هاربا من النعمان فأعني ملككم

نقلناه بمن قلبه وإما أن تسلّم إلينا جميعاً أخاه تقتص منه وأما أن تقتص منك أنت . فسكت مرة طويلاً . فقالوا له تكلم غير مخذول . قال أما جباس فغلام حديث السن ركب رأسه فهرب حين خاف فلا علم لي به ، وأما همام فهو أبو عشرة وأخو عشرة ولو دفعته إليكم لكنت قد جلبت على نفسي شراً عظيماً بتسليمه للقتل في جريدة غيره ، وأما أنا فلا أتعجل الموت . . . ولكن إن شئتم فدونكم ببيعة أولادي اقلوا أحدهم بقتيلكم . . . وإلا أدفع لكم ألف ناقة يضمها لكم بكر بن وائل . فلم يرضوا بذلك وانصرفوا غضابى . فبادر البكريون وقوضوا خيامهم وجمعوا مواشيهم وأزمعوا على الرحيل خوفاً من مهلهل . وكان همام المذكور نديماً له . فبعثوا إليه بجارية تعلمه بالخبز فأثبها وهما على الشراب وأسرت إلى همام ما كان فسأله مهلهل عما سارته به . وكان بينهما عهد ألا يكاتم أحدهما صاحبه شيئاً . فقال زعمت إن أخي قتل أخاك . فضحك مهلهل وقال يد جباس تقتصر عن ذلك . فسكت همام وأقبل على شراهما حتى لعبت الحمر برأس مهلهل فأنسل همام فرأى قومه قد ارتحلوا إلى اليمن فلحقهم . ولما أفاق مهلهل وأخبر بالواقع جمع قومه وتولى قيادتهم وأقبل على بني بكر قوم جباس واستمروا على ذلك أربعين سنة حتى كاد يفني بعضهم بعضاً فضرب المثل في الشوم بالبسوس وناقضها ثم أصاح بينهم عمرو بن هند ملك العرب وردّهم عن القتال ، وذلك حيث يقول مهلهل راثياً أخاه كليبا

أهاج قذاء عيني الإذكارُ هُدوءاً فالدموع لها انهمارُ (١)  
 وصار الليل مشتملاً علينا كأن الليل ليس له نهار  
 وبثُّ أراقب الجوزاء حتى تقارب من أوائلها انحدار (٢)  
 أُصرّف مقاتي في إثر قومٍ تباينت البلاد بهم فغاروا (٣)  
 دعوتك يا كليبُ فلم تجبني وكيف يجيبني البلدُ القفار (٤)  
 أجبني يا كليب خلاك ذمُّ لقد فُجعت بفارسها نزار (٥)  
 سقاك الغيثُ إنك كنت غيثاً ويسراً حين يُتمس اليسار  
 أبت عيناى بعدك أن تكفأ كأن قذَى القَتَاد لها شِفَار (٦)

«١» أهاج أثار وحرك والقذاء بالمد القذى بالقصر وهو ما يقع في العين ويوجعها من تينة أو غيرها والهدوء أول الليل وهو مفعول فيه لاهاج والانهمار السيلان «٢» الجوزاء برج من بروج الشمس وهو عبارة عن جماعة نجوم مخصوصة في كبد السماء تنزل بينها الشمس في شهر مايو أثناء حركتها الوهمية «٣» المراد من هذه الايات الثلاثة أن ذكرى أخي حركت في عيني قذاها فاجتمعت عند ورود الليل فلأخذت الدموع تنهل منها بكثرة كأنها أنهار ثم أحاط بنا الليل وطال بنا أمده كأن لم يعقبه نهار فصرت أترصد الجوزاء إلى أن قرب انعطاف أوائل نجومه في الافق وأنا أجيل نظر فكري في آتار قوم تبدوا في البلاد وغربوا عن العيون «٤» البلد القفار هو الحالي والمراد منه ههنا بلد خال من رؤية كليب «٥» أجبني يا كليب خلاك ذم أي أجبني لا يلحقك ذم على فذلك هذا «٦» تكفأ تنكف والقناد شجر صلب جدا ذو شوك

كَأَنِّي إِذْ نَعَى النَّاسِي كَلِيًّا      تَطَايَرُ بَيْنَ جَنَبِيَّ الشَّرَارِ  
 سَأَلْتُ الْحَيَّ أَيْنَ دَقَّتْ مَوْهُ      فَقَالُوا لِي بِأَقْصَى الْحَيِّ دَارِ (١)  
 فَسَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي حَيْثَا      وَطَارَ النَّوْمُ وَامْتَنَعَ الْقَرَارِ (٢)  
 أَتَقْدُوا يَا كَلِيبَ مَعِيَ إِذَا مَا      جَبَانُ النَّوْمِ أَتَجَاهُ الْقَرَارِ  
 خَذَ الْعَهْدَ الْأَكِيدَ عَلَيَّ عَمْرِي      بِتَرْكِي كُلِّ مَا حَوَتْ الدِّيَارِ  
 وَاسْتُ بِخَالِجِ دَرْعِي وَسِيْفِي      إِلَى أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلَ النَّهَارِ (٣)



### من قصيدة للخنساء

وهي تماضير بنت عمرو بن الشريد السلمية . كانت من شواعر العرب المعترف لها  
 بالقدم . ولدت في بني الشريد وقالت الشعر من صغرها ، وقد أجمع على أنه لم توجد امرأة قط  
 أنصح منها . قيل لجريير من أشعر الناس . قال أنا لولا هذه الخبيثة « يعني الخنساء » وقال  
 بشار بن برد لم نقل امرأة شعراً إلاّ تبين الضعف فيه . فقيل له أو كذلك الخنساء . قال  
 تلك فوق الرجال . وكان النابتة الذبياني تضرب له قبة من آدم بسوق عكاظ فيجلس فيها على  
 كرسي . وتأتيه الشعراء فينشدون أشعارهم أمامه فيفضل من يراه مجيداً . فأنشدته الخنساء  
 في بعض السنين تصيدتها التي تقول فيها

وإن صحرا لتأتتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فأعجب بشعرها وقال لها أذهبي فأنت أشعر من كل ذات ثديين ولولا إن هذا الأعمى  
 « يعني الأعمى » أنشدني قبلك لفضاتك على جميع شعراء هذا الموسم . فسمع حسان بن ثابت  
 قوله وكان ممن قد عرض شعره فغضب على النابتة وقال له أنا أشعر منك ومنها . فقال له  
 ليس الأمر كما تقول ثم التفت إلى الخنساء وقال يا خنساء أحببيه . فالتفت إليه وقالت له ما  
 أجود بيت في تصيدتك التي عرضتها . قال تولي فيها

لنا الجففات الغرّ يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدةٍ دما

فقالت ضمنت أفخارك بثمانية أشياء في هذا البيت . قال وما هن . قالت قولك « لنا الجففات »  
 لأنها تدل على مادون العشر ولو قامت الجفان لدن على الكثير ، وقولك « الغر » فإنه جمع غرة

كالابر خبيث والشفار جمع شفرة وهي السكن العظيمة أي أبت عيناى الانكشاف عن البكاء كأنه  
 دخلهما من شوك القتاد ما يؤلمهما إيلام السكاكين « ١ » بأقصى الحي دار أي قبر كليب أبعد الحلة  
 « ٢ » حيثما بمعنى سرىما حال من التاء في سرى أو نائب عن المفعول المطلق أي سرىما حيثما « ٣ » إلى  
 أن يخلع الليل النهار خلعه انفصل منه والهبارة مثل يضرب في ما يستحيل وقوعه

وهي البياض في الجبهة ولو قلت البيض لكان أكثر اتساعاً ، وقولك « يلمعن » لأنه يدل على سرعة الذهاب ولو قلت يشرقن لدل على بطئه ، وقولك « بالضحى » لقلة الأضياف في ذلك الوقت ولو قلت بالدجى لكان أولى لأنه وقت كثرتهم ، وقولك « وأسيافنا » إذ هي مادون العشرة ولو قلت سيوفنا لدل على الكثرة ، وقولك « يقطرن » فإنه يدل على السقوط قطرة بعد قطرة ولو قلت يسان لدل على الجري متصلاً ، وقولك « دماء » لأنه مفرد والدماء أكثر منه . فسكت حسان ولم يُبحر جواباً

وكانت في بدء أمرها تتمول اليتيم أو الثلاثة حتى قبل أخواها معاوية وصخر فاخذت تقول القصائد ترثيها بها . وكان معاوية شقيقها وصخر أخاها لأبيها لكنها أكثرت فيه المرثي لما كان عليه من الحلم والجود والعفة والشجاعة والاقدام والشفقة بها والاحسان إليها قيل أنها وردت على عائشة تدب من الكبر متكئة على عصا لابسة صدراراً من شعر رأسها . فقالت لها عائشة أختاس لم تلبسين الصدر وقد نهي عنه في الاسلام . قالت لم أعلم بالذهبي . قالت لها ما الذي بلغ بك ما أرى . قالت موت أخي صخر . قالت لعمري انه لم يدعك الى هذا إلا كبير معروف صدر منه . قالت نعم ان زوجي كان رجلاً مواماً بالقمار فاتفق فيه أمواله وبقينا أياماً من غير شيء فاراد أن يسافر الى بعض الجهات للمكسب ولم يكن له ما يسافر به فقلت له أقم وأنا أتى أخي صخرأ أسأله فأتيته وشكوت إليه سوء حالنا وقلته ذات اليد عندنا فعمد الى ماله وقسمه قسمين وأعطاني شطره فاخذته وذهبت به الى زوجي فانطلق وقامر به حتى اذا تمت السنة لم يبق منه شيء فعدت الى أخي ففعل معي ما فعله اولاً فرجعت بما أعطانيه الى زوجي فاتفقه . فلما كانت المرة الثالثة أتيته وقد بلغت بنا الحال غايها . فاختلت به امرأته وقالت له ان زوجها رجل مقامر لا يبتقي على شيء فاعطها أخس أموالك فانشأ يقول

والله لا أمنحها شرارها وهي حَصان قد كفتني عارها (١)

ولو هلكتُ خرقتُ خمارها وانخذتُ من شعر صدرها

ثم شطر ماله فأعطاني هذه المرة أفضل شطريه ، فلما مات اتخذت هذا الصدر حتى لا أخاف ظنه ولا أكذب قوله ما حبيت

ومن جيد كلامها في رثاء أخيها صخر قولها

يُذَكِّرني طلوعُ الشمسِ صخرأً وأذكره لكلِّ غروبِ شمسٍ (٢)

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلتُ نفسي

فلا والله لا أنساك حتى أفارق مهجتي ويُسقِّ رمسي

« ١ » الحصان المرأة العفيفة « ٢ » سئل الاصمعي عن قولها هذا لماذا خصت فيه طلوع الشمس وغروبها دون إنشاء النهار فقال لان طلوع الشمس وقت الركوب الى الغارات وغروبها وقت قرى الضيفان والرجوع بالعتائم . وقيل ان طلوع الشمس كناية عن جمال أخيها وغروبها عن طروق الضيف وقيل غير ذلك والله اعلم

وكان لها أربعة بنين . فلما انتشبت حرب القادسية (١) سنة ٦٣٨ م أتت معهم وهم رجال وأوصتهم من اول الليل بقولها « يا بني إنكم أسلتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، فدافعوا عما اخترتموه لأنفسكم ، وانصروا الله ينصركم . يا بني اعلّموا أن الدار الباقية ، خير من الدار الفانية ، فجاهدوا في يومكم لما ستلقون في غدكم وأنتم فرحون ، واصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفاحون . واذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها ، وتأجّجت نيرانها ، فتيّموا وطيّبها ، وجالدوا رسيبها ، تظفروا بالغنم والكرامة ، في دار الخلد والسلامة » فلما جاء الصباح بادروا إلى مراكرهم وتقدموا إلى الحرب ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم وينشطون بها الأبطال على المثابرة في القتال حتى قتلوا واحداً بعد واحد . فلما بلغها الخبر قالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، اللهم اجعني بهم في مستقرّ الرحمة . توفيت بالبادية وهي طاعنة في السن في أول خلافة عثمان بن عفان سنة ٦٤٦ م فعاشت ٢٤ سنة من صدر الاسلام وكان أكثر شعرها في الجاهلية . قالت

قَدَى بَعِينِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ أُمُّ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ (٢)  
 كَانَ دَمْعِي لَذِكْرِهِ إِذَا خَطَرْتُ فَيْضُ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَّيْنِ مِدْرَارُ (٣)  
 تَبْكِي لِصُخْرٍ هِيَ الْعَبْرَى وَقَدَوْلَهُتْ وَدُونَهُ مِنْ تَرَابِ الْأَرْضِ أَشْبَارُ (٤)  
 تَبْكِي خُنَّاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَحَقٌّ لَهَا إِذْ رَأَيْتِ الدَّهْرَ إِذَا الدَّهْرُ ضَرَّارُ (٥)  
 وَإِنْ صَخْرًا لَوَالِنَا وَسَيِّدَنَا وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لِنَجَّارُ (٦)  
 وَإِنْ صَخْرًا لِمَقْدَامِ إِذَا رَكَبُوا وَإِنْ صَخْرًا إِذَا جَاعُوا لِعَقَّارُ (٧)  
 وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتَمَّ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَالَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ  
 سَهْلٌ جَيْلٌ مَخِيلٌ بَارِعٌ ذَرَعٌ وَلَا حُرُوبَ غُدَاةِ الرَّوْعِ مِسْعَارُ  
 حَمَالُ الْأُويَّةِ جَوَابُ أُودِيَّةِ شَهَادِ أُودِيَّةِ لَلْجَيْشِ جَرَّارُ

« ١ » القادسية قرية على مرحلة من الكوفة بينها وبين ماء ابني تميم يسمى عذيبا . واشتهرت في قديم الزمن بالحرب الزبون التي انتشبت فيها بين المسلمين وجيوش الفرس في خلافة عمر بن الخطاب وكانت النصره فيها للمسلمين تحت قيادة سعد بن أبي وقاص « ٢ » قدى مبتدأ خبره بعينك وسوغ الابتداء به ما سبقه من الاستفهام المحذوف والعوام مرض في العين سببه الحُم ينشأ فيها ويفظيها وذرفت دمعت « ٣ » خطرت حضرت والفيض الماء الكثير ومدرار يسيل بكثرة « ٤ » ضمير تبكي عائذ إلى الدين وصخر هو أخو الخنساء المذكور في ترجمتها أغار على بني اسد فأصابته نبله مسمومة اعتل منها زمانا طويلا ثم مات فلزمت الخنساء قبره تبكي عليه وترثيه حتى ماتت والمعبرى الدامعة وولدت ذهب رشدها من شدة الجزع وضميره عائذ الى العين بمعنى صاحبها ففيه استخدام ودونه فوقه « ٥ » خناس تخفيف خنساء ورايها الدهر أصابها منه ما تذكره « ٦ » والى الامر متوايه ونشتو يحصل لنا جذب في الشتاء « ٧ » العقار كثير النحر

- رداذ عارية فكناك عانية ماجأ داهية للكسر جيار (١)  
 بشر الحيا تضيء صورته جلد المريرة عند الجمع فيخار (٢)  
 طلق اليدين لفعل الخير معتمد ضخم الدسعة بالمعروف أمار (٣)  
 لا يمنع القوم إن سالوه خلعتة ولا يجاوزه بالليل مرار (٤)  
 قد كان خالصتي من كل ذي نسب فقد أصيب فما لاعيش أوطار (٥)  
 فبت ساهرة لانجم أرصده حتى أتى دون غور النجم أستار (٦)

### منه كلام عفيرة أفت الاسود بهه عفار الجريسة تعرضه قومها على الانتقام منه قوم طسم

والسبب أن قبليتي طسم وجديس كانتا ساكتين في اليمامة متحدتين في المعيشة تحت سلطة ملك من أهل طسم ، واستمرت على ذلك الى أن انتهى الملك الى رجل يقال له عملوق وكان غشوما مصاراً للرعية ولا سما قبيلة جديس . فكان يسومهم سوء العذاب وأنواع الذل والهوان . واتفق ان خرجت عفيرة المذكورة في جماعة من نساء جديس لقضاء بعض أغراض ، فعرض لهن عملوق المار ذكره وأساء اليهن ، فرجعت عفيرة إلى قومها وهي تقول لا أحد أذل من جديس . فأتى كلامها في نفوس رجال قبيلتها وحقدوا على طسم ومدكهم . فلما رأت ذلك أردفت قولها بهذه الايات

يُباب عليكم أن تقيموا على الذل	وأتم رجال فيكم عدد الغل
ولو أننا كنا رجلا وكنتم	نساء لكننا لانقرّ بذا الفعل
فوتوا كراماً أو أميتوا عدوكم	وذُوبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
وإلا نخلوا بطنها وتحملوا	إلى بلد قفر وموتوا من الهزل
فألبين خير من مقام على الأذى	وللموت خير من مقام على الذل
وإن أتم لم تغضبوا بعد هذه	فكونوا نساء لأتعب من الكحل
ودونكم طيب العروس فأنما	خلقتم لأثياب الاناث وللغسل
فبعداً وسحقاً للذي ليس دافماً	ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

«١» العارية هي الشيء المستعار والعانية الأسيرة «٢» جلد المريرة أي قوي العزيمة «٣» الدسعة العظيمة «٤» سالوه أي سألوه خفف للوزن والخلمة خير المال ومرار جمع ماز «٥» خالصتي من كل نسب أي هو الذي اخترته وخلص لي وده من بين أهلي وأوطار جمع وطر وهو الحاجة «٦» أرصده أي أترب غروب الثريا عسى أن يكون لي في ذلك فرج حتى استترت

فعدت ما سمع أخوها الأسود هذا الشعر وكان سيّدا مطاعا في قومه جمعهم وقال لهم يا معشر جديس لقد رأيتم ما نحن فيه من الحسف الذي سيم به نساؤنا وهؤلاء القوم الذين يستضعفوننا ليسوا بأقوى منا ولولا ضعف أنفسنا لقهرناهم وملّكنا علينا واحدا منا فأطيعوني فيما أمركم به فإنه عزّ الدمر وذهب ذلّ العمر . فقالوا نحن لقولك سامعون ولرأيتك متبعون . قال نصنع للملك وخواصه طعاما نجعله بظاهر المدينة وندفن سيوفنا في الرمل محلّ الوليمة فاذا جاءوا يرفلون في الحلي والحلل وجلسوا على المائدة وهم على غير حذر منا وضعنا فيهم سيوفنا . فوافقوه على رأيه وتمت لهم المكيدة . ولما فرغوا من الأشراف شدوا على بقية القوم فأقتوهم عن آخرهم ولم يفلت منهم إلا رباح بن مُرّة أخو زرقاء اليمامة التي كان يضرب بها المثل في حدة البصر فلجأ الى حسان بن تَبَّع ملك اليمن إذ ذاك وبهذا انتهت مدتهم وانقرضت دولتهم



### مه قصيدة لبشرية أبي عوانة العبدي

#### بصف برها قتاله الاسد<sup>(١)</sup>

أفاطم لو شهدت ببطن خبت	وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا (٢)
إذا لرأيت ليشا أمّ لنا	يروم كلاهما لأخيه هصرا (٣)
فقلت له وقد أبدى نصالا	عجدةً ووجهها مكفهرا (٤)
نصحتك فالتمس يا ليت غيري	طعاما إنّ لحمي كان مُرا
ألم يبلغك ما فعلته كفي	بكاظمة غداة قلت عمرا (٥)
وقلي مثل قلبك لست أخشى	مصالوة فكيف أخاف ذعرا

« ١ » كان بشر المذكور في أول أمره صالوكا يغير على أحياء العرب فينهبها ثم تزوج ابنة عمه البكري فحسن سلوكه ورغد عيشه . وكان من الشعراء المجيدين بلغت أبياته الطبقة التي تقصردونها قرايح الكشيين من فحول الشعراء . توفي في أواخر القرن السادس للمسيح « ٢ » أفاطم الهمزة للنداء وفاطم منادى مرغم وهو علم ابنة عمه التي تزوجها والحبت ما اتسع واطمأن من بطون الارض والهزبر الاسد « ٣ » لرأيت جواب لو « ٤ » نصالا أي أياها كالنصال جمع نصل وهو حديدة الرمح ومكفهرا أي تابسا « ٥ » كاظمة اسم ماء لبني شيبان على طريق البحرين من البصرة وعمرو المذكور هو أحد فرسان بني ثعلبة قتله بشر في بعض غاراته

خرجت تروم للأشبال قوتنا وأبني لابنة البكري مهرا (١)  
 محضتكَ نصحَ ذي شفق فحاذرُ مرامي لا تبكُن بالموت غرًا  
 فأما ظنَّ أن النصحَ غشٌّ وخال مقالتي زورًا وهُجرا  
 مشى ومشيت من أسدين راما مراما كان إذ طلباه وعرا (٢)  
 وأطلقتُ المهنَّد من يميني فقدَّ له من الأضلاع عشرا (٣)  
 نحرَّ مضرِّجا بدم كآني هدمتُ به بناءً مشمخرا (٤)  
 وقتل له يعزَّ عليَّ أني قتلتُ ممالي جلدًا وقهرا  
 ولكن رمتَ أمرا لم يرمه سواك فلم أطق ياليت صبرا  
 فلا تجزعُ فقد لاقيت حرا يحاذر أن يُصاب فتَّ حرا



منه قصيدة لابن الأئمة يغري الأسود به المنذر ملك الحيرة

بقتل آل غسانه وكنوا قتلوا أمرا (٥)

ما كلَّ يوم ينال المرء ما طلبيا ولا يردُّ عليه الدهر ما سلبا  
 وأحزمُ الناس من إن فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول مقتضبا (٦)  
 وأنصف الناس في كل المواطن من سقى الهُعادين بالكاس الذي شربا  
 وليس يظلمهم من راح يضرهمم بحدَّ سيف به من قبلهم ضربا  
 والعفوُ إلَّا عن الأعداء مكرمة من قال غير الذي قد قلته كذبا

«١» هذه إشارة إلى المهر الذي طلبه منه عمه وهو ألف ناقة حراء من نوق خزاعة وكان حين لاقاه الأسد ذاهبا في طلبها «٢» من إما للتجريد أي ونحن كأسدين أو للإبتداء أي مشى ومشيت مشية صادرة من أسدين «٣» قد قطع «٤» مضرجا ملطحا ومشمخرا مرتفعا «٥» كان أبو أذينة ابن عم الأسود بن المنذر ملك الحيرة ومن الشعراء المجيدين وكان له أخ قتله الغسانيون . فلما خرج الأسود لمحاربتهم ظهر عليهم وأسر جملة من أكابرههم وقتل بعضهم وقصد أن يعفون البعض فقال أبو أذينة هذه القصيدة يجرسه بها على استئصالهم جميعا انتقاما منهم لآخيه فقتلهم عن آخرهم . توفي في أوائل القرن السادس للمسيح «٦» الفرصة النوبة يقال للراعي جاءت فرصتك من البئر أي نوبتك ووقتكَ الذي تستقي فيه والسبب جبل البئر وغيره ، يريد أن أعقل الناس وأبصرهم بالأُمور من لا يتوانى عن المبادرة بالعمل في حينه ومثل ذلك مثل الساقى الذي إذا حانت فرصة لا يقطع رشاء البئر فيفسد عليه عمله

قتلت عمرا وتستبقي يزيد لقد  
 لا تقطن ذنب الأفي وترسلها  
 هم جردوا السيف فأجعلهم له جُزراً  
 إن تعف عنهم يظن الناس أنك لم  
 هم أهلة غسان ومجدهم  
 رأيت رأياً يجرّ الويل والحربا  
 إن كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا  
 وأوقدوا النار فاجعاهم لها حطبا (١)  
 تعف حلم ولكن كان ذا رهبا  
 عالٍ فان حاولوا ملكاً فلاجبها (٢)

### مه قصيرة لعنرة العبي

بنو عدبرها النعمان ويفخر بقوم

لا يحيلُ الحقدَ من تلو به الرتبُ  
 لله درّ بني عبيسٍ لقد نسلوا  
 قد كنتُ فيما مضى أرمي جاهلهمُ  
 لئن يعيوا سوادي فهو لي نسبُ  
 ان كنت تعلم يا نعمان أن يدي  
 إن الأفاعي وإن لانت ملامسها  
 اليوم تعلم يا نعمان أيُّ فتى  
 فتى يخوضُ غبار الحرب مبتسماً  
 إن سلّ صارمه سالت مضاربهُ  
 لي النفوس وللطير اللحوم ولـ  
 ما زلتُ ألقى صدور الخيل مندفعاً  
 فالنقعُ يوم طراد الخيل يشهد لي  
 ولا ينال العلى من طبعه الغضبُ  
 من الأكارم ما قد تنسل العربُ  
 واليوم أحمي حماهم كلما نكبوا  
 يوم النزال اذا ما فاتني النسبُ  
 قصيرة عنك فالأيام تنقلب  
 عند الثقلب في أنيابها العطب  
 يلقى أخاك الذي قد غره العصبُ  
 وينثني وسنان الرمح محتضبُ  
 واشرق الجؤ وانشقت له الحجب  
 سوخش العظام ولاخية الساب  
 بالطعن حتى يضجّ السرج واللب  
 والضرب والطعن والأقلام والكتب

«١» يشير بهذا البيت الى أن الفاسقة قتلوا أخاه فيطالب الانتقام له «٢» أهلة جمع هلال وهو غرة القمر وعنى بذلك أنهم وجوه غسان ويقول ( إن حاولوا ملكاً فلا عجبا) انك إن أضلقت سيدهم فلا غرابة في أن يطمعوا في ملكك ، ولا يخفى ما في هذا البيت وما قبله من الاغراء والتخريض الشديد على قتلهم

## وله بنو عبد بنى زبير

اذا فقع الفتى بذيمة عيشٍ      وكان وراء سجعٍ كالنباتِ  
 ولم يهجم على أسد المنايا      ولم يطعن صدور الصافاتِ  
 ولم يُقرِ السيوف اذا أتوه      ولم يُروِ السيوف من الحكمةِ  
 ولم يبلغ بضرب الهام مجداً      ولم يك صابراً في الثأباتِ  
 فقل للناعيات اذا بكته      ألا فأقصرن نذب الثادباتِ  
 ولا تندبن إلا ليث غاب      شجاعاً في الحروب الثأراتِ  
 دعوني في القتال أمت عزيزا      فموت العز خير من حياتي  
 ستذكرني المعامع كل وقت      على طول الحياة إلى المماتِ  
 واني اليوم أحمي عرض قومي      وأنصر آل عبس على العداةِ  
 وآخذ مالنا منهم بحرب      تحرّ لها رؤوس الراسياتِ  
 وأترك كل نائحة تنادي      عليهم بالتفرق والشتاتِ

## وله برئى الملك زهير بهه هزيمه العباسي

## وبنو عبد بنى عامر

خسّف البدر حين كان تماما      ودراري النجوم غارت وغابت  
 حين قالوا زهير ولى قتيلا      قد سقاه الزمان كاس حمامِ  
 كان عوني وعدّتي في الرزايا      يا جفوني إن لم تجودي بدمعِ  
 قسما بالذي أمت وأحبي      لا رفعت الحسام في الحرب حتى  
 يا بني عامر ستلقون برقاً      وتضج النساء من خيفة السبِ

وخفا نوره فعاد ظلّاما      وضياء الآفاق صار قتاما  
 خيم الحزن عندنا وأقاما      وكذلك الزمان يسقي الحماما  
 كان درعي وذابلي والحساما      فجعلت الكرى عليك حراما  
 وتولّى الأرواح والاجساما      أترك القوم في الفيافي عظاما  
 من حسامي يجري الدماء سجاما      سي وتبكي على الصغار اليتامى

## وله في اغارته على بني هريقة (١)

حَكَمَ سَهْوِكَ فِي رِقَابِ الْعُدْلِ      واذا نزلتَ بدارِ ذلِّ فارحلي  
 واذا بليتَ بظالمِ كُن ظالماً      واذا لقيتَ ذوي الجهالةِ فاجهل (٢)  
 واذا الحيانُ هناكِ يومَ كريمةٍ      خوفاً عليكِ من ازدحامِ الجحفلِ  
 فاعصِ مقاتتهِ ولا تحفلِ بها      وأقدمِ إذا حقَّ اللقا في الأوّلِ  
 واخترْ لنفسك منزلاً تملو به      أومتِ كريماً تحتَ ظلِّ القسطلِ  
 فالموتُ لا يُنجيكِ من آفاته      حصنٌ ولو شيدتهِ بالجندلِ  
 لا تسقى كأسَ الحياةِ بذلّةٍ      بل فأسقني بالعزِّ كأسَ الخنظلِ  
 ماءَ الحياةِ بذلّةٍ كجهنمِ      وجهنمِ بالعزِّ أطيبَ منزلِ (٣)  
 إن كنتُ في عددِ العبيدِ فهوتي      فوقَ الثريا والسماكِ الأعذلِ  
 أو أنكرتُ فرسانَ عيسِ نسبي      فسنانِ رمحي والحسامِ يقرّ لي  
 وبذابي ومهندي نلتُ العلى      لا بالقرابةِ والعديدِ الأجزلِ  
 ورميتُ مهري في العجاجِ نخاضه      والنارُ تُقدحُ من شفارِ الأنصلِ  
 خاض العجاجِ محجلاً حتى إذا      شهد الوقيعةِ عاد غيرَ محجّلِ  
 ولقد نكبتُ بني حريقةِ نكبةً      لما طعنتِ صميمَ قلبِ الأخيلِ  
 وقتلتُ فارسهم ربيعةَ عنوةً      والهيدبانِ وجابرَ بنِ مهاملِ (٤)  
 وأنا ابنُ سوداءِ الحيينِ كأنها      ضبَعُ ترعرعِ في رسومِ المنزلِ  
 الساقِ منها مثلُ ساقِ نعامي      والشعرِ منها مثلُ حبِّ الفلفلِ  
 والثغرِ من تحتِ اللثامِ كأنه      برقُ تلالاً في الظلامِ المسدلِ  
 يانازينِ على الحمى وديارهِ      هلاً رأيتهم في الديارِ ثقلي  
 قد طال عزّكم وذلي في النوى      ومن العجائبِ عزّكم وتذلي

«١» بنو حريقة قبيلة من قبائل العرب «٢» يريد إذا اعتدى عليك ظالم فاجهد وادفع ظلمه عن نفسك ولا تحفل له اتخذال الحاضع الدليل واذا لقيت إنسانا جاهلا لا يقبل الحق فظاهر الجهل امامه إذلا فائدة في اظهار العلم حينئذ لانه لا ينتفع به وربما يجرح عليك ضررا واتا سمى من يدفع الظلم عن نفسه ظالما مع أنه لا يقال له ذلك مشاكلة وهي الدلالة على معنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته كقولهم «قالوا اقترح شيئا نجد لك طبقه» قلت اطبخوا لي جبة وقيصا «أي خيطوا» «٣» يريد ان النعمة الواسعة مع الذل هي الحياة النعمية وأما الحياة السعيدة فهي التي يصحبها العز وان كان فيها كبير عناء «٤» ان الأخيل وربيعة والهيدبان وجابر بن مهامل كانوا من فرسان بني حريقة ولم أقف لهم على أثر في التواريخ

## مبحث

### اللفظ في صدر الاسلام

لما جاء الاسلام سنة ٦١٢م (١) وانتشر في بلاد العرب تغلبت لغة قريش على سائر لغات القبائل لفصاحتها ونجىء القرآن بها وأصبحت بعد الهجرة نحو ثلاثين سنة هي اللغة المتداولة في أكثر الجهات التي فتحها المسلمون في شبه جزيرة العرب وخارجها ولكن لما اتسع الدين الإسلامي واحتلط العرب بغيرهم من بقية الأمم فشا الفساد في اللغة وخصوصا في المخاطبات المعتادة بسبب الدخلاء والناشئين حتى خيف عليها أن تضمحلّ بعد القليل من الزمن إن لم تتدارك بوضع مؤلفات لحفظها وصيانتها من أيدي التلف والضياع فاستنبط لها أربابها من أساليب العرب قوانين مطردة يقيسون عليها سائر أنواع الكلام

وأول من وضع تلك الضوابط أبو الأسود الدؤلي بأمر الإمام علي ثم تبعه الناس فزاد كل واحد على ما قبله وبذلك حفظت اللغة وأمن عليها من غوائل الفساد . إلا أنهم لم يتقدم في صدر الإسلام تقديما يذكر لاشتغال أهلها بالجهاد وأجاء أفكارهم إلى توطيد أركان دينهم والقيام بشعائره حتى ان الشعر قد انحط في ذلك العصر وقلّ عدد قائله وقصرت عنه همهم . ألا ترى أن لبيدا قائدا حلبة شعراء الجاهلية حرم على نفسه قول الشعر بعد إسلامه وأنه لما استنشده عمر بن الخطاب شيئا من شعره أيام خلافته انطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتاه بها وهو يقول قد أبداني الله هذه في الاسلام مكان الشعر فسرّ عمر بجوابه وأجزل له العطاء وأن النابغة الجعديّ وقد كانت له القدم الراسخة في الشعر أيام الجاهلية لم يأت بعدها بشيء يوجب له الاستحسان وهكذا كان شأن حسان بن ثابت فقد أجمع أهل الذوق في الشعر على أنه كان في الجاهلية أحسن ديباجة منه في الاسلام وهذه حال الكثيرين فحول المخضرمين ومن نشأ بعدهم في صدر الاسلام وربما كان تعريض القرآن في بعض آياته بدم الشعر والشعراء من الموانع للاهتمام بنحو القوافي وتخير معانيها والله أعلم . وسأذكر طرفا من منشورات صدر الاسلام ومنظوماته لتأييد ذلك وبالله التوفيق

### منه خطبة

لدى بكر الصديق عند ما بويج بالخلافة<sup>(١)</sup>

أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم وإني متبع ولست بمتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم .  
ألا إن أقوامكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

—————

### ومنه خطبة له

أيها الناس لا يدع أحد منكم الجهاد (٢) في سبيل الله فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الناحشة (٣) فيهم إلا عمهم بالبلاء . ألا انكم تغدون وتروحون في أجل قد غيَّب عنكم علمه فإن استلتمم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا . واعلموا أن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه فأريدوه بأعمالكم ، وما أخالصتم لله من أعمالكم فطاعة أيتموها وضرائب أديتموها وسلف قدمتموه من أيام فانية إلى أخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم . اعتبروا عباد الله بمن مات منكم وتفكروا فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم ، أين الجيايرة ، أين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحرب ، قد أخنى عليهم الدهر وصاروا رميا ، أين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها قد بعدوا ونسي ذكرهم وأبقى الله عليهم التبعات وقطع عنهم الشهوات ومضوا والأعمال أعمالهم

« ١ » هو عبد الله بن عثمان القرشي النخعي أول الخلفاء الراشدين . ولد بمكة من نسل الشرف والثروة وتربى في حجر الز والمظنة وتعلم الأنساب وأخبار العرب واحترف البرازة ونجح فيها نجاحا عظيما لأنه كان نشيطا في العمل عفيف النفس مستقيم السيرة صادق المعاملة سموحا بالله في سبيل الخيرين المريكة قريبا إلى القلوب نقيب الرأي عظيم السياسة غيورا على دينه يحديه بنفسه ونفيسه رغابا عن جميع الدنيا حتى كأنه نجسم من الفضيلة وخلص جوهره من كل رذيلة . وقد كان أول من أسلم من الرجال وكان الامام عليا أول من أسلم من الصبيان وخديجة أول من أسلمت من النساء . وهو أول خليفة في الاسلام . بويج بالخلافة سنة ٦٣٣ م وقام بأعباء وظيفته قياما حسنا فألف القلوب وجمع الكلمة وبعث البعث على المرتدين واستخضعهم ونشر لواء الدين وأعلى مناره . ولما رأى أن حفظة القرآن يقلون يوما فيوما بسبب موتهم في الجهاد خاف على ضياعه فأمر بجمعه من الرقاع وسعف النخل وعظام الحيوان وأذهان الرجال وحفظت الصحف التي جمع فيها عنده حتى توفي فكانت عند عمر حتى توفي ثم عند حفصة بنت عمر إلى أن استنسخه عثمان أيام خلافته . توفي أبو بكر سنة ٦٣٥ م وعمره ٦٣ سنة ومدة خلافته سنتان ولما ثقل عليه المرض دعا عمر واستخلفه « ١ » الجهاد هو القتال لأجل الدين « ٢ » هي كل ما نهى الله عنه

والدنيا دنيا غيرهم وبقينا خلفا بعدهم . فان نحن اعتبرنا بهم نجونا وإن اغترنا هلكنا . أين  
الوئاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم ، أمسوا ترابا وأمسى ما فرطوا فيه حسرة عليهم ،  
أين الذين بنوا المدن وحسنوها بالحوائط وجعلوا فيها الأعاجيب قد تركوها لمن خلفهم ،  
فلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم  
ركزاً ، أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا  
فجأوا عليه وأقاموا للشقوة أو السعادة بعد الموت . ألا إن الله ليس بينه وبين أحد من خلقه  
نسب يعطيه به خيراً أو يصرف به عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره واعلموا أنكم عبيد  
مدينون وإن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته . ألا إنه لا خير في خيره بعده النار ولا شر في شره  
بعده الجنة

### وله الى بعضه قواد بهيمة

#### في التوصية

إذا سرت فلا تخف على أصحابك في السير ولا تفضهم وشاور ذوي الآراء منهم . واستعمل  
العدل وباعد عنك الجور فإنه ما أفاح قوم ظلموا ولا نُصروا على عدوهم . وإذا لقيتم الذين  
كفروا زحفا (١) فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره (٢) إلا متحرفاً (٣) لقتال  
أو متحيزاً إلى فئة (٤) فقد باء (٥) بغضب من الله . وإذا نصرتهم فلا تقتلوا شيخاً  
ولا امرأة ولا طفلاً ولا تحرقوا زرعاً ولا تقطعوا شجراً ولا تذبجوا بهيمة إلا ما يلزمكم  
للأكل . ولا تغدروا إذا هادتم ولا تنقضوا إذا صالحتم . وستمرون على أقوام في الصوامع  
رهبان ترهبوا لله فدعوهم وما انفردوا إليه وارتضوا لأنفسهم فلا تهدموا صوامعهم ولا  
تقتلوهم واللام

### وله منه وصية عند وفاته

#### لعمري بهم الخطاب

إني مستخلفك من بعدي وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار وعملاً

« ١ » زحفا أي زاحقين يشون إليكم ببطء لكثرتهم « ٢ » يولهم يومئذ دبره أي ينهزم حينئذ أمامهم  
« ٣ » متحرفاً المنحرف المائل عن القتال مكيدة بأن يري العدو الفرار وهو يريد السكر عليه « ٤ » متحيزاً  
إلى فئة أي منضمماً إلى جماعة « ٥ » باء رجوع

بنتهار لا يقبه بالليل وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق ان يكون ثقيلًا وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفًا . إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فاذا ذكرتهم قلت إني أخاف ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم فاذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبًا راهبًا ولا يتجنى على الله غير الحق ولا يلقي بيده إلى التهلكة . فاذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض اليك من الموت ولست بمعجز الله

صه خطبه لعمر بن الخطاب (١)

از ولي الصلوة

أيها الناس إني داع فأمنوا ، اللهم إني غليظ فليتبني لأهل طاعتك بموافقة الحق وارزقني العظلة والشدّة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ، اللهم إني شحيح فسحني من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة واجعاني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة ، اللهم ارزقني خفض الجناح واين الجانب للمؤمنين ، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان فألهني ذكرك على كل حال وذكر الموت في كل حين ، اللهم إني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بفضلك وتوفيقك ، اللهم ثبتني باليقين والبرّ والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني والمحاسبة لنفسي وإصلاح الساعات والحذر من الشبهات ، اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لساني من آياتك والذهم لها والعمل بها ما بقيت إنك على كل شيء قدير

« ١ » هو الفاروق ابو حفص القرشي العدوي ثاني الخلفاء الراشدين . ولد في بني عدي واسترعاه أبوه غنمه أيام صغره ولم يمتن بتثقيف عقله وتهذيب أخلاقه ، لهذا شب جافي الطبع شديد البطش لا يرهب أحداً . ثم تعاطى التجارة فسافر لها في بلاده وقدم إلى الشام غير مرة . ولما ظهر الإسلام سنة ٦١٢م اضطهده باديء بدء . وأخيراً دان به وأعزّه وثبت أركانه وبذل في نصرته كل رخيص وغال واناضل عن أصحابه ونافخ عنهم مناخفة الابطال وأصبح تقبل الوطأة على الخالدين . ولي الخلافة يوم وفاة أبي بكر بعده منه . ولما تلا كتاب العهد على المسلمين بأبعوه على بكرة أبيهم اعداهم انه لها . فاخذ يسوس الناس بالعدل

## وله الى أبي موسى <sup>(١)</sup> الأشعري

### بوصيه

أما بعد فأوصيك أن تقيم حدود الله (٢) ولو ساعة من النهار ، وإذا عرض لك أمران أحدهما لله والآخر الدنيا فأثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا فإن الدنيا تنفي والآخرة تبقى وكن من خشية الله على وجل وإذا كانت بين القبائل نائرة وتداعوا يا امدان (٣) فانما تلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله وتكون دعواهم إلى الله وإلى الامام . وقد بلغني أن قبيلة ضبة تقول يا لضبة فاذا جاءك كتابي هذا فعاقبهم حتى يفرقوا (٤) إن لم يفتقروا وعُد مرضى الناس واشهد جنازتهم وافتح بابك لهم وبأشر أمرهم بنفسك فانما أنت امرؤ منهم غير ان الله جعلك ألقامهم حملا . وقد بلغني أيضا انه فشا لك ولأهل بيتك هيئة في ملبسك ومطعمك ومركبك ليس لأحد من الرعية مثاها فايك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرت بواد خصب فلم يكن لها همة إلا السمن وإنما حثفها في السمن واعلم أن للعامل مردًا إلى الله وأنه إذا زاع زاعت رعيته وأن أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام

### وله اليه أيضا

### في القضاء

أما بعد فان القضاء فريضة مُحَكِّمة وسنة متبعة فسوّ بين الناس بالعدل حتى لا يطمع

ويجدهم على سوي الطريق يستعمل الشدة في مواضعها واللين في مواضعه وربما كان الى الشدة أميل منه الى اللين ولكن لم يكن يخرج عن حد الحكمة وبذلك تيسر له أن يأتي بالمظالم ومهمات الامور ففتح العراق وفارس والشام ومصر ومصر المداين وحفر الترع وأقام الجسور وأفاض سبل العدل على الرعية وغير ذلك حتى هابه الناس هيبة عظيمة وتعلقوا بأذياله أشد تعلق ، ومع هذا بقي هو على حاله كما كان قبل الولاية في لباسه وأكله ونومه وسكنه وبقية شؤونه الشخصية لم تغيره الإمرة في شيء ما سوى انه ازداد تواضعا ورغبة في نفع الأمة لاعتقاده انه خالق لها ولم تخلق هي له . مات سنة ٦٤٥ م قتيلا بختنجر عبد فارسي يقال له أبو لؤاؤة فيروز وعمره ٦٣ سنة ومدة خلافته عشر سنين وقد دعا قبل وفاته بسنة من أكار الصحابة وأوصاهم أن يتشاوروا في أمر الخلافة حتى يختاروا رجلا منهم « ١ » هو رجل من الصحابة تولى القضاء في خلافة عمر بن الخطاب « ٢ » حدود الله هي الاحكام الشرعية سميت بذلك لمنها الانسان من التخطي الى ما وراءها « ٣ » يا حرف استغانة واللام حرف جر زائد وفلان مستغاث به منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد وأصله يا لآل فلان حذف المضاف للتخفيف ومثله يا لضبة الآتي « ٤ » يفرقوا يخافوا وهو من باب فرح

شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من قسطك ، اليئنه على من ادعى واليمين على من أنكر  
والصاح خير للمتخاصمين إلا صلحا أحل حراما أو حرّم حلالا ، ولا يمنعك قضاء قضيته  
اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه إلى رشدك أن ترجع إلى الحقّ فان الرجوع الى الحق  
أحرى من التماذي في الباطل . ألذهم الذهم فيما يتاجاج في صدرك (١) مما ليس في كتاب ولا سنة  
فاعمد إلى شبهه وقسه به واجعل لمن يدعي بينة غائبة أجلا مسمى ينتهي اليه فاذا أحضرها  
عاملته بها وإلا استحللت عليه القضية فان ذلك أنقى للشك وأجلى للشبهات

### وله الى بعضه فواد هيدته

#### في التوصية

أما بعد فإني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله  
أفضل العدة على العدو وأقوى على المكيدة في الحرب ، وأن تكون أنت ومن معك أشد  
احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم . فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ولولا  
ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عدونا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية  
كان لهم الفضل علينا في القوة . وإلا (٢) ننصر عليهم بطاعتنا لم نغلبهم بقوتنا . واعلموا  
أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم واسألوا الله العون على  
أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم . وأقم بمن معك في كل اسبوع يوما وليلة حتى تكون لهم  
راحة يُحيون فيها أنفسهم ويرمّون أبحاثهم وأمتعتهم ونحّ منزلهم عن قري أهل الصلح  
والذمة (٣) فلا يدخلها من أصحابك إلا من ثقت به . وليكن منك عند دنوك من أرض  
العدو أن تكثر الطلائع وتبث سرايا بينك وبينهم ثم أذك أحراسك على عسكري وتيقظ من  
البيات (٤) جهدك والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم

### وله يوصي الخليفة بعمره

أوصيك بتقوى الله الذي لا شريك له وأوصيك بالماجرين الأولين خيرا وبالأنصار

« ١ » يتخلج في صدرك بتردد فيه « ٢ » إلا أصاها إن لا « ٣ » الذمة الكفيلة وأهل الذمة هم الذين  
يدفعون الجزية من النصرارى واليهود المقيمين بدار الاسلام وقيل لهم ذلك لأنهم آمنوا على دمايتهم وأعراضهم  
وأموالهم « ٤ » البيات هو الايقاع بالعدو ليلا من دون أن يعلم وهو اسم مصدر من بات بتشديد الياء

فأقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئتهم وبأهل الأمصار فأنهم رددوا العدو وجباة الخراج لآئحل فيئهم إلا عن فضل منهم وبأهل البادية فأنهم أهل العرب نخذ من حواشي أموال أغنيائهم وردة على فقرائهم وبأهل الذمة أن تدافع عنهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم ولا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أحد منهم وأوصيك بتقوى الله ومخافة مقته وأن تحشاء في الناس ولا تحشى الناس فيه وأوصيك بالعدل في الرعية والتفرغ لحوادثهم ولا تؤثر غنيم على فقيرهم فان ذلك كله سلامة لقلبك وكفارة لوزرك وخير في عاقبة امرك ان شاء الله . وامرك ان تشدد في أمر الله وفي حدوده على قريب الناس وبعيدهم ثم لا تأخذك في أحد رافة حتى تنهك منه مثل ما انتهك من حرم الله واجعل الناس عندك سواء ولا تبال على من وجب الحق ولا تجمهم في البعث فتنقطع نسلهم ولا تجعل المال دولة بين الاغنياء منهم ولا تفاق بابك دونهم فيأكل قويم ضعيفهم . وقد أوصيتك وحضتتك ونصحتك فان عملت بالذي وعظتک وانتهيت الى الذي أمرتک ميتعيا بذلك وجه الله أخذت به نصيبا وافرا في الآخرة . هذه وصيتي اليك وأشهد الله عليك

مره خطبه له عثمان بن عفان (١)

### وهو محصور

أيها الناس إن عمر بن الخطاب صير هذا الأمر شوري (٢) في ستة فاختروني وأجمعوا عليّ ولم آل عن العمل بالحق جهدا وما توفيتي إلا بالله . وما أعلم أن لي ذنبا أكثر من طول ولايتي عليكم . ولعلّ بعضكم يقول ليس كأبي بكر وعمر ، أجل استكهما ولكن الأشياء

« ١ » هو عبد الله الاموي ثالث الخلفاء الراشدين . انتخب بعد وفاة عمر بن الخطاب سنة ٦٤٥ م وكان مبالا الى السلم يشفق على رعيته ويؤمن من أذيته ويكره المشاكل ويبتعد عنها جهده حتى بلغت به الحال حد الغاوت فلذا فسدت أمور الامة الداخلية وانتمرت عليه الرعية وأكثروا من الاعتصاب عليه وطعنوا فيه ونقدوا عليه أشياء كثيرة منها كلفه بنفع أقاربه وتقديمه إياهم في تولية المناصب فندبوا إليه من يعاتبه على جميع ما ينكرونه عليه ويقول له إما أن تمتد أو تمتد لى فقال له إنه لا ينزع ما ألبسه الله ولكنه يتوب . فانصرف المندوب . فكتب اليهم كتابا يقول فيه إني أنزع عن جميع ما أنكرتموه وأتوب الى الله . فلم يقبلوا منه . ثم حاصروه في داره واشتد عليه الحصار حتى تسور محمد بن أبي بكر حائظه مع رجلين أختلف في تبيئتهما فضربه أحدهما بمشقة وأجهز الآخر عليه والمصحف في حجره فتخضب بالدماء وولوا هاربين من حيث أتوا وكان ذلك سنة ٦٥٧ م وعمره حينئذ ٨٢ سنة ومدة خلافته اثنتا عشرة سنة . وقد حصل في أيام خلافته اختلاف شديد بين حفظة القرآن في قراءاته حتى كان بعضهم يقول قراءتي خير من قراءتك فرسم عثمان لأربعة من الصحابة وهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ان ينسخوا تلك الصحف المحفوظة عند حفصة في مصاحف على لغة قريش حتى اذا فرغوا من عملهم وزع المصاحف المنسوخة على الامصار وأمر بحرق ما سواها « ٢ » أي تولي الخلافة

أشباه قريب بعضها من بعض . وقد أردتم أن تخلعونني فلا يكون ذلك إلا بأمر يوجه عليّ  
فأخاعها من عتقي وأما العتبي فلکم ونعمت العتبي

وله جواباً لأمر سلمة وقد كلمته  
في شأن أعمامه

يا أمّنا إن هؤلاء (١) النفر رعاغ غثرة (٢) تطأطأت لهم تطأطؤ الماتح (٣) الأدلاء  
وتلدت (٤) لهم تلدد المضطر ، أجزرت المرسون (٥) منهم رسنه وأبلغت الراجع (٦)  
مسقاه فأرانهم الحق إخوانا وأراهموني الباطل شيطانا ففترقوا عليّ فرقا ثلاثا فصامت  
صمته أنفذ من صول غيره ، وساع أعطاني شاهده ومنعني غائبه ، وصرين على قلبه قد عتبي عليه  
معرفة الحق فأنا منهم بين السن لداد (٧) وقلوب شداد وسيوف حداد ، عذيري (٨)  
الله . ألا ينهى منهم حليم سفيهاً وعالم جاهلا والله حسبي وحسبهم يوم لا ينطقون ولا يؤذن  
لهم فيعتذرون

وكتب الى الامام علي يستجده  
وقد اشتد بهلوه منه محاصره

أما بعد فقد بانغ السيل الزبي (٩) وجاوز الحزام الطَّبَّيِّين (١٠) وطمع في من لا يدفع عن  
نفسه ولم يغلبك مثل مغلب (١١) فأقبل إليّ صديقا كنت أوعدوا  
فإن كنت ما كولا فكن خيرا كلي وإلا فأدركني ولما أمزق

« ١ » يشير بذلك الى الراقين عليه « ٢ » غثرة سفلة « ٣ » الماتح هو المستخرج الدلو من البئر  
« ٤ » تلددت تحيرت متبادلا « ٥ » أجزرت المرسون تركته يصنع ما يشاء أي أطلقت له الحرية والمرسون  
المشدد بالرسن وهو ما يحاط به وجه الدابة لتقاد به « ٦ » الراجع هو من يأكل ما يشاء وصرين مغطى  
على قلبه « ٧ » لداد قوبة في المحاصمة « ٨ » عذيري ناصرني « ٩ » هدام مثل يضرب للاسرا الذي بانغ غاية لم تكن  
في الحسبان « ١٠ » وهذا مثل أيضا يضرب للخطب الذي اشتد وتفاقم « ١١ » المغلب هو المحتم انتصاره

منه كتاب لعلي به أبي طالب<sup>(١)</sup>

الى بعضه عماله بالوصف

أما بعد فاني كنت أشركتك في أمانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي وأداء الأمانة اليّ . ولكن لما رأيت الزمان عليّ قد كلب والعدو قد حرب والأمانة قد خزيت وهذه الأمة قد مجنت وشغرت قلبت لي ظهر الميجنّ (٢) فمارقني مع المفارقين وخذلتني مع الخاذلين وختني مع الخائنين فلا إياي آسيت ولا الأمانة أديت وكأنك لم ترد الله بأعمالك ولم تكن على بينة من ربك وإنما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم وتنوي غرتهم عن فيهم . فلما أمكنتك الفرصة في خيانة الأمة أسرعت الكثرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأرامهم وأيتامهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم (٣) من أخذه كأنك جلبت لأهلك ترانامن أبيك وأمك فسبحان الله اما تؤمن بالمعاد أو ما تخاف نقاش الحساب . أيها المعدود كان (٤) عندنا من ذوي الألباب كيف تسيع شرابا وطعاما وأنت تعلم أنك

« ١ » هو أبو الحسن القرشي رابع الخلفاء الراشدين . ولد بمكة من بيت المجد والسؤدد وغرس الإسلام في قلبه صبيا فشبّ وقد تأصلت جذوره في نفسه وامتزجت بمبادئه به امتزاج الأرواح بالاجسام ، لذلك أصبح من أشدّ الناس غيرة عليه وأكثرهم دفاعا عنه وأرغبهم في نصرته وأقواهم في الذب عن بيضته حتى كانت له السكّانة العالية في قلوب العرب كافة والدرجة الرفيعة بينهم وقد ساعده على أن أحلوه بينهم هذا الحول وبافت هيئته من قلوبهم هذا المبلغ ما كان ممحليا به من مكارم الصفات التي ونت دونها خطي الكثير من أعظم الرجال وتفطمت عليها أعناق الفعول من الأبطال ، ولا غرو فهو الذي إن ذكرت الشجاعة كان حامل لواء الشجاعة أو البلاغة كان إمام البلاء أو الحكمة كان قائد حلبة الحكماء ، جرت أقواله في الناس مجرى الأمثال السائرات وسرت من نفوسهم مسرى الآيات البينات تتناقلها الأئمة دهرًا فدهرا كأنها السكّام المنزلات — لما خات سدة الخلافة بقتل عثمان انتخبه لها وجوه الامة فقام باعابها أربع سنين ، إلا انه لم يصف له جوها من أعاصير حروب امتدّ لهيها بينه وبين معاوية بن أبي سفيان الذي كان يتنازع الخلافة الى أن انتهى الامر بينهما بموت علي بضربة من يد خارجي يسمى عبد الرحمن بن ملجم ضربه على حين غرة منه وقد خرج من داره يريد الصلاة سنة ٦٦١ وعمره اذ ذاك ٦٣ سنة . ولما أحس بقرب أجله دعا ابنيه الحسن والحسين ووصاهما بقوله أوصيكما بتقوى الله وألا تبغيا الدنيا وإن بقتكما ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وكونا للظالم خصما وللظالم ناصرا ولا تأخذكما في الله لومة لائم ولا تتركا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى آخر ما جاء في وصيته من درر النصائح وغررها . ثم قام بالامر بعده ابنه الحسن أبو محمد ، بإيمه أهل الكوفة وامتنع أهل الشام ، فسار الى المدائن واستقر بها . ولم تزل المناوشات بين رجاله ورجال معاوية حتى رأى هو أن المصلحة في ترك القتال وجمع الكلمة فتنازل عن الخلافة لمعاوية سنة ٦٦٢ بعد سبعة أشهر وسبعة أيام من مبايعته ، فاتمى بتنازله عهد الخلفاء الراشدين وابتدأت دولة بني أمية « ٢ » المجن الترس والمباراة مثل يضرب الحجارة بعد المسألة « ٣ » التأمم التحرز من الاتم « ٤ » كان هنا زيادة لإفادة معنى المضي فقط

تأكل حراما وتشرب حراما وتبتاع وتشتري من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد، فاتق الله وأردد إلى هؤلاء القوم أموالهم فانك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلا أراح من شره دنياه ووالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا مني بازادة حتى آخذ الحق منهما وأزيل الباطل عنهما وأقسم لا يسرنني أن ما أخذت من أموالهم يكون لي حلالا أتركه ميراثا لمن يعدي . تيقظ أيها الرجل فكأنك قد بلغت المدى ودفت تحت الثرى وعرضت عليك أعمالك يوم ينادي الغلام فيه بالحسرة ويتنّى المضيق الرجعة ولات حين مناص

### وصفه كتاب له الى الحارث

#### الراعي عامر

أما بعد فتمسك بجبل الله أحلّ حلاله وحرّم حرامه واعتبر (١) بما مضى من الدنيا ما بقي منها فان بعضها يشبه بعضها وآخرها لاحق بأولها وكلّ ما فيها زائل، وعظم اسمه تعالى لا تذكره إلا على حق، ولا تنزل ذاكر الموت وما بعده، واجنب كل عمل اذا سئل عنه صاحبه أنكره أو اعتذر منه، ولا تجعل عرضك غرضا لئبال اللاتمين ، ولا تحدّث الناس بكل ما سمعت فكفى بذلك كذبا ولا تردّ عليهم كل ما حدّثوك به فكفى بذلك جهلا، واكظم الغيظ وتجاوز عند المقدرة تكن لك العاقبة، ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك وليأثرها عليك وأكثر النظر إلى من فضلت عليه فان ذلك يحملك على الرضى بما أنت فيه والشكر عليه (٢)، وأطع الله في جميع أمورك فان طاعة الله فاضلة على ما سواها، وخادع نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها، ولا تصاحب الاشرار فان الشرّ بالشرّ ملحق، واحذر الغضب فانه جنود عظيم من جنود إبليس، وإياك أن ينزل بك الموت وأنت آبق من ربك في طلب الدنيا

### وله منه خطبة

#### في زعم الدنيا

الدنيا دار بلاء ومنزل قلعة وعناء ، قد نزع عنها نفوس السعداء وانزعجت بالكرد من

« ١ » أي قس « ٢ » كأن بعضهم أخذ قوله « من شاء عيشا رغيدا يستفيد به » في دينه ثم في دنياه إقبالا، فليظنن الى من فوقه أديبا، وليظنن الى من دونه مالا » من هذا الكلام

أيدي الاشقياء ، فأسعد الناس أرغبهم عنها وأشقاهم أرغبهم فيها ، هي الغاشة لمن استرشدتها والمنعوية لمن أطاعها . فطوبى لعبد اتقى فيها ربه ونصح نفسه وقدم توبته من قبل أن تافظه الفانية الى الباقية ويصبح جسمه عظاما بالية لا يستطيع أن يزيد في حسنة ولا ينقص من سيئة ثم ينشر فيحشر إما إلى جنة يدوم نعيمها أو إلى نار لا ينفد عذابها

### ومره خطبة له

أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت على الطلاع ، الأوان اليوم المضمهر وغدا السباق أفلا تأب من خطيئته قبل ميته ، ألا عامل لنفسه قبل يوم يؤسه ألا وانكم في أيام أمل من ورائه أجل فمن عمل في أيام أمه قبل حضور أجله نفعه عمله ولم يضره أجله ومن قصر فقد خسر عمله وضره أجله ، ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة ، ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها ، ألا وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل ومن لم يستقم به الهدى يجره الضلال الى الردى ، ألا وإنكم قد أمرتم بالجهاد ودلتم على الزاد وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل فتزودوا من يومكم ما تحرزون به أنفسكم في غدكم

### ومره خطبة له (١)

أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه ألبس الله ثوب الذل وأشمله البلاء وألزمه الصغار وسامه الخسف ألا وإني دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وجهارا وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوم قط في عُقر دارهم إلا ذلوا قتلوا كُتِم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي . فاتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات . هذا سفيان بن عوف قد بلغت خياله الأنبار وقتلوا حسانا البكري وأزالوا خيلكم عن مسارحها وقتلوا منكم رجلا صالحين ثم انصرفوا وافرغوا الغنائم ما نال رجلا من رجاله كدم ولا أريق لهم دم . فلو أن امرا مؤمنا مات من بعد هذا أسفا ما كان عندي ملوما بل كان عندي جديرا . فواعجبا من جد هؤلاء في باطلهم وفشلكم عن حقكم . قبحا لكم حين صرتم عرضا يرمى ، يغار عليكم ولا تغيرون تغزؤون ولا تغزؤون يعصى الله وترضون . فاذا أمرتكم بالمسير اليهم في الصيف

« ١ » عند ما أغار سفيان بن عوف الاسدي على الأنبار من قبل معاوية بن أبي سفيان وقتل حسانا البكري أميرها في خلافة الامام علي قام يحث قومه على الجهاد ويوبخهم على تقاعدهم عنه

قامت هذه حمارة القيظ أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر . وإذا أمرتكم بالمسير إليهم في الشتاء قلم هذه صبارة الفر أمهلنا حتى ينسلخ عنا البرد فأتتم والله من السيف أفرّ (١) يا أشباه الرجال وعقول ربات الحجال . اني لو ددت لو أخرجني الله من هذه الدنيا وقبضني إلى رحمته ولم أركم ولم أعرفكم . والله لقد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا وجرعتموني الموت أنفاسا وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب ، لله أبوهم وهل منهم أحد أشد لها مراسا وأطول تجربة مني لقد ما رستها ولم ابلغ العشرين فيها أنا ذا قد نيمت على الستين . . . ولكن لا رأي لمن لا يطاع

—————

### ومرهم فطيرة له

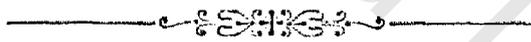
أيها الشاهدة أبدانهم الغائبة عقولهم الختامة أهواؤهم المبتلى بهم أمراؤهم صاحبكم يطيع الله وأتم تعصونه وصاحب (٢) أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه ، لو ددت والله ان معاوية صارفتي بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم . أما والذي نفسي بيده ل يظهرن هؤلاء القوم (٣) عليكم ليس لأنهم أولى بالحق منكم ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وإبطائكم عن حقي . لقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتهم . وقد أصبحت أنا أخاف ظلم رعيتي ، استنفرتكم للجهد فلم تنفروا وأسمعتكم فلم تسمعوا ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا ونصحت لكم فلم تنتصخوا ، أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها وأعظكم بالموعظة البالغة فتفرقون عنها أيدي سبا (٤) أقومكم غدوة فترجعون إلى عشية كظهر الحية أعزل (٥) المقوم ، تشبهون الإبل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب آخر ، ولئن أمهل الله الظالم (٦) فلن يفوته أخذه وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه وبموضع الشجا من مساع ريقه (٦)

«١» أي فراركم من السيف لامن الحر والبرد «٢» أي معاوية بن أبي سفيان «٣» أي جماعة معاوية «٤» سبا اسم رجل وهو عبد شمس بن يعرب بن قحطان أبو قبائل اليمن سمي به لكثرة سببه في الغزوات . وأيد جمع يد بمعنى السلطة والملك ومن ذلك انمثل المشهور تفرقوا أيدي سبا أي تبددوا تبددا لا اجتماع بعده وذلك لأن الله أرسل على أرضه سيل العرم فأغرقها وأذهب جناتها فتركها سبا هو وقومه وتشتتوا في البلاد فذهب ملكه أدراج الرياح «٤» أعزل أمجز «٥» الظالم أي معاوية الذي شاركه في الخلافة ظلما والحاضرين الذين كانوا يظلمونه بتأخيرهم عن الجهاد أو فرارهم من ساحة الوغى «٦» الشجا ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه ومساع الريق ممره من الحلق والكلام تمثيل لقرب السطوة الإلهية من القوم الظالمين

ومنه فطلبته له

في الاستسقاء

اللهم قد انصاحت جبالنا (١) واغبرت أرضنا وهامت دوابنا وتحيرت في سرايضها وعجبت  
عجيج الشكلى على أولادها ومات التردد في مراتعها والحين الى مواردها ، اللهم ارحم أنين  
الآفة وحين الحانة ، اللهم ارحم حيرتها في مذاهبها وأنيها في موالحها ، اللهم خرنا إليك  
حين اعتكرت علينا حدابير (٢) السنين واخلفتنا مخايل الجود (٣) فكنت الرجاء للمبتس  
والبلاغ للمتمس ندعوك حين قط الأنام ومُنع النعام وهلك السوام (٤) ألا تؤاخذنا  
بذنوبنا ، اللهم انشر علينا رحمتك بالسحاب المنبق (٥) والربيع المغدق (٦) والنبات المونق  
سحًا وابلا (٧) يحيا به ما قد مات ويُردّ به ما قد فات ، اللهم سقيا منك محبة مروة تامة  
عامة طيبة مباركة هنيئة مريعة (٨) زاكيا نبتها نامرا فرعها ناضرا ورقها تنعش بها الضعيف  
من عبادك وتحمي بها المبت من بلادك وتعشب بها نجادنا وتجري بها وهادنا (٩) وتخصب بها  
جناننا (١٠) وتعيش بها مواشينا وتندى بها أقاصينا (١١) وتستعين بها ضواحننا (١٢) من  
بركاتك الواسعة وعطاياك الوافرة على بريتك المرملة (١٣) وأنزل علينا سماء مخضلة (١٤) مدرارا  
هاطلة يدفع الودق منها الودق (١٥) ويحفز (١٦) القطر منها القطر حتى يبرع (١٧) ببركتها المجدبون  
فانك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد



ومنه كتاب له يوصي الاستر النخعي

مبين ولاة على مصر

اعلم يا مالك (١٨) اني وجهتك الى بلاد قد جرت عليها أحكام دول قبلك من عدل

«١» انصاحت جبالنا تشقت من شدة الحرارة وعدم الماء «٢» الحدابير جمع حدبار وهو السنة المقحطة  
«٣» الخايل جمع مخيلة وهي السحابة تؤذن بالمطر ثم تصرف بلا .طر والجود المطر الغزير «٤» السوام  
اسم جمع بمعنى البهائم الراعية «٥» السحاب المنبق هو الذي ينشق عن المطر «٦» الربيع المغدق هو  
الكثير المطر «٧» النبات المونق المنجب وسحا منصبا ووابلا كثيرا «٨» المريعة المنصب «٩» النجاد  
جمع نجد وهو ما ارتفع من الارض وضده الوهاد «١٠» الجناب الناحية «١١» تندى تبذل وأقاصينا  
أطراف بلادنا «١٢» الضواحي جمع ضاحية وهي الهيمة المعتادة الشرب وقت الضحى «١٣» المرملة  
الفقيرة «١٤» المخضلة المبللة «١٥» الودق المطر «١٦» يحفز يدفع «١٧» يبرع المجدبون يتألون الخصب  
«١٨» هو مالك بن الحارث

وجور وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقوله فيهم وإنما يستدلّ على المرء بما يجري الله له على السنة عباده فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح فمالك هو لك وشحّ بنفسك عما لا يحلّ لك فإن الشحّ بالنفس هو الانصاف منها فيما أحببت وكرهت، وأشهر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكون عليهم سبعا ضاريا فأنهم اناس مثلك في الخلق يفرض (١) منهم الزلزال وتعرض لهم العليل ويؤتى على أيديهم الهفوات في العمد والخطأ فأعطيهم من عفوك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه فإنك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق من وراك، ولا تنصبن نفسك لحرب الله (٢) فإنه لا يد (٣) لك بنقمة ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفوه ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولن إني مؤمّر أمر فأطاع فإن ذلك إدغال (٤) في القلب ومنهكة (٥) للدين

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من السلطة أهبة أو مخيطة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه أنت ولا غيرك فإن ذلك يطأ من (٦) إليك من طماحك (٧) ويكفّ عنك من غرّبك (٨) وينيء (٩) إليك بما عزب من عقلك، وإياك ومشاركة الله في عظمته فإنه تعالى يُذلّ كلّ جبار (١٠) ويهين كلّ مختال (١١) أنصف الله وأنصف الناس من نفسك (١٢) ومن خاصة أهلك ومن تميل إليه من رعيّتك فانت إنّما تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خصمه الله أدحض حجته (١٣) وكان لله حربا (١٤) حتى يتوب وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على الظالم فإنه تعالى سمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد. وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية فإن سخط العامة يجحف (١٥) برضى الخاصة وإن سخط الخاصة ينظر مع رضى العامة وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأيسر معونة له في البلاء وأكبره للانصاف وأسأل بالالحاف (١٦) وأقل شكرا عند الإعطاء وأبطأ عذرا عند المنع وأضعف صبورا عند ملعات الدهر من أهل الخاصة وإنما عماد الدين وجماع الكلمة والعدة للاعداء العامة من الأمة فليكن صنوك لهم ومهلك معهم. وليكن أبعدهم عنك وأشنأهم عندك أظلمهم اعاب الناس فإن في الناس عيوب الوالي أحق يسترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله

«١» يفرض يسبق «٢» أي لانتهم حدود الله فتكون عرضة لانتقامه منك «٣» أي لاقدرة لك على دفع نقمته «٤» إدغال إفساد «٥» منهكة للدين مفسدته «٦» يطامن يخفض «٧» الظلم الكبر والنغر «٨» غرّبك حدثك «٩» ينوء يرجع «١٠» الجبار المستبد بظلمه «١١» المختال المعجب بنفسه «١٢» أنصف الله اعلم بدينه وأنصف الناس من نفسك أعطيهم حقوقهم من نفسك «١٣» أدحض أبطال «١٤» حربا أي محاربا «١٥» يجحف يذهب «١٦» الحاف هو الشدة في السؤال

يحكم على ما غاب عنك فاستر العيوب ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعبك واقبل عنك سبب كل وتر (١) وتغاب (٢) عن كل ما ليس من شأنك ولا تساهل في تصديق سماع (٣) فان الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين، ولا تدخان في مشورتك بجبال يعدل بك عن الفضل ويعمدك النقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزبن لك الشره (٤) فان البخل والابن والحرص غرائز متفرقة يجمعها سوء الظن بالله • والصق بأهل الورع والصدق ورضيتهم على ألا يمدحوك بما ليس فيك ولا يطردوك بما هو فيك فان الإطراء يحدث الزهو ويدي من العزة ، ولا يكونن المحسن والمسيء عندك سواء فان في ذلك تزهد الأهل الإحسان في الاحسان وترغيباً لأهل الاساءة في الإساءة • ولا تنقض سنة صالحة جرى عليها المتقدمون واجتمعت بها الألفة وصاححت عليها الرعية ولا تمدن سنة تخل بشيء مما مضى من تلك السنن فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بنقضها • واختر للعمل بين الناس أفضل رعبتك بمن لا تضيق بهم الأمور ولا تسوقهم آمالهم الى موارد الطمع ولا يكتفون بأدنى فهم دون أتباع ولا يزدهيم اطراء ولا يستعملهم اغراء وأعظمهم من إعتبارك إتيانهم ما تعلقو به منزلتهم بين الخاص والعام وأسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم إن خانوا أمرك أو خانوا أمانتك وتفقد أعمالهم بعيون تبثها بينهم من أهل الصدق والوفاء فان تعاهدك في السر لأموالهم حدوة (٥) لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية وإن حققت عندك خيانة أحد منهم فشدد عليه العقوبة وانصب بمقام المذلة وسمه بعار خيانه

وليسكن نظرك في عمارة الارض أبلغ من نظرك في استجلاب الحراج لانه لا يدرك إلا بالعمارة ومن طاب الحراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً ، فان شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجهف بها عطش تخفف عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ولا يتقن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة ولايتك وإنما يأتي خراب الأرض من إعواز أهلها وإنما يعوز أهلها لثقل المؤونة عليهم أو إشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة اتفاعهم بالعبء • ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً فانهم أسباب المنافع وجلابها من أداني البلاد وأقاصيها في برّك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يهتدي الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها واعلم مع ذلك ان في كثير منهم شحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في المبيعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار ولكن البيع بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين

«١» لوتر العداوة «٢» تغاب تغافل وهو مبني على حذف آخره «٣» الساعي هو الغمام «٤» الشره هو شدة الحرص «٥» حدوة أي سوق لهم وحث

والله الله في الطبقة السفلى من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، احفظ لله ما استخفظك من حقه فيهم واجعل لهم شيئاً من بيت المال في كل جهة فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى وقد استرعت حق كل فلا تصرف همك عنهم ولا تصعرخك لهم، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ففرغ لأولئك من تثق به من أهل الخشية والتواضع ليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم بما ينفعك عند الله يوم تآقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج إلى المساعدة والانصاف من غيرهم واجعل لذوي الحاجات قسماً من أوقاتك تفرغ لهم فيه شخصك وتجاهس لهم مجلساً عاماً تتواضع فيه للذي خلقك وتقيد عنهم جندك وأعاونك من أحراسك وسرطك حتى يكلمك منكلمهم غير مخذول واحتمل الحرق منهم والبي ونح عنهم الضيق والأثقة يبسط الله عليك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته، واعظ ما اعطيت هنيئاً وامنع في إجمال واعتذار. واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل موافقتك وخير أعمالك وإن كانت كلها لله إذا صاححت فيها التبه وسلمت منها الرعبة، ولا تدفعن صاحباً دعاك إليه عدوك والله فيه رضى فان في انصاح دعة لجنودك وراحة من همومك وأماناً لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل نخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن وإن عقدت بينك وبينه عقدة أو ألبسته منك ذمة فتمم عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد إجماعاً عليه مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود فلا تغدرن بذمتك ولا تخلن عدوك وإياك والدماء وسفكها بغير حلتها فانه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه يتولى الحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة

وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه مع حسن التناء في العباد وجهل الأثر في البلاد وتتمام النعمة وتضعيف الكرامة وأن يحتم لي ولك بالسعادة والسلام

صه فظيم المحسبين<sup>(١)</sup>

في الحث على فعل الخير

أيها الناس نافسوا في المكارم وسارعوا إلى المنافع ولا تحتسبوا (٢) معروفاً لم تعجلوه واكتسبوا بالإيجاز مدحاً ولا تكتسبوا بالمطل ذماً، وأعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوها فتعود نقماً. ولو صور لكم المعروف رجلاً لرأيتموه محبوباً جميلاً يسر الناظرين

«١» هو أبو عبد الله بن علي بن أبي طالب «٢» أي لا تمتدوا

ويفوق العالمين ، ولو صور المنكر لرأيتهم مكرها قبيحا تنفر منه القلوب وتغضّ دونه الابصار .  
أيها الناس من جاد ساد ومن بخل رذل وأجود الناس من أعطى من لا يرجوه وأفضلهم  
من وصل الذين قطعوه فمن يعجل لأخيه خيرا يجده إذا قدم عليه ومن أراد الله بالصنعة  
إلى أخيه كافأه بها في وقت حاجته وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منها ، ومن  
نفس كربة مكروب فرّج الله عنه كرب الدنيا والآخرة ومن أحسن أحسن الله إليه ،  
إن الله يحب المحسنين

صه جواب لعمر بن العاصم (١)

إلى عمر بن الخطاب وقد استوصف مصر

أما بعد فقد ورد عليّ كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يستوصفي مصر - اعلم يا أمير  
المؤمنين ان مصر تربة غبراء وشجرة خضراء طولها شهر وعرضها عشر (٢) يخطّ وسطها  
نهر مبارك الغدوات ميمون الروحات ، يجري بالزيادة والنقصان كالشمس والقمر له أوان ،  
يدرّ حلابه وتعظم أمواجه فتفيض على الجنابين ، فلا يمكن وصول بعض أهل القرى إلى  
بعض (٣) إلاّ في صغار المراكب وخفاف القوارب ، فاذا تكامل في زيادته نكص على عقبيه  
كأول ما بدا ، فعند ذلك يخرج الناس ويبذرون الحبّ يرجون النماء من الرب حتى إذا  
طلع الزرع وأشرف سقاء من فوقه الندى وغدّاه من تحته الثرى . فينما مصر يا أمير  
المؤمنين لؤلؤة بيضاء إذ هي عنبرة سوداء ، فاذا هي زُمرّدة خضراء ، فاذا هي ديباجة زرقاء ،  
فاذا هي سبيكة صفراء (٤) فتبارك الله الخالق لما يشاء (٥)

«١» عمرو بن العاص هو أبو عبد الله بن وائل القرشي السهمي كان من أفراد الدهر دهاء وحزما  
وسياسة وفصاحة إلا انه كان يتأجلج في كلامه . تغلب في عدة وظائف من أول ظهور الاسلام الى  
أيام معاوية بن أبي سفيان وهو الذي فتح مصر سنة ٦٣٨ وانتخب حكاما مع أبي موسى الاشعري في  
النزاع بين الامام علي ومعاوية له اليد الطولى في خروج أهل الشام عن ربق طاعة علي ومتابعتهم لمعاوية ،  
فلذا لما أفضت الخلافة اليه بادر فولاه على مصر جزاء له عن أياديه عنده وجعلها طعمة له بعد إعطاء جندها  
والنفقة في مصلحتها ولكن الله تعالى أي أن عليه غنيمته فانه مات بعد الحصول عليها بستين ودفن بسفح  
القطم ولما أشرف على الموت قال اللهم انك أمرتني فلم آتكم وزجرتني فلم أزدجر ثم وضع يده على غلّه  
وقال اللهم لا تقوي فأنتصر ولا بري فاعتذر ثم أخذ بيكي فقال له ابنه عبد الله لم تبكي أجزعا من الموت .  
قال لا ولكن مما بعده «٢» عشر أي ليال لان عادة العرب السير في الليل «٣» هذا ما كانت عليه  
حالة مصر وقت أن تولاها عمرو بن العاص فان النيل كان يعمّ أغلب بلادها كما يحصل الآن ببعض جهات  
الجبيزة والصعيد في أيام فيضان النيل «٤» لؤلؤة بيضاء كناية عن حالة مصر قبل ارتفاع النيل فانها  
تكون حينئذ ذات منظر أبيض ، وعنبرة سوداء كناية عن حالتها عقب ما ينحط عنها ماء النيل ويترك عليها  
إليظه ، وزمرّدة خضراء كناية عن حالتها بعد طلوع الزرع فيها ، وديباجة زرقاء كناية عن حالتها قبل إدراك  
الزرع ، وسبيكة صفراء كناية عن حالتها قبل الحصاد «٥» فلما وقف عمر على هذا الكلام قال لله درك  
يا ابن العاص لقد وصفت لي مصر كما في شاهدها

وله منه جواب

إليه أيضا<sup>(١)</sup>

أما بعد فقد وصاني كتاب أمير المؤمنين يستبطني في إرسال الحجاج ويعجب من كثرة أيام الفراغة وقتله على يدي ، فوالله إن الحجاج يومئذ كان أكثر والأرض أعمر لانهم كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب في عمارة أرضهم منا منذ كان الاسلام ، وقد أكثر في التأييب والتعريض والتثريب فعلمت أن ذلك عن شيء تخفيه على غير خبر فجت لعمرى بالمقطعات المفتريات وقد كان لك من حسن الظن و صواب القول ما يغنيك عن ذلك ، ولقد عملنا لمن قبلك فكننا بحمد الله مؤدين لأمانتنا حافظين لما أوجب الله من حق أئمتنا معتقدين أن غير ذلك قبيح والعمل به شين ، فتعرف ذلك لنا وصدقنا قبلا ، معاذ الله من تلك الطعم وشراً الشيم والاجترأ على كل مأثم ، فأمض عزمك فان الله قد نزهني عن الرغبة فيما أنا فيه ولا سيما بعد كتابك الذي لم تسبق فيه عرضاً ولم تكرم فيه أخاً ، والله يا ابن الخطاب لأنا أشد تزيهاً لنفسي وأكثر إكراماً لها من كل من تظن والسلام

وله إليه أيضا<sup>(٢)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم إلى عمر بن الخطاب من عمرو بن العاص سلام عليك ، أما بعد فاني أحمد اليك ( ٣ ) الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فتد أناني كتاب أمير المؤمنين يستبطني في الحجاج ويزعم اني أعتمد عن الحق وأنكب عن الطريق وإني والله ما أرغب عن صالح ما تعلم ولكن أهل الأرض استنظروني إلى أن تدرك غائهم فأنظرتهم لعلمي ان الفرق بهم خير من أن تحرق بهم فيصيروا إلى بيع ما لاغنى لهم عنه والسلام ( ٣ )

خطبة صحابية

لابي سفيان به صرب<sup>(١)</sup>

« ١ » وقد كتب إليه يستبظته في إرسال الحجاج ويلومه على قتله في أيامه ويعرض له بالعزم على استبداله بغيره ولا شك ان عمر كان محمولا على كلامه له من أناس حواليه كانوا يناظرون عمرا في ولايته على مصر « ٢ » وكان قد شدد عليه في الحجاج ثانية « ٣ » أحمد اليك الله أي أشكره على نعمه الواصلة اليك « ٣ » فاكثرت الخليفة بكلامه وكف عن طلباته « ٤ » أبو سفيان بن حرب هو صحابي الاموي المكي أسلم عند فتح مكة سنة ٦٣٠ وكان إذ ذاك شيخها ومن أكابر تجارها ، شهد وقعة حنين والطائف

معاشر الناس أتم العرب الكرام السادة العظام وقد أصبحتم في ديار الأعلاج متقطعين  
عن الأهل والوطن ، والله لا ينجيكم منهم اليوم إلا الطعن والضرب فهما تبلغون أربكم  
وتنالون النوز من ربكم . واعلموا ان الصبر في مواطن الشدة مما يفرج الله به الهم  
فان صبرتم ملكتم أمصار أعدائكم واستعبدتم نساءهم وأبناءهم . وإن وليتم فدون أوطانكم  
مفاوز لا تقطع إلا بالزاد الكثير والماء الغزير وهؤلاء يرجعون إلى دار وقصور مطمئني  
القاب منتشرحي الصدور . فامتنعوا بسيوفكم واجهدوا في الله حق جهاده ولا تموتن إلا  
وأتم مسلمون

### معه كلام الزرقاء

#### مخبرته أصحاب الامام علي يوم صفين على أصحاب معاوية<sup>(١)</sup>

أيها الناس انكم في فتنة غشيتكم جلايب الظم وجارت بكم عن قصد المحجة ، فإلها فتنة

واليرموك ثم نزل المدينة وتوفي بها سنة ٦٥٢ وهو ابن ثمان وثمانين سنة وأما الخطبة المذكورة فكانت  
قبل واقعة اليرموك واليرموك علم واد بناحية الشام كان به معركة عظيمة بين المسلمين واليونان في أيام  
عمر بن الخطاب «١» صفين اسم موضع على الشاطئ الغربي للفرات بين مدينتي الرقة وبالس ، بها  
كانت الوقائع المشهورة بين الإمام علي ومعاوية سنة ٦٥٨ . والزرقاء هي بنت عدي الهمداني أحد أبطال  
العراق في خلافة الامام علي ، حضرت وقائع صفين وكانت تستقري الصفوف وتوغر صدور الرجال على  
معاوية بكلام كالصوارم لو سمعه الجبان لقاتل والمدير لا قبل والمترزل لا يستقر . وأما معاوية بن أبي سفيان  
فهو أبو عبد الرحمن مؤسس الدولة الاموية ، ولاد عمر بن الخطاب على الشام خلفا لاختيه يزيد وأقره عليها عثمان بن  
عفان . ثم لما أفضت الخلافة الى الامام علي أراد خلعها فامتنع وأبى ان يبايعه وأغرى أهل الشام على ذلك  
وعززه عمرو بن العاص بدعوى ان عليا يعرف قتلة عثمان ويقدر على الانتقام منهم ولم يفعل فخذوا حذوه وتحزبوا  
له فاضطر الامام علي الى محاربتهم فجهز جيشا من أهل العراق وأرسله اليهم فكانت بينهم عدة وقائع لم يتم  
النصر فيها لاحد الفريقين . ولما استفحل الامر وكثرت الدماء اتفق الجمعان على تحكيم اثنين بهما ينتهي  
الخلاف فأختار جيش علي أبا موسى الأشعري وجيش معاوية عمرا بن العاص فدبر عمرو هذا حيلة نتج عنها خلع  
علي وتثبيت معاوية والسكن لم ينزل علي عن الخلافة وإنما ضعفت شوكته بتفرق حزبه ولم يكن بين الجيشين  
من وقتئذ الا مشاجرات خفيفة الى ان قتل علي ونزل ابنه الحسن عن الخلافة لمعاوية فبايعه جميع الامة  
ونال بذلك بغيته التي كان يطمح فيها من ثلاثين سنة ونيف على ما اعترف به هو نفسه بقوله (لازكت أطمع  
في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاوية اذا ملكت فأحسن ) فبلغ بالمكر والدهاء  
مالم يكن ليبلغه بالاستحقاق . وقد عرض له بذلك عمرو حين قال له يا عمرو ما أعجب الاشياء قال (غلبة من  
لاحق له ذا الحق على حقه) ففهم معاوية ما أراد وقال (أعجب من ذلك أن يعطى من لاحق له ما ليس له بحق  
من غير غلبة) يشير بذلك إلى ما كان قد اتفقا عليه من ان مصر تكون طاعة لعمرو عند ما يتم الامر لمعاوية  
فلم يكن تعزير كل منهما لصاحبه إلا لاسر في نفسه يدل على ذلك ما رواه ابن عبد ربه في الجزء الثاني

عمياء صماء بكاء لا تسمع لثقاتها ولا تنقاد لسائقها • أيها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس والكواكب لا تنير مع القمر والبغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد إلا بالحديد • الأيمن استرشد أرشدناه ومن سأل أخبرناه، ان الحق كان يطلب ضالته فأصابها، فصبوا يا معشر المهاجرين والأنصار على النقص فكان قد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله فإنه لا يستوي الحق والمبطل، أمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا، لا يستوون • فالزوال الزوال والصبر الصبر فمن كتب يُحمد الإقدام ويذم الاحجام ولا يعجلن أحدكم بقول كيف كان ذلك ليقضي الله أمرا كان مفعولا (١) • الأولان خضاب النساء الحنّاء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الأمور عاقبة ، فايها إلى القتال غير ناكسين فهذا يوم له ما بعده

قال عسانه بهم ثابت<sup>(٢)</sup>

بفتخر بكرمه ومجرب آباء ويمترح الاسلام

لك الخير غضي ذالملام المطول	فقد كرهت نفسي اللئيم المبخلا (٣)
ألم تعلمي أني أرى البخل سبة	وأكره ذا اللونين والمنتقلا (٤)
إذا انصرفت نفسي عن الشر مرة	فأست إليه آخر الدهر مقبلا
وإنا لقوم ما نسوّدُ غادرا	ولا نا كلا عند الجمالة زُملا (٥)
ولا مانعا للمال فيما ينوبه	ولا نا كسافي الحرب غرّا مغفلا (٦)

من العقد الفريد ( إذا رأيتوها « يعني معاوية وعمرا بن العاص » اجتماعا ففرقوا بينهما فإنهما لا يجتمعان على خير أبدا ) وكان معاوية بعيد المغار كثير الدهاء عظيم السياسة كأن قد خلق للرياسة صاحب همة عالية يسمي وراء الأسباب التي تلبسه ما في نفسه فيعطي الناس الأموال ويأين لهم الخطب ويقربهم إليه ويقبل عليهم ويسمهم بمفوه ليقطع بذلك ألسنتهم ويمنعهم من التحزب عليه • وهو أول من جعل الخلافة وراثية يتوارثها أعتابه بعد أن كانت انتخابية على عهد الخلفاء الراشدين لا يختار لها إلا من كان من أهلها • في آخر مدته عهد به لابنه يزيد تنفيذًا لما آربه • ولما حضرته الوفاة جمع أهله وقال لهم ألسنتم أئتم أهلي ، قالوا بلى فذاك الله بنا ، قال هذه نفسي قد خرجت من جسمي فردوها علي إن استطعتم ، فقالوا مالنا إلى هذا من سبيل ، فرفع صوته بالبكاء ثم قال ( لا تفرنكم الدنيا بعدي ) وقضى نحبه سنة ٦٨٢ عن ٧٨ سنة بدمشق حيث كان مقر خلفاء بني أمية ١٥١ قول غير منون لضافته إلى جملة كيف كان ذلك وليقضي تعليل لمخدوف يدل عليه ما قبله أي اما كان ذلك ليقضي الخ ومفعولا مقدرًا في علمه تعالى « ٢ » هو أبو الوليد الشاعر المشهور من أهل يثرب • كان طويل الباع في نوادر العرب كثير الأخبار عنهم • مستجاب الأساليب في شعره غير أنه كان جبانًا قابل الإقدام في الحرب فلذا لم يشهد مشهدًا من مواقع الجهاد التي جرت بعد اسلامه • ولما أكثر بعض العرب من هجو الاسلام والمسلمين أخذ هو يدافع عنهم فيهمجو من هجائهم • توفي سنة ٦٧٥ وعمره ١٢٠ سنة « ٣ » المبخل شديد البخل « ٤ » السبة المنة وقوله ذا اللونين أي المنافق والمنتقل من ينتقل من محل إلى آخر يريد به المنافق أيضا « ٥ » الناكل الضعيف والجمالة الكفالة والزمل الجبان « ٦ » الفر هو الشاب الذي لا تجربة له والمغفل من لا فطنة عنده

نسود منا كل أشيب بارع  
 نطيع مقال الشيخ فينا إذا سها  
 وما ذاك إلا أننا جعلت لنا  
 فنحن الذري من نسل آدم والعري  
 بنى العز بنيتا فاستقرت عماده  
 وانك لن تلقى من الناس معشرا  
 ففينا خطيب لا يطاق جوابه  
 وأصيد نهض إلى السيف صارم  
 لنا حرّة ماطورة يجبالها  
 بها النخل والآطام تجري خالها  
 إذا جثها ألفيت في حجراتها  
 جعلنا لها أسياقنا ورماحنا  
 نصرنا بها الإسلام في كل موطن  
 وانك لن تلقى لنا من معنفٍ

أغرّ تراء بالجلال مكلّلا  
 لأمر ولا نعيّا إذا الأمر أعضاء  
 أ كبرنا في أول الخير أولا  
 ترّبع فينا المجد حتى تأملا (١)  
 علينا فأعيا الناس أن يتحوّلا  
 أعزّ من الانصار عزّا وأفضلا  
 وذو إربة في شعره متخالا (٢)  
 إذا مادعا داع إلى الموت أرقلا (٣)  
 بنى المجد فيها بيته فتأصلا (٤)  
 جداول قد تعلو رقاقا وجرولا (٥)  
 عناجيج قبا والسوام المؤبلا (٦)  
 من الجيش والأعراب كهنا ومعقلا  
 وإنا لندجو فوق ذلك منزلا  
 ولا عابا إلا لثما مضلا

### قال الخطيب (٧)

#### يستعطف عمر بن الخطاب وقد وصى به إليه

«١» الذري جمع ذرورة وهي أعلى الشيء، والعري جمع عروة وأصل استعملها في أكرم المال وهي هنا على التشبيه وتأمل المجد تأصل وعظم «٢» الاربة الدهاء، والمتخل الذي ينتهي الشيء، ويصفه يقال تغل فلان الشيء أي صفاه واختاره وأخذ أفضله «٣» الأصيد الذي يرفع رأسه كبرا وأنفة وأرقل أسرع «٤» الحرّة الارض المنخفضة ذات الحجارة السود وماطورة أي محاطة «٥» الآطام جمع أطم وهو القصر والحصن وكل بناء مرتفع والرفاق ما رق من الارض والجرول ما غلظ وصلب منها، يريد ان ماء الجداول فيها تارة يتحدر فوق تربة رقيقة وأخرى فوق تربة غليظة «٦» حجرات جمع حجرة وهي حظيرة الدواب والعناجيج جمع عنجوج وهو الفرس الكريم وقبا جمع أقب وهو الفرس الضامر والموبل السمين «٧» الخطيب لقب لأبي مليكة جرول بن أوس العبسي وهو من فحول الشعراء ومنقدمهم وفصحاءهم يتصرف في جميع فنون الشعر من الهجاء والمدح والفخر والتشبيب ويجيد في ذلك كله . وكان جشما سوّولا ملحنا بخيلا دنيء النفس بذي اللسان فاسد الدين مغموز النسب قبيح المنظر رث الهيئة كثير الشر قليل الخير يتعیش بأعراض الناس . بلغ به الامر ذات يوم انه التمس انسانا يحوه فلم يجد وضاق عليه ذلك فانشأ يقول

أبت شفتاي اليوم إلا تكلمًا \* بشرّ فما أدري لمن أنا قائله

وجعل يدهور هذا البيت في أشدائه ولا يرى أحدا حتى اطلع في ركية فرأى وجهه فيها فدم نفسه بقوله

- وإسـلِ تَحْطِيطُ أَهْوَالِهِ  
طَوِيْتُ مَهَامَهُ مَخْشِيَةً  
فَأَنْتَ الْخَائِفَةُ رَبِّ الْعَالِي  
وَأَعْظَمُهُمْ فِي التَّدْيِ بَسْطَةً  
أَتْنِي لِسَانٌ فَيَكْذِبُ بِهَا  
بِأَنَّ الْوَشَاةَ بِصَدْرِ حَقْوِدٍ  
فِيحْتِكُ مَعْتَذِرًا رَاجِيًا  
فَلَا تَأْخِذْنِي بِقَوْلِ الْوَشَاةِ  
أَعُوذُ بِجَلْمِكَ إِنِّي أَمْرٌ  
فَإِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا صَادِقًا
- إلى عمرٍ أرْتجِيهِ ثَمَالًا (١)  
إِلَيْكَ لَتُكْذِبَ عَنِي الْمَقَالَا (٢)  
وَأَوْفَى قَرِيشٍ جَمِيعًا جِبَالًا (٣)  
وَأَنْضَاهُمْ حِينَ عُدُّوا فَعَالَا (٤)  
وَمَا كُنْتُ أَحْذَرُهَا أَنْ تَقَالَا (٥)  
أَتُوكَ فَقَالُوا لَدَيْكَ الْحَمَالَا (٦)  
لَعَنُوكَ أَرْهَبُ مِنْكَ التَّكَالَا (٧)  
فَانْهَمُّ يَبْتَغُونَ الْوَبَالَا (٨)  
أَطَالَ الْعُدُوَّ اهْتِضَامِي وَغَالِي (٩)  
فَسَيِّقَتِ إِلَيْكَ نِسَائِي رَجَالَا (١٠)

أرى لي وجهها شوه الله خلقه \* ففجع من وجهه وفجع حامله

هجا الزبرقان بن بدر بقصيدته التي يقول له فيها

دع المكارم لا ترحل لبغيتها \* واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

نغضب الزبرقان واستمدى عليه عمر بن الخطاب فرغمه اليه فاستنشده فأشده القصيدة فقال عمر لم أر فيها من ذم . فقال الزبرقان أو ما تبلغ همتي إلا أن أكون مثل النساء آكل واكتسي . فأحضر عمر حانئا وليدا وسألها أترين في كلامه من ذم . قالوا نعم وأي ذم نخبه . فلما طال به الامد استمطغه بآياته التي يقول فيها ( ونبيل تخطيت أهواله ) فلم يلتفت اليه عمر حتى قال قصيدته التي أولها ( ماذا تقول لأفراخ بني مرخ ) فمفا عنه . فلما حضرت الحطيثة الوفاء اجتمع اليه قومه فقالوا يا أبا مليكة أوص رحمك الله . فقال أبلغوا أهل ضابني . انه شاعر حيث يقول

لكل جديد لذة غير اني \* وجدت جديد الموت غير لذيذ

قلوا أوص بما ينفعك . قال ابلنو أهل امرئ القيس انه أشعر العرب حيث يقول

فيا لك من ليل كأن نجومه \* بكل منار القتل شدت يذبل

قالوا فما تقول في عبيدك وإمائك . قال هم عبيد قن ما عاقب الليل النهار . قالوا بهم توصي للفقراء . قال أوصيهم باللاح في السؤال فانه تجارة لن تبور . قالوا فماذا تقول في مالك . قال اللاتي من أولادي مشلا حظ الذكر . قالوا ليس هكذا قضى الله . قال لكن هكذا قضى الحطيثة . قالوا فما توصي لليتامى . قال كلوا أموالهم . قالوا فهل توصي بغير ذلك . قال نعم تحملوني على فرية حتى أموت فاتها مركب لم يمت عابها كريم قط . فملوه عابها وجملوا يذهبون به ويحيثون وهو يقول

لا أحد ألام من حطيه \* هجا بنيسه وهجا المريه

من أوامه مات على فريه

حتى فاضت نفسه وذلك في أواخر خلافة عمر وعمره إذ ذاك مئة سنة ونيف «١» الثمال الغياث يقال فلان ثمال قومه أي غياثهم وهي تمييز «٢» مهامه جمع مهمه وهي الصحراء الواسعة التي لا أنيس بها ومخشمة مخوفة «٣» الجبال اليهود أي أوتنهم عهودا «٤» البسطة الفضيلة «٥» اللسان الرسالة «٦» المحال الباطل من الكلام «٧» النكال العقاب يكون فيه عبرة للغير «٨» الوبال سوء الماغبة «٩» اهتضم فلان فلانا ظلمه واغتال حقه وغالى في الامر أفرط «١٠» رجالا أي ماشيات على أرجلهم وقوله فسيقت الي آخره جملة دعائية والفاء واقعة في جواب الشرط

## وله أيضا

## في الموضوع المذكور

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ (١) زُغِب الحواصل لا مائة ولا شجر  
 أَلَقَبْتَ كَسَابِهِمْ فِي قَعْرِ مِظْلَمَةٍ فَأَغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عَمْرُ  
 أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْتَقَى إِلَيْهِ زِمَامَ الْبَيْعَةِ الْبَشَرِ  
 لَمْ يُوَثِّرْ بِهَا إِذْ قَدَّمَوكَ لَهَا لَكِنْ لِأَنْفُسِهِمْ كَانَتْ بِكَ الْأَثَرِ  
 فَامْنِ عَلَى صَيِّبَةٍ بِالرَّمْلِ مَسْكَنُهُمْ بَيْنَ الْأَبْطَاحِ تَغْشَاهُمْ بِهَا الْقُرَرُ (٢)  
 أَهْلِي فَدَاؤُكَ كَمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مِنْ عَرَضِ دَاوِيَةَ يَعْمَى بِهَا الْخَبْرُ

قال أبو ذؤيب الهمذلي (٣)

برئى بغيه

أَمِنَ الْمَنُونُ وَرِيْبَهَا يُتَوَجَّعُ وَالدهم ليس بمعتبٍ من يُجَزَعُ (٤)  
 وَلَقَدْ أَرَى أَنْ الْبِكَاءَ سَفَاهَةٌ وَلَسَوْفَ يُوَلِّعُ بِالْبِكَاءِ مَنْ يُفْجَعُ  
 لَا بَدَّ مِنْ تَلَفٍ مَقِيمٍ فَانْتَظِرْ أَبْأَرْضِ قَوْمِكَ أَمْ بِأُخْرَى الْمَضْجَعِ (٥)  
 قَالَ الْخَلِيَّ يَلُومُنِي مَا لَأَحْوَا دَتِ ضِعْضَعْتُكَ وَمِثْلُ مَالِكٍ يَمْنَعُ (٦)  
 فَأَجِبْتَهُ وَالْقَلْبُ يَفْعَمُهُ الْأَسَى أَوْدَى بَنِيَّ مِنْ الْبِلَادِ فَوَدَّعُوا (٧)  
 فَالْمِئِنَ بَعْدَهُمْ كَأَنَّ جَفُونَهَا كَلَّتْ بِشَوْكٍ فَهِيَ عَوْرًا تَدْمَعُ  
 أَوْدَى بَنِيَّ فَأَعْقِبُونِي حَسْرَةً بَعْدَ الْفِرَاقِ وَعَبْرَةٌ لَا تَقْلَعُ (٨)  
 وَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ بَعِيثُ نَاصِبٍ وَإِخَالِ أَنِي لِأَحَقِّ مُسْتَبَعٍ (٩)

«١» ذو مرخ علم موضع بالجزاز كان فيه مسكن الخطيئة «٢» القرر يضم القاف جمع قرة بكسر هاء مع تشديد الراء هي الريح الشديدة البرد «٣» هو خويلد بن خالد الهذلي ولد سنة الهجرة والاسلام في مهده فكبر معه واشتغل بالشعر وبرز فيه حتى كان حسان بن ثابت يهجو بشعره ويفضله على جميع شعراء عصره . كان له عدة بنين ماتوا كلهم في عام واحد بالطاعون إلا طفلا فرناهم بتلك القسيمة . وفي سنة ٦٤٨ أرسل عثمان بن عفان عبد الله بن الزبير الى قبح بعض الجهات فخرج معه أبو ذؤيب ولما انتصر ابن الزبير بعثه في نفر بشيرا الى الخليفة فات في الطريق وعمره اذ ذلك ست وعشرون سنة «٤» المنون الموت وهي مؤنثة وريبها صروفها والمعتب المرضي «٥» مقيم دائم «٦» الخلي الخالي من الهم ومثل مالك يمنع أي يحميك الضعف والفقر «٧» يفعمه يملؤه «٨» أودى هلك وبني فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو المنقلبة ياء المدغمة في ياء المتكلم ونونه حذف للاضافة وياء المتكلم مضاف اليه وأعقبوا أسرعوا «٩» ناصب متعبد

سبقوا هواي وأعنقوا طواهرهم  
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم  
وإذا انبىة أنشبت أظفارها  
وتجملدي للشامتين أريهم  
فلئن بهم فجع الزمان وريبه  
والدمر لا يقوى على حدائنه  
كم من جميع الشمل ملتحمي القوى  
والنفس راغبة إذا رغبها

فتخرموا ولكل جنب مصرع (١)  
وإذا المنية أقبلت لا تدفع  
ألفيت كل تميمه لا تنفع (٢)  
اني لريب الدهر لا أتضعض (٣)  
اني بأهل مودتي لمفجع  
متربل خلق الدروع سميدع  
كانوا بخير قبلنا فتصدعوا (٤)  
وإذا ترد إلى قاييل تقنع

### مهر قصيدة لمنهم (٥)

#### يرئى اخاه مالك

أعيني جودي بالدموع لمالك  
فتى كان مقداما الى الروع ركضه  
فتى كان أحيا من فتاة حبيبة  
تقول ابنة العمري مالك بعد ما  
فقت لها طول الاساءة ساءني  
لقد كفن المنهال تحت رداه

إذا ذرت الريح الكثيب المرعبا (٦)  
سريعا إلى الداعي إذا هو أفرعا  
وأشجع من ليث إذا ما تمتعا (٧)  
أراك قديما ناعم الوجه أفرعا (٨)  
ولو عة حزن تترك الوجه أسفعا  
فتى غير مبطان العشيات أروعا (٩)

«١» تخرموا استؤصلوا، يريد بهذا البيت انه كان يهوى ان أولاده يعيشون وهم كانوا يهونون ان يموتوا فتركوا ما كان يهواه وأسرعوا الى ما كانوا يهونونه فاستأصلتهم المنية وهذا لا يدمنه لكل انسان «٢» أنشبت أعقلت وفي هذا البيت استعارة مكنية شهت المنية بأسد ثم حذف ورمى اليه بشيء من لوازمه والتميمة ما يعلق على الانسان مخافة المين «٣» تجلدي مفعول به لفعل محذوف تقديره أظهر «٤» جميع الشمل بجوعه وما نشي القوى أي متفقي القوة فتصدعوا تفرقوا «٥» تتم هذا هو أبو نهشل بن نويرة اليربوعي كان من أهل اليمن ومن فحول شعراء أهل عصره . وأخوه مالك المذكور معدود من فرسان الجاهلية وشجعانهم وذوي الرداة فيهم . أدرك الاسلام وأسلم ثم ارتد في خلافة أبي بكر مع من ارتد من العرب فإرسل أبو بكر خالد بن الوليد لقتالهم فوقع مالك في يده أسيرا فقتله فرأاه متم بقصائد غراء فلما قيل مثلها في رثاء أحد «٦» ذرت أنارت ونالك كثيب تل الرمل والمربع ذو أربعة الاضلاع على هيئة البيت أي اذا أنارت الريح تل الرمل المربع الذي قبر فيه أخي «٧» احيا أكثر احتشاما وحبية كثيرة الحياء «٨» العمري رجل من قبيلته والافرع التام الشعر «٩» فتى غير مبطان العشيات أي انه كان لا يأكل كل في آخر النهار انتظارا للضيوف والاروع هو الذي يعجب حسنه

ليبت<sup>١</sup> زين اللب<sup>٢</sup> منه سماحة<sup>٣</sup>  
 أغر<sup>٤</sup> كنصل السيف يهتز للندى  
 وما كان وقافا إذا الخيل أخرجت  
 ولا بكهام ناكل عن عدوه  
 إذا ضرّس الغزو الرجال وجدته  
 وكنا كندمان<sup>٥</sup> جديمة<sup>٦</sup> حقبة<sup>٧</sup>  
 فلما تفرقا كآني وما لكا  
 وحسبك أني قد جهدت فلم أجد  
 سقى الله أرضا حائها قبر<sup>٨</sup> ملك<sup>٩</sup>  
 خصب<sup>١٠</sup> إذا مارا ك<sup>١١</sup> الجذب أوضعا  
 إذا لم تجد عند امرئ سوء مطمعا<sup>١٢</sup>  
 ولا طالبا من خشية الموت مفزعا  
 إذا هو لاقى حاسرا أو مقنعا<sup>١٣</sup>  
 أبا الحرب صدقا في اللقاء سميذا  
 من الدهر حتى قيل لن يتصدعا<sup>١٤</sup>  
 لطول اجتماع لم نبث لبله<sup>١٥</sup> معا  
 بكفني<sup>١٦</sup> عنه للعنية مدفعا  
 رهام<sup>١٧</sup> الغواذي المدجنات فأمرعا<sup>١٨</sup>

### ولمعه قصيدة اخرى

#### يرثي بها اخاه المذكور

أرتق ونام الأخاباء وهاجني  
 وهيج لي حزنا تذكر<sup>١</sup> ملك  
 إذا عبرة كفكفتمها بعد عبرة  
 لذكري حبيب بعد هده ذكرته<sup>٢</sup>  
 إذا رقات عياني ذكرني به  
 كأن لم أجالسه ولم أمس لبله<sup>٣</sup>  
 فتي لم يعيش يوما بذلك ولم يزل  
 مع الليل هم<sup>٤</sup> في الفواد وجيع<sup>٥</sup>  
 فانمت<sup>٦</sup> إلّا والفواد مسرّوع<sup>٧</sup>  
 أبت واستهلت<sup>٨</sup> عبرة<sup>٩</sup> ودموع  
 وقدحان من تالي<sup>١٠</sup> النجوم طلوع<sup>١١</sup>  
 حمام تنادي في النصوص<sup>١٢</sup> وقوع<sup>١٣</sup>  
 أراه ولم نصبح ونحن جميع  
 حواليه ممن يجتديه ربوع<sup>١٤</sup> (١٥)

«١» أوضع أسرع «٢» مطمعا أي ما يطعم فيه من خير «٣» الكهام الضعيف والتاكل عن العدو الجبان التاكس عنه «٤» ندماي جديمة ، ندماي تثنية ندمان بمعنى منادم وجديمة هو جديمة الابرش بن فهم من ملوك الحيرة وندياه هما مالك وعقيل ابنا فارج نادماه أربعين سنة حتى فرق الموت بينهم ، يضرب بهما المثل في طول المنادمة والمصاحبة «٥» لطول اللام بمعنى بعد «٦» رهام جمع رهمة وهي المطرة الضعيفة الدائمة والغواذي جمع غادية وهي السحابة تنشأ غداه والمدجنات الكثيرة المطر «٧» مسرّوع مفزع «٨» تالي النجوم هو النجم الذي يشرق آخر الليل «٩» رقات أي جفت دموعها ووقوع أي نازل «١٠» يجتديه أي يطالب عطائه والربوع جمع ربع وهو جماعة الناس

له تبع قد يعلم الناس أنه  
وكان إذا ما الضيف حل بمالك  
لعمرى نعم المرء يطرف ضيفه  
بذول لما في رحله غير باخل  
على من يداني صيف وربيع (١)  
تضمنه جار أشم منيع (٢)  
إذا بان من ليل التمام عزيع (٣)  
إذا أضعف النوق النجائب جوع

### صحة قصيدة

لدبى محبها عمرو بهر هيبب الثقفى<sup>(١)</sup> فى الفخر

لا تسألى الناس عن مالي وكثرته  
قد يعلم الناس أنى من حماهم  
أعطي السنان غداة الحرب نحاته  
قد يكثر المال يوما بعد قلته  
وقد أجود وما مالي بذى فقع  
وسائلى التوم عن فعلى وعن خاقي  
إذا سما بصر الرعد يدة الفرق (٥)  
وعامل الرمح أرويه من العاق (٦)  
ويكتسي العود بعد العري بالورق  
وقد أكر وراء الحجر البرق (٧)

«١» يريد هو ابن يدنو منه كالضيف والربيع في كثرة الخيرات «٢» الأشم السيد الكريم والمنيع العزيز الذي لا يقدر عليه غيره والمزيع الجزء من الليل «٣» يطرف ضيفه يحفه بخير ما عنده «٤» أبو محجن على وزن منبر كان من بني تقيف أسلم حين أسلمت قبيلة واشتهر في الإسلام بالشجاعة وجودة الشمر واصالة الرأي حتى استشاره أبو بكر غير مرة في أمور صعبا، إلا أنه كان منهمكا في شرب الخمر لا يكاد يقطع عنها وجلده عمر بن الخطاب من أجلها مسارا ولم يكن ليتوب عنها. فنفاه إلى بعض الجهات وبعت معه من يوصله إليها فهرب منه والنجا إلى سعد ابن أبي وقاص بانقادسية ثم أخبر عمر بفراره هناك فأمر سعدا أن أحبسه ثبسه إلى أن كانت وقعة القادسية وبلغه وهو في حديده أن اخوانه يقتلون فارسا إلى اسراة سعد المذكور يقول لها إن فككت قيودي وحتنتي على فرس وأعطيني السلاح فلك علي أن أقاتل العدو أشد قتال وأضع بعدها رجلي في الحديد كما هي وأنشأ يقول

كفى حزنا أن تلتقي الخيل بالقنا  
حباست عن الحرب الزبون وقد بدت  
فلته عهد لا أخيس بهمهده  
فان مت كانت حاجة قد قضيتها  
هلم سلاحي لأبالك إنني  
أرى الحرب لاتزداد إلا تهاديا

فأعجبت بكلامه ولبت طلبه ثم خرج فلم يزل يبلو في الاعداء بلاء حسنا حتى انهزموا وانصر قومه نصرا مبينا فرجع حينئذ إلى قيده كما كان ولم يمكث أن أخبر سعد بجميع ما كان من أمره فسدا به وأطرى على شجاعته وحسن وفائه وقال والله لا جلدتك أبدا. فقال له أبو محجن إذا والله لا شربتها بعد الآن فانما كنت أشربها على أمل أن يطهرني الحد منها أما الآن فلا «٧» الفقع الكثرة والزيادة والمجهر المضيق عليه والبرق الذي يحملى بعينه من الدهش

وأترك القول ذا حبوب ومنقصة  
 إنا لقوم ترانا في محافنا  
 منا الخليب الذي إن هاج هائجه  
 وكلّ قرن عليه فضل سابعة  
 ما دارت الحرب إلاّ كان فارسنا  
 وأهجر الفعل يدني من الرهق (١)  
 مثل الكواكب تبدو زينة الافق  
 أراك آي العلي في المنطق الذلق  
 قد أفرغ القين منها محكم الخلق (٢)  
 قطبا لها يطحن الأعداء بالصعق (٣)

### مه قصيدة لعلي بهم الي طالب

تغيرت المودة والإخاء  
 وأسلمني الزمان إلى صديق  
 وربّ أخ وفيت له زمانا  
 أخلاء إذا استغيت عنهم  
 يديمون المودة ما رأوني  
 فإن عُيبت عن أحد قلاني  
 سهنني الذي أغناه عني  
 وكلّ مودة في الله تصفو  
 وكل جراحة فلها دواء  
 وليس بدائم أبدا نعمهم  
 إذا أنكرت شيئا من حميم  
 إذا ما رأس أهل البيت ولي

وقلّ الصديق وانتطح الرجاء  
 كثير الغدر ليس له رعاء  
 ولكن لم يدم منه الوفاء  
 وأعداء إذا نزل البلاء  
 ويبقى الحمد ما بقي اللقاء  
 وعاقبي بما فيه اكتفاء  
 فلا فقر يدوم ولا غناء  
 ولا يصفو مع النقي الإخاء  
 وخلق السوء ليس له دواء  
 كذلك البؤس ليس له بقاء  
 ففي نفسي التكرم والجهاء  
 بدا لهم من الناس الجفاء

### وله أيضا

أما والله إن الظلم شوم  
 إلى الديان يوم الدين نمضي  
 ستعلم في الحساب إذا التقينا  
 سنتقطع اللذاذة عن أناس  
 لأمر ما تصرمت الليالي  
 ولا زال المسيء هو الظلوم  
 وعند الله يجتمع الخصوم  
 غدا عند المليك من الموم  
 من الدنيا وتنقطع الهموم  
 لأمر ما تحركت النجوم

«١» الحوب الائم والرهم الحبث «٢» القرن الشجاع وسابغة درع طوبلة والقين الحداد «٣» قطب الرحي صمود صغير في وسطها تدور عليه والصعق الموت

سَل الأيَّامَ عن أُمِّ تَقَضَّتْ  
تروم الخلد في دار الدنيا  
تنام ولم تتم عنك المنايا  
لهوت عن الفناء وأنت تفتي  
تموت غدا وأنت قرير عين  
ستنيك المعالم والرسوم  
فكم قد رام غيرك ما تروم  
تنبه للنبهة يا نؤوم  
فما شيء من الدنيا يدوم  
من الشهوات في لخبج تعوم

### وله أيضا

تردًا رداء الصبر عند النوائب  
وكن حافظًا عهد الصديق وراعياً  
وكن صاحباً للحلم في كل مشهد  
وكن شاكرًا لله في كل نعمه  
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه  
وكن طالباً للرزق من باب حله  
وصن منك ماء الوجه لا تبذله  
وكن حافظًا حق الجليس إذا أتى  
وكن مكرماً للوالدين وناصرًا

تنل من جميل الصبر حسن العواقب  
تذق من كمال الحفظ صفو المشارب  
فما الحلم إلا خير خِذْنِ وصاحب  
يُثَبِّك على الشكران خير المواهب  
فكن طالباً في الناس أعلى المراتب  
يضاعف عليك الرزق من كل جانب  
وإياك واستجداء فضل الرغائب  
إليك يبر صادق منك واجب  
لجارك ذي التقوى وأهل الأقراب

### وله أيضا

باتوا على قلال الأجيال تحرسهم  
واستُنزلوا بعد عزٍّ عن عاقلهم  
ناداهم صارخٌ من بعد ما دُفِنوا  
أين الوجوه التي كانت منعمة  
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم  
قد طال ما أكلوا دهرًا وما شربوا  
وطالما كثروا الأموال وادّخروا  
وطالما سيّدوا دُورا لتحصينهم

غلب الرجال فلم تنفعهم القليلُ (١)  
وأودعوا حفرًا يا بئس ما نزلوا  
أين الأسرّة والتيجان والحلل  
من دونها تضرب الأستار والكلل  
تلك الوجوه عليها الدود يقتنل  
فأصبحوا بعد طول الأكل قداً كلوا  
نخافوها على الأعداء وارتجأوا  
فتارقوا الدور والأهلين وانتقأوا

أضحت مساكينهم وحشا معظلة  
 سل الخليفة إذ وافت منيته  
 أين الكنوز التي كانت مفايحها  
 أين العبيد الألى أرصدتهم عددا  
 أين الثوارس والغلمان ما صنعوا  
 أين الكفاة أما حاموا أما غضبوا  
 أين الرماة ألم تمنع بأسهمهم  
 هيات ما منعوا ضيا ولا دفعوا  
 ولا الرثى دفعها صاح لو بذلوا  
 ما ساعدوك ولا واساك أقربهم  
 ما بال قبرك لا يتابيه أحد  
 ما بال ذكرك منسبها ومطرحا  
 فكيف يرجو دوام العيش متصلا  
 وجسمه لأبنات الردى غرض

وساكنوها إلى الاجداث قدر حلوا  
 أين الجنود وأين الخيل والحوال (١)  
 تنوء بالعصبة المقوين لو حملوا  
 أين العديد وأين البيض والاسل  
 أين الصوارم والخطية (٢) الذئبل  
 أين الحماة التي يحمى بها الدول  
 لما أتتك سهام الموت تتضلل  
 عنك المنبة إذ وافي بها الأجل  
 ولا الرقى (٣) نفعت شيئا ولا الحيل  
 بل أسلموك لها يا بس ما فعلوا  
 ولا يطور به من بينهم رجل  
 وكلهم باقتسام المال قد شغلوا  
 من روحه بجمال الموت تتصل  
 وملكه زائل عنه ومقتل

### قال أبو الأسود الدؤلي (١)

#### في قتل علي بن أبي طالب

ألا أبلغ معاوية بن حرب  
 أفي شهر الصيام فجمعونا  
 قتلم خير من ركب المطايا  
 ومن لبس النعال ومن حذاها

فلا قرّت عيون الشاميينا (٥)  
 بخير الناس طرّاً أجمعينا (٦)  
 ورحلها ومن ركب السفينا  
 ومن قرأ المثاني والميينا (٧)

«١» خول الرجل حشمه «٢» الخطية جمع خطي وهو الرمح المنسوب إلى الخط موضع ببلاد اليمامة كانت تباع فيه الرماح الجيدة في قديم الزمن «٣» الرقى جمع رقية وهي تلاوة بعض أدعية للحفظ من الضرر «٤» أبو الأسود الدؤلي هو ظالم بن عمرو من قبيلة دئل ينتمي نسبه إلى كنانة . قضى جل عمره في البصرة واشتغل بالآداب من صغره واجتهد حتى أصبح من أكمل رجال عصره وصار من سادات التابعين وأعيانهم وهو أول من وضع النحو وشكل القرآن وله ديوان من الشعر الجيد فيه قصائد مستحسنة . كان من المقربين إلى الإمام علي وشهد معه وقائع صفين وأخذ عاملا على البصرة ولم يزل كذلك حتى قتل علي . توفي بالطاعون الجارف سنة ٦٩١ وعمره ٨٥ «٥» حرب هو جد معاوية بن أبي سفيان «٦» لأن الإمام علي قتل في ١٧ رمضان سنة ٦٦١ «٧» المثاني اختلف فيها المفسرون والذي يوافق قول الشاعر أنها سبع سور من القرآن لا القرآن كله والمبين القرآن

لقد علمت قريشٌ حيث كانت      بأنه خيرهم حبا ودينا  
 اذا استقبلت وجه أبي حين      رأيت البدر راق انماظرينا  
 يقيم الحق لا يرتاب فيه      ولم يخلق من المتجبرينا  
 كأن الناس إذ فقدوا عليا      نعام حار في بلد سينا  
 فلا تسمت معاوية بن حرب      فإن بقية الخلفاء فينا

## منجث

### اللغة في أيام الدولة الاموية

ثم لما آل الامر لبني أمية سنة ٦٦٢ وجهوا همتهم إلى مزاولة الجهاد ومدوا يد الفتوحات فوفروا العدد الحربية ودربوا الجنود على القتال فخدمتهم الاقدار وذلت أعناق الجبابرة لسيفهم البتار وعلت كلمتهم واتسع نطاق ملكهم وهابت شوكتهم سائر الأمم وخفقت لهم قلوب أعدائهم وارتعدت فرائص منوائهم . ولم يزالوا يمدون أيديهم إلى البلاد فيتنقصونها بلدة ببلدة إلى أن كادوا يهددون جميع المعمورة ويمتلكون الدنيا برا وبحرا فكان لهم من ذلك كله ومن بعض الثورات التي كانت تشب نيرانها في بلادهم الداخلية آونة بعد أخرى شاغلٌ يشغلهم عن طلب العلوم والمعارف حتى لم يكن للعلم وآدابها نصيب من الاعتناء الخاص بل تركت وشأنها لا تنمو إلا نموها الطبيعي تبعا لحضارة البلاد . على أنها لم تحرم مع هذا الإهمال ظروفها وأحوالها أتحت لها حفظها من الفساد . وذلك لأن الأهمية الكبرى ما فتئت تكون لسان العربي بانتقاء الولاية والقضاة والقواد والكتاب وغيرهم من الناصر العربي

فمرن هؤلاء على الكتابة بكثرة ما كانوا يزاولونه في تأدية وظائفهم فذهب الخطباء منهم مذاهب في أساليب التعبير ووجوه التأثير وتفنن الكتاب في اختيار المعاني وترصيف الالفاظ وسار على هذه الجادة شعراء نشأوا في تلك الأيام . فاستمرت بذلك اللغة على بلاغتها كما يتبين لك بالنسبة الآتية من كلامهم إن شاء الله

لما مات الامنف به قيس (١)

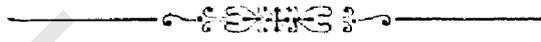
فامت امرأته على قبره نريمه بقولها

«١» الامنف بن قيس هو أبو بحر الغضالك التميمي كان سيد تميم نافذ الرأي فيهم اذا غضب غضبوا

لله درك من مُجَنِّ في جَنِّنٍ ومُدْرَج في كَفْنٍ ، نسأل الذي فجنا بموتك وابتلانا بفقدك  
أن يجعل سبيل الخير سيلاً ودليل الرشد دليلاً ويوسع لك في قبرك ويغفر لك في حشرتك،  
فاتقد كنت في المحافل شريفاً وعلى الأرامل عطوفاً وفي الحي مسوداً وإلى الملوك موقداً وكانوا  
لقواك مستمعين ولرأيك متبعين ، فانت أهل لحسن الذكر وجميل الشكر . أما والذي رفع  
عمالك لما قضى أجلك لند عشت حميداً مودوداً ومت سعيداً مفقوداً

لله درك يا أبا بحرٍ ماذا تغبّب منك في القبرِ  
فلكم يدٍ أسديتها وبدٍ كانت ترُدّ جرائرَ الدهرِ

ثم انصرفت فقال الناس ماسعنا كلام امرأة قطّ أبلغ ولا أصدق منه



### لاسرأة منه بنى زكوانه <sup>(١)</sup>

### نكوزباد ابهه أبيه الى معاوية <sup>(٢)</sup>

الحمد لله يا معاوية الذي خلق الانسان وخصه بالبيان وسخر له النعم وسهل له طرق الحكم  
وصرف الكلام بالغايات المختلفة على المعاني المتفرقة فأدته الآذان الى القلوب وأدته القلوب إلى  
الألسن وبه استدلّ على العلم وعبّد الرب وأبرم الأمر وعرفت الأقدار ، فكان من قضاء الله  
وقدره أن قرّبت زيادا وجعلت له بين آل أبي سفيان نسباً ، ثم وليته أحكام العباد فصار يسفك  
الدماء بغير حائها ويهتك الحرم بغير مراقبة لله ، خؤون غشوم كافر ظلوم يتخير من المعاصي أعظمها  
لا يرى لله وقارا ولا يظن ان له معادا وغدا يُعرض عمله في صحيفتك وتوقف على ما، اجترم  
بين يدي ربك فلا الماضين من أئمة المهدي اتبعت ولا طريقهم سلكت ، جعلت عبد ثقيف على

لغضبه أو قام قاموا اقياما، وهو من أجلة التابعين وأكابرهم . كان موصوفاً بالعلم وكثرة الحلم حتى ضرب  
بجلامه المثل . وفد على عمر وعثمان ومعاوية وشهد مع علي وقائع صفين . له حكم منشورة في الكتب تشهد  
بطول باعه في جميع العلوم وتمام معرفته بأطوار الناس . توفي بالكوفة سنة ٦٨٩ بعد ان كبر جدا  
« ١ » ذكوان بفتح الذال قبيلة من العرب « ٢ » زياد ابن أبيه كانت أمه جارية يقال لهاسمية نسب الى  
أبي سفيان بن حرب نسبة غير شرعية ونشأ بطلا صنيديا جباراً عنيفاً . تولى بعض المهمات أيام عمر وعثمان  
ثم استعمله الامام علي على فارس . ولما آلت الخلافة الى معاوية هم باستقلاله في مركزه وتحصن  
فيه غير ان معاوية تدارك الخطب فاستماله اليه وأقره على وظيفته بل أضاف إليها الحجاز . نزلت به الوفاة  
سنة ٦٧٥

رقاب الامة يدير أمورهم ويسلك دماءهم ، فإذا تقول لربك يا معاوية عند ما ينتهي أجلك  
وينقطع أملاك ويبقى عليك ورره ، اني امرأة من بني ذكوان وثب زياد المدعي (١) الى أبي سفيان  
على ضيعتي وتركتي عن أبي وأمي فقصبتها وحل بيني وبينها وقتل من نازعه فيها من رجالي •  
فأنتك مستصرخة فان أنصفت وعدلت وإلا وكلتك وزيادا إلى الله عز وجل فان تبطل  
مظالمتي عندك ولا عنده والتعفف لي منك الحكم العدل المنتقم الحيار

سُرِّبَتْ مَهْرَ عَبْدِ اللَّهِ بِهِ هَمَامُ السَّلُولِي (٢)

لِيزِيدَ بِهِ مَعَاوِيَةَ عِنْدَ مَا وَلى الخِلافةَ

يا أمير المؤمنين آجرك الله على الرزية وبارك لك في العظيمة وأعانك على الرعية ، فلقد  
رزئت عظيما وأعطيت جسيما فاشكر الله على ما أعطيت ، واصبر على ما رزيت ، فقد فقدت  
الخلافة ومُنحت الخِلافة ففارت جليلا ووهبت جزيلا • قضى معاوية نجه فغفر الله ذنبه  
وولّيت الرئاسة فأعطيت السياسة ، فأوردك الله موارد السرور ووفقك لصالح الأمور  
إصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقةٍ واشكر حباء الذي بالملك أضفا كما  
لارزء أصبح في الأقسام نعمه كما رزئت ولا عتني كعقبا كما  
أصبحت والي أمر الناس كلهم فأنت ترعاهم والله يرعا كما  
وفي معاوية الباقي لنا خاف إذا نُعتت ولا نسمع بمنعا كما (٣)

كتاب مهْر عبد الحميد لكتاب مروان به محمد (١)

الى بعض أهاليه وهو مزهزم مع سيره المذكور

أما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور • فمن ساعده الحظ فيها سكن

« ١ » المدعي الى كذا المفخر بنسبه اليه « ٢ » عبد الله بن همام السلولي كان من الشعراء المجيدين  
« ٣ » يشير بذلك الى ابن كان ليزيد يسمى معاوية « ٤ » عبد الحميد بن يحيى هو أبو غالب من  
أهل الشام ، تعاطى تعليم الصبية أولا وبرز في الانشاء وفي كل فن من العلم والادب وسهل سبيل  
البلاغة في الكتابة وأخذ عنه المترسلون والطريقة لهم ولا تاراه اقتفوا • اتخذوه مروان بن محمد آخر  
ملوك بني أمية كتابا سره يتبعه في جميع وقائمه ولم يفترقا حتى قتلا سنة ٧٥٠ • وما يؤثر عنه وبدل على  
عظيم مروان ان مروان قال له حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت أنا أن تصير مع عبدوي فإن إعجابهم  
بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تلجئهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفني في حياتي والا لم تعجز عن  
حفظ حرمي بعد وفاتي • فقال له عبد الحميد ان الذي أشرت به علي أنفع الامرين لك وأقبحهم ما لي فاعندي

البا ومن عضته بنابها ذمها ساخنا عليها وشكاها مستزيدا لها . وقد كانت أذانتنا أفلوبق (١)  
استحلبناتها ثم جمحت بنا نافرة ورعنتنا مولية فملح عنديها وخشن لينها فأبعدتنا عن الأوطان  
وفرقتنا عن الإخوان فالدار نازحة والطير بارحة . وقد كتبت والأيام تزيدنا منكم بعدا  
وإلحاحا وجدا فان تم البلية إلى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا وان يلحقنا ظفر جارح  
من أظفار أعدائنا نرجع إليكم بذلّ الإسار والذلّ شر جار . أسأل الله الذي يعزّ من  
يشاء ويذلّ من يشاء أن يهب لي ولكم ألفة جامعة في دار آمنة تجمع سلامة الأبدان والأديان  
فانه رب العالمين وأرحم الراحمين

(٢) كتاب منه عبر الملك به مروان

(٣) إلى الحجاج به يوسف الثقفي

(٤) في شأنه أنس به مالك

من عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف . أما بعد فانك عبد طمت بك الامور  
فطنيت وعلوت فيها حتى جزت قدرك وعدوت طورك ، وايم الله لا غمزنك كبعض غمزات  
الايوث للشعالب ولا ركضتك ركضة تدخل منها في وجارك . اذ كر مكاسب آبائك بالطائف

الا الصبر حتى يفتح الله عليك أو أقبل معك « ١ » أفلوبق جمع نيقة وهي اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين  
« ٢ » عبد الملك بن مروان هو أبو الوليد خامس خلفاء بني أمية بويج له بالخلافة سنة ٦٨٥ وكان من  
دهاة العالم وأحزمهم رأيا حتى قيل كل والد ولد ولدا الا مروان فانه ولد والدا . ويرشد إلى هذا  
تشعب الامة عليه أول أمره واستيلاء المعتصمين على أغلب بلادها ثم النظامها بعد ذلك في أحرز ملك  
وأنتم سلك . توفي سنة ٧٠٥ وعمره ٦٣ سنة وتبوأ عرش الخلافة بعده أربعة من أولاده لصلبه الوليد  
فسليمان ثم يزيد فهشام « ٣ » الحجاج بن يوسف الثقفي هو أبو محمد . ولد بالطائف من أهل الفقر والحول  
وحالما ترعرع اشتهر بالفصاحة والحباثة والدهاء والتخلص من صعاب الامور . ولما اضطرب أهل العراق ونحير فمين  
الجندامي ألحقه بشرطته . ثم اتخذ عبد الملك رئيسا على حرسه . ولما اضطرب أهل العراق ونحير فمين  
يرسله واليا عليهم ما كان منه الا أن اختار الحجاج نعمة لهم وعمره اذ ذلك ٢٠ سنة فأخذ ثوراتهم وسيرهم  
على الصراط غير انه كان ظالما أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب المنكرات التي لم يقدم عليها غيره حتى  
كرهته الرعية وتمنوا له المنية . وهو الذي بنى مدينة واسط وأمر كتابه بوضع نقط للحروف دفعا  
للاشتباه بيمضاه . ولما توفي عبد الملك وتولى الوليد أبقاه وأقره على ما بيده ولم يزل واليا على العراق  
وخراسان الى ان مات سنة ٧١٧ وعمره ٥٤ سنة . وعند ما انتشرت بشري انتهاء شره بكى الناس  
فرحا وسجدوا لله شكرا وكانت وفاته بواسط ودفن بها وعني قبره وأجري عليه الماء « ٤ » أنس بن مالك  
هو أبو حمزة الانصاري أحد الصحابة السابقين الى الاسلام . توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك وله من  
العمر نحو مئة سنة

إذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم ويحزرون الآبار في المناهل بأيديهم فقد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم والضراعة حتى تطاولت على أنس بن مالك وأظنك أردت أن تروزي بذلك لتعلم ما عندي من التغيير والتكبير فيه فإن سعته مضيت وإن عُصصت به رجعت . فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين أصك الرجلين ، تالله لو علمت أنك عاقبه أو انتهكت له عرضا فيما كتب به إليّ لبعثت إليك من يسحبك ظهرا لبطن حتى ينتهي بك إلى أنس بن مالك فيحكم هو فيك بما أحب ولا يخفى على أمير المؤمنين نبأك ولكل نبي مستقر وسوف تعلمون

### جواب المهاجر له

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإن اسمعيل بن المهاجر قدم عليّ بكتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وجعلني من كل مكروه فداء يذكر شيمتي وتوبخني بأبائي وتعييري بما كان قبل نزول النعمة بي من عند أمير المؤمنين أمم الله نعمته عليه وإحسانه إليّ ويذكرني استطلالة مني على أنس بن مالك جراءة على وليّ نعمتي ، وأمير المؤمنين أعز الله نصره أحق من أقال عثرتي وعفا عن ذنبي فأمهاني ولم يعجاني عند هفتوتي لما جيل عليه من كريم الطبائع وما قلده الله من أمور عباده فقد ملئت رعبا وفرقا من سطوته وخجأة نعمته وأمير المؤمنين أقاله الله العثرات وتجاوز له عن السيئات وضاعف له الحسنات وأعلى له الدرجات أولى من تمد وأبقي ولم يشمت فيّ عدوا مكبّا ولا حسودا مصبّا ولم يجرّ عني غصصا . والذي وصفه من صنيعته إليّ وتنبهه لي بما أسند إليّ من عمله وأوطأني من رقاب رعيتيه صادق فيه مجزي بالشكر عليه . وقد عاين اسمعيل بن المهاجر من توجهي إلى أنس بن مالك وخضوعي عند كتاب أمير المؤمنين وإفلاقه إياي ودخوله بالمصيبة عليّ ما سيعلمه أمير المؤمنين . فإن رأى طوقني الله بشكره وأعاني على تادية حقه وبلغني إلى ما فيه مرضاته ومد لي في أجله أن يأمر لي بكتاب من رضاه وسلامة صدره ويؤمنني به من سفك دمي ويردّ ما شرد من نومي ويطمئن به قلبي فقد ورد عليّ أمر جليل خطبه عظيم شأنه شديد عليّ كرهه أسأل الله الا يسخط أمير المؤمنين وأن يثبتني في حزمه وعزمه وسياسته وفراسته ومواليه وحشمه وعماله وصنائعه بما يحمد به حسن رأيه وبعد همته أنه ولي أمير المؤمنين والذاب عن سلطانه والصانع له في أمره والسلام

## كتاب مهر سليمان بهر عبد الملك<sup>(١)</sup> الى الحجاج بن محمد

بسم الله الرحمن الرحيم ، من سليمان بن عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف سلام على أهل  
الطاعة من عباد الله . أما بعد فانك امرؤ معتوه تائه عن رشدك مولع بما عليك لا لك منصرف  
عن منافعك تارك لحظك مستخف بحق الله وحق أوليائه ، لا ما سلف اليك من خير  
يعطفك ولا ما عليك من حقوق يخرسك ، خالغ عسارك لا تسكت عن قبيح ولا ترعوي  
عن اساءة ولا ترجو الله وقارا حتى دعيت فاحشا سبابا ، فتمس شريك بفترك . وأيم الله لئن  
أمكنني الله منك لأدوسنك دوسة تايين منها فرائصك ولأجعلنك شريدا في الجبال  
تلوذ بأطراف الشمال . فقيدا غرتك العافية وهتكت أعراض الرجال قدرت فبذخت  
وظفرت فعمديت ، رويدك يا ابن يوسف حتى تنظر كيف يكون مصيرك ، إن تك بي وبك  
مدة أتعاق بها وإن تكن الأخرى أرج أن تؤول إلى مذلة ذليلة وخزية طويلة ويجعل  
مالك شر مآل والسلام

### جواب الحجاج لـ

بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحجاج بن يوسف إلى سليمان بن عبد الملك سلام على من  
اتبع الهدى . أما بعد فانك كتبت إليّ تذكراني امرؤ معتوه تائه عن رشدي مولع بما  
عليّ لا لي منصرف عن مناصبي تارك لحظي مستخف بحق الله وحق ولي الحق وتذكر أنك  
ذو مصاولة ، لعمرى انك لصبي حديث السن تعذر بقله عقلك وحدائة سنك ويرقب فيك  
غيرك ، أفلا انتصرت بقضاء الله دون قضائك ورجاء الله دون رجائك وأمت غيظك وأمت  
عدوك وسترت عنه تدبيرك ولم تنبه فيلتبس من مكائدتك ما تلتبس من مكائده ولكنك لم  
تُحط بالأمر علما ولم ترزق فيها حزما فذكرت ما دل على خسافة عقلك وحقق أن الشيطان

« ١ » سليمان بن عبد الملك هو سابق خلفاء بني أمية نشأ بالبادية عند أخواله بني عبس ثم لحق بأبيه .  
وكان عاقلا حسن السيرة محبا للخير بعيدا عن الجور فصيحا دينا جميلا وسما . ولي الخلافة بعد أخيه الوليد  
بالمهد من أبيه سنة ٧١٧ وكانت ولايته يمنا وركه على الامية افتتحها بخير وختمها بخير فانه لما تولى الامر  
رد المظالم وأطلق سبيل المسجونين وأعتق سبعين ألفا من المماليك في يوم واحد . وقبل وفاته استخلف  
عمر بن عبد العزيز . توفي سنة ٧٢٠ وهو ابن ٤٢ سنة

أقبل بك وأدبر وحدثك أنك إن تكون كاملاً حتى تتعاطى ما يعيبك فترحلقت صخرتك لقوله واتسعت جوانبها لكذبه وكان الجفاء من خلائقك والحق من طبيعتك • تقول أنك لو ملكت لتكلمت بي فأرجو أن يكرمني الله بهوانك والآ يوفق ذلك لك إن كان الشر من رأيك ، على أنني أعرف أنك كتبت إليّ وعدو الله بين كتيفك فشر مملي على شر كاتب راض بالحسف لا يدلك على هدى ولا يردك إلا إلى ردى ، مال بك الأمل إلى الخلافة فانت شامخ الأتق طامح انظر آظان أنك حين تملكها لا تقطع عنك مدتها ، انها لنعمة الله أسأله أن يلمحك فيها الشكر وأن ترغب فيما يرغب فيه أبوك وأخوك فأكون لك مثلي لهما وإن نفخ الشيطان في منخرك فهو أمر أراد الله نزعك عنك وإخراجه إلى من هو أليق به منك ولعمري انها النصيحة فان تقبها فتلها قبل وإن تردها علي أقطعها دونك وأنا الحجاج

### خطبة للمهاجم

#### بمع واقعة دبر المهاجم (١)

يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم نخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والشغاف ثم أفضى إلى الأصمخ والأصمخ ثم ارتفع فعمش ثم باض وفرخ فحشاكم نفاقا وشقاقا ، إن أشعركم خلافا اتخذتموه دليلا تتبعونه وقائدا تطيعونه ومؤمرا تستشيرونه حتى صرتم تنظرون بعينه وتتكلمون بلسانه فكيف تنفعكم تجربة أو تعظيكم وقعة أو يحجزكم دين أو يفيدكم بيان ، أستم أصحابي بالأهواز (٢) حيث رمتهم المكر وسعيتم بالعدو واستجمعتم الكفر وظننتم ان الله يخذل خليفته وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تسلمون لو اذا وتهزمون سراعا ، ثم يوم الزاوية (٣) وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وتنازعتكم ونخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليتكم عنكم إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها التوازع إلى أعطانها لا يسأل المرء عن أخيه ولا يلوي الشيخ على نبيه حتى عضتكم السلاح وقصمتكم الرماح ، ثم يوم دبر الجاهم وما يوم دبر الجاهم بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الرأس عن مقياه وبذهل الخليل عن خاليه • يا أهل العراق أهل الكفرات بعد العجرات والغدرات بعد الحنرات والثورات بعد النزوات إن بُعثتم إلى نفوركم غلامم وختمم وإن أمتهم أرجفتم وإن خفتم نافقتم ، لا تذكرون نعمة ولا تشكرون نعمة ، يا أهل العراق هن استخفكم ناكث أو استغواكم غاو أو استفزكم عاص

« ١ » دبر الجاهم • وضع بقرب الكوفة من بلاد العراق ، كانت فيه ونعمة هائلة بين الجاهم وعبد الرحمن ابن الأشعث الكندي « ٢ » الأهواز سبع كور بين البصرة وفارس لكل كورة منهن اسم مخصوص وتجمعهن لفظة الأهواز « ٣ » الزاوية موضع حوالي البصرة اشتهر بوقعة كانت هناك بين الجاهم وابن الأشعث

أو استنصركم ظلم أو استعضدكم خالغ إلا تبعتموه وآوتتموه وعززتموه ونصرتهم ورخصتموه وأرضيتهم (١) يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظالم الذاب عن فراخه ينفي عنها المدر ويباعد عنها الحجر ويكسبها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب، يا أهل الشام أتم الجنة والرداء وأتم العدة والكفاة

### خطبة طارق في أصحابه

قبل فتوح أسبانيا (٢)

أيها الناس أين المفر والبحر وراءكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر (٣) اعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللثام وقد استقبلكم أهل البلاد بجيشهم وعددهم، أقواتهم موفورة وأتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ولا قوت إلا ما استخلصونه من أيديهم وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهب ربحكم واستعاضت القلوب من رعبها عنكم الجراءة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بما حوزت عدوكم الجيار فقد خرج من مدينته الحصينة وانتهز الفرصة فيه تمكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت واني لم أحذركم أمرا أنا عنده نجوة أو لم أبدأ فيه بنفسي، اعلموا انكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألد طويلا . وقد بلغكم ما حوت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة وقد اتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين ثقة منه بارتياحكم للطعان واستباحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ليكون حظهم منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه في هذه الجزيرة وليكون مغناها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولي أنجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين . واعلموا اني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاعة القوم رُدْرِيك (٤) فقاتله إن شاء الله تعالى

« ١ » هنا وجه الخطاب الآتي إلى أهل الشام الذين كانوا يحرسونه بالعراق « ٢ » طارق هو ابن زياد أحد عبيد الأمير موسى بن نصير عامل الوليد على أفريقيا . كان رجلا عاقلا مقداما بعيد المهمة يمشق المجد ويصبو إلى افتتاح البلاد . ولاء سيده المذكور قيادة جيش أرسله إلى فتح إسبانيا فاقلمع إليها سنة ٧١١ وأرسي منها بالقرب من جبل هناك فسمي باسمه وسار في البلاد وهزم جيوش الملك ردرريك وظفر به فبعث برأسه إلى مولاه ثم أنه حقد عليه فحبسه ولما بلغ ذلك الوليد أسر باطلاقه وتقليده جيشا آخر لكنه رأى الحقد ممتدا بينهما فمزلهما كليهما ونسي حسناتهما وتركهما في زوايا النسيان إلى أن مات « ٣ » جاء في التاريخ ان طارقا لما علم ان جيش ردرريك كثير العدد والعدد تام الانتظام هاله أمره وخاف انهزام جنوده لقلتهم فأمر برد السفن التي جاءوا بها إلى أفريقيا فبثها لهم من العود إلى بلادهم وحثا لهم على الإيقاد ثم ألقى عليهم خطبته هذه « ٤ » ردرريك هو آخر ملوك جوط الغرب ، خلع فيتينة ملك أسبانيا الشرعي سنة ٧١٠ وجلس هو مكانه فغضب من ذلك أنصار الملك الخلع وأثاروا على المعتصب الثورات بعد الثورات حتى بلغ الأمر بالكنة جوليان صاحب مدينة سوتة وأخو زوجة فيتينة إلى ان استمدى العرب على ردرريك فأجاب طلبه الأمير

فاحلوا معي فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره وإن تفقدوا بطالا عاقلا تسدون أموركم إليه وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزمي هذه واحلوا بأنفسكم عليه وكنقوا شره بقاءه وقومه بعده يُخذلون

### خطبة لابي حمزة<sup>(١)</sup> في أهل المدينة يوم محرم

أوصيكم بتقوى الله وطاعته والعمل بسنته وصلاة الرحم وتعظيم ما صغرت الجياورة من حق الله وتضغير ما عظموا من الباطل وإمانة ما أحيوا من الجور وإحياء ما أماتوا من الحقوق وأن يضاع الله ويعصى العباد في طاعته فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . ندعو إلى سنة الله والقسم بالسوية والعدل في الرعية . إنا والله ما خرجنا بطرا ولا لهوا ولا لدولة نخوض فيها ولا لثأر قد نيل منا ولكن لما رأينا أن الأرض قد أظلمت ومعالم الجور قد ظهرت وكثر الأدعاء في الدين وعمل بالهوى وعظمت الأحكام وقُتِل القائم بالقسط وعُتِف القائل بالحق سمعنا مناديا ينادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم فأجبنا داعي الله وأقبلنا من قبائل شتى قليبين مستضعفين في الأرض فأنا والله وأيدنا بنصره فأصبحنا بنعمته إخوانا وعلى الدين أعوانا . يا أهل المدينة أولكم خير أول وآخركم شر آخر انكم أطعتم قرآنكم وفقهاءكم فاختانونكم بتأويل الجاهلين واتحال المبطلين حتى أصبحتم عن الحق ناكين أمواتا غير أحياء وما تشعرون . يا أهل المدينة يا أسناء المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ما أصح أصلكم وأسقم فرعكم ، كان آباؤكم أهل اليقين وأهل المعرفة بالدين والبصائر الناقدة والقلوب الواعية وأتم أهل الضلالة والجهالة ، استعبدتكم الدنيا فأذلتكم والاماني فأضاتكم ، فتح الله لكم باب الدين فأفسدتموه وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه ، سراع إلى الفتنة بطاء عن السنة عُمي عن البرهان صم عن العرفان عيبوا الطمع حلفاء الجزع ، نعم ماورثتكم آباؤكم لو حفظتموه وبئس ما تورثون أبناءكم إن تمسكوا به ، نصر الله آباءكم على الحق وخذلكم على الباطل ، كان عدد آباءكم قليلا طيبا وعددكم كثير خبيث ، اتبعتم الهوى فأرداكم والاهو فأفسهاكم ، تزجركم مواعظ الدين فلا تزددجرون وتعبركم فلا تعتبرون ، سألناكم عن ولايتكم هؤلاء (٢) فقلتم

موسى وعرف منه عورات البلاد وفروج ثمورها وثمارج شطوطها ثم جهز طارقا وكان من الاسم ما تقدم « ١ » أبو حمزة هو المختار بن عوف أحد بني سلمة الأزدي من أهل البصرة . كان اسما بايغا وشيطانا سريدا مطاعا في قومه يخطب في الناس ويجهم بتأنيق كلامه ويحزبهم كما يشاء . خلع ربة الطاعة لبني أمية سنة ٧٤٦ وصار يحشد الجنود ويدعو الى مبايعة عبد الله بن يحيى الشهير بطالب الحق ، قويت شوكرته حتى استولى على مكة والمدينة ونخوف منه مروان بن محمد فأرسل اليه ابن عطية السعدي لقاتلته بجيش جرار فسار اليه وحاربه الى أن ظفر به سنة ٧٤٨ فصاحبه « ٢ » الاشارة لولادة بني أمية

والله ما فيهم عادل أخذوا المال من غير حله فوضعوه في غير محله وجاروا في الحكم فحكموا  
بغير ما أنزل الله واستأثروا بفتننا فجعلوه دولة بين الاغنياء منهم ، فقلنا لكم تعالوا إلى هؤلاء  
الذين ظلمونا وظلموكم وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله . فقلنا لا تقوى على ذلك  
ووددنا أنّا أصبنا من يكفيننا ، فقلنا نحن نكتفيكم ثم الله راع علينا وعليكم إن ظفرتنا لنعطين  
كل ذي حق حقه فجننا فقلنا الرماح بصدورنا والسيوف بوجوهنا فعرضتم لنا دونهم فقاتلتمونا  
فوالله لو قاتم لا نعرف الذي نقول ولا نعلمه لكان أعذر مع أنه لا عذر للجاهل ولكن أبي  
الله إلا أن ينطق بالحق على ألسنتكم ويأخذكم به في الآخرة

### فطمة لسحبانه وإبل<sup>(١)</sup>

أما بعد فإن الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر نخذوا من ممركم لمقرم ولا تهتكوا أستاركم  
عند من لا تخفى عليه أسراركم وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ففيها  
حيثم ولغيرها خلقتم ، اليوم عمل بلا حساب وغدا حساب بلا عمل . ان الرجل إذا هلك  
قال الناس ماترك وقالت الملائكة ما قدم فقدموا بعضا يكون لكم قرضا ولا تركوا كلاً  
يكون (٢) عليكم كلاً

### كتاب صه عروة به الزبير<sup>(٢)</sup>

الى الوايز به عبد الملك يشفع لرجل صه بنى فميس يقال له كعب  
بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فلو لم يكن لكعب من قديم الحرمة ما يغفر له عظيم  
جريرته لوجب ألا تحرمه التقية بظال عفوك الذي تأمله القلوب ولا تتعلق به الذنوب . وقد  
استشفع بي اليك فوثقت له منك بعفو لا يخالطه سخط فحقق أمه في صدق نفسي فيك نجد  
الشكر وأفيا بالنعمة والسلام

« ١ » هو ابن زفر من أهل باهلة . كان من فطاحل خطبائها وشعرائها . دخل على معاوية في بعض  
الايام وعنده خطباء القبائل فلما رأوه خرجوا لعلهم بقصورهم عنه فقال  
لقد علم الحمي اليمانيون أنني إذا قلت أما بعد أي خطيبها  
« ٢ » جملة يكون الاولى صفة لبعضها والثانية صفة لسكلا وليستا جوابين للطالب كما قد يتبادر الى الذهن  
حتى تجزما « ٣ » عروة بن الزبير أمه أسماء بنت أبي بكر وهو شقيق عبد الله بن الزبير . كان طالما صالحا كثير  
الورد مشهورا بالصبر على البلاء . أصابته أكلة في إحدى رجليه وقطعها له جزار وهو يهمل ويكبر ولم  
يبد شكاية . توفي في قرية له بقرب المدينة سنة ٧١٥ وعمره ٧١ سنة

### منه قصيدة للفرزدق<sup>(١)</sup>

#### في علي بن أبي طالب العباسي<sup>(٢)</sup>

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته  
 هذا ابن خير عباد الله كلهم  
 اذا رأته قريشٌ قال قائلها  
 يُسمى إلى ذروة العز التي قُصرت  
 يُغضي حياءً ويُغضي من مهابته  
 يخاب ثوب الدجى عن نور غرته  
 سهل العريكة لا تُخشى بوادره  
 عمّ البرية بالاحسان فانقشعت  
 ما قال لا قط إلا في تشهده  
 من معشر جهنم دين وبنفسهم  
 إن عدّ أهل التي كانوا أئمتهم  
 لا يستطيع جواد بُعد غايتهم  
 هم الغيوث إذا ما أزيمة أزمّت

والبيت يعرفه والحليل والحرم<sup>(٣)</sup>  
 هذا التي التي الطاهر العلم<sup>(٤)</sup>  
 الى مكارم هذا يتنهي الكرم  
 عن نيلها عرب الإسلام والعجم  
 فما يُكلم إلا حين يتسم  
 كالشمس يخاب عن أقطارها القم  
 يزينه أنان حسن الخلق والشيم  
 عنها الغياهب والإملاق والعدم  
 لولا التشهد كانت لاؤه نعم<sup>(٥)</sup>  
 كفر وقربهم من منجى ومعتصم  
 أوقيل من خير أهل الأرض قيلهم  
 ولا يدانهم قوم وإن كرموا  
 والأسد أسد الشرى والبأس محتدم<sup>(٦)</sup>

«١» هو أبو فراس هام بن غالب التميمي . ولد بالكوفة ونشأ في حجر العز والرفاهية ونسب في الشعر وامتاز عن غيره بجزالة اللفظ ونخامته ورفعة التعبير وسهولته غير أنه كان شرس الاخلاق منقادا للسفليات توابه الناس لحبائه هجومه وبذاءة لسانه . له القصائد الغراء في أغلب المواضع المتداوله في زمانه . توفي بالبصرة سنة ٧٣٢ وعمره ٧٢ سنة «٢» هو أبو الحسن بن الحسين وأمه سلافه بنت يزيد جرد آخر ملوك فارس . كان كثير البر بأمة محبا للخير مع جميع الناس . قيل انه لما توفي وجدوه يقوت مئة بيت من محتاجي أهل المدينة سرا . مات سنة ٧١٣ وعمره ٥٦ سنة «٣» البطحاء في الاسل مسيل واسع فيه دقائق الحصى والمراد هنا الارض المنبطحه التي فيها مكة ، والوطأة موضع التدم والبيت الكعبة والحرم مواضع معروفة محددة تلي مكة حرم فيها بعض الامور كالصيد وقطع الشجر ، والحل عبارة عما وراء تلك المراضع أي سائر الدنيا والبيت كناية عن فضل الممدوح وشهرته «٤» العلم السيد «٥» يريد أنه لا يتفوه بكلمة لا إلا في قوله ( أشهد أن لا إله إلا الله ) ولولا ذلك لا يُبدل قوله لا بقوله نعم ولاء بالمد لمة في لاوهي اسم كان ونم حبرها مبني على الضم لانه قصد لفظه «٦» الغيوث جمع غيث وهو المطر والازمة التخطط وأزمت اشتدت والشرى مأسدة في نواحي الفرات نسب اليها الأسود الكثيرة الفتك . والبأس الشدة في الحرب ، والمحتدم الشديد ، والواو بعد الشرى للتحال

يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحْتَلَّ الذَّمُّ سَاحَتَهُمْ      خِيمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالْبَدْيِ هُضْمٌ (١)  
 مَنْ يَعْرِفِ اللَّهَ يَعْرِفِ أَوْلِيَّةَ ذَا      فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ  
 مَقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذَكَرَهُمْ      فِي كُلِّ بَدْيٍ وَمَحْتَمُومٌ بِهِ الْكَلِمُ

### وله في الفخر

لنا العزة التعماء والعدد الذي      عليه إذا عُدَّ الحصى يَخْتَفُّ (٢)  
 ومنا الذي لا تنطق الناس عنده      وَلَكِنْ هُوَ الْمُسْتَأْذِنُ الْمُتَصَرِّفُ  
 تراهم قعوداً حوله وغيونهم      مَكْسَرَةٌ أَبْصَارُهَا مَا تَطَّرَفُ (٣)  
 وبنبان بيت الله نحن ولاته      وَيَبْتِ بِأَعْلَى إِيْلِيَاءٍ مُشَرَّفُ (٤)  
 ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا      وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا  
 ولا عز إلا عزنا قاهر له      وَيَسْأَلُنَا التَّصْفَ الذَّلِيلُ فَتَنْصَفُ  
 وانك إن تسعى لتدرك دارماً      لِأَنْتِ الْمُعْنَى يَا جَرِيرَ الْمَكَلَّفِ (٥)  
 عطفك عليك الحرب إنني إذا ونى      أَخُو الْحَرْبِ كَرَارٌ عَلَى الْقَرْنِ مَعْطِفُ (٦)  
 وجدت الثرى فينا إذا وجد الثرى      وَمَنْ هُوَ يَرْجُو فَضْلَهُ الْمُتَضَيِّفُ (٧)  
 وتمنع مولانا وإن كان نائياً      نَبَا دَارِهِ مِمَّا يَخَافُ وَيَأْتِفُ (٧)  
 ترى جارنا فينا بخير وإن جنى      وَلَا هُوَ مِمَّا يُنْظَفُ الْجَارِيْنَظَفُ (٩)  
 وجدنا أعز الناس أكثرهم حصى      وَأَكْرَمَهُمْ مِنَ الْمَكْرَمِ يُعْرِفُ  
 وقد علم الاقوام ان قدورنا

« ١ » الخيم الحجية، والضم جمع هضوم يقال يدهضوم أي تجوز بما لديها، يريد ان طبعهم الكريم وسخاءهم في العطاء يقياهم تعرض الناس لدمهم « ٢ » التعماء الثابتة وعلى من عليه بمعنى عن والحصى هنا وفي البيت التاسع معناه العدد الكثير ويتخلف يتاخر، يريد لنا العزة الثابتة والعدد الكثير الذي يتاخر عنه الحصى اذا عد بجانبه « ٣ » مكسرة مطرقة وتطرف أصله تتطرف أي تحرك حذفت إحدى تاءيه للتخفيف « ٤ » يريد بيت الله الكعبة وبيت بأعلى إيلياء مقام ابراهيم الخليل وإيلياء من أسماء مدينة القدس الشريف « ٥ » يريد بدارما قومه لانه كان من بني دارم وهم أشرف تميم، والمعنى هو المكلف ما يشق عليه والمكلف بدمه تفسير له « ٦ » يريد اني شهرت عليك الحرب يا جرير لتعلم اني شجاع مقبل على العدو على حين يكون غيري متوانياً عنه « ٧ » الثرى الخير والمتضيف الضيف ومن معطوف على الثرى الاولى، يريد ان الخير موجود فينا وكذا الذي تستضيفه الضيفان لكرمه « ٨ » تمنع نحوي والمولى النزول والتابع ونائياً بعيداً ونبا بمد ومما يتعلق بنعم « ٩ » جنى ارتسكب ذنباً وينظف يقذف بهيوب ومما يتعلق ينظف الاخيرة الخبير بها عن هو وينظف الاولى صلة الموصول والعاثد محذوف تقديره بها « ١٠ » جوامع مفردة جامعة وهي المظيمة من القدور والزفر من الرياح الشديدة الهبوب، يريد قد علم الاقوام ان عندنا قدورا عظاما نطبخ فيها للضيوف في أيام الشدة والحاجة وهي أيام البرد وهبوب الرياح

ترى حولن المعتفين كأنهم على صنم في الجاهلية عكف (١)  
وما قام منا قائم في تدنينا فينطق إلا بالتي هي أعرف (٢)

### قال جرير (٣)

بمرح عمر به عبر العزيز (٤)

إنا لترجو اذا ما ألغيث أخلقنا من الخليفة ما نرجو من المطر (٥)  
نال الخلافة إذ كانت له قدرا كما أتى ربّه موسى على قدر (٦)  
أذكر الجهد والبلوى التي نزلت أم تكتفي بالذي بلغت من خبري  
ما زلتُ بعدك في دار تنغصني قد طال بعدك إصعادي ومُنحدري  
لا ينفع الحاضر المجهودَ بادينا ولا يجود لنا بادي على حضر (٧)  
كم بالمواسم من شعناء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والبصر (٨)  
يدعوك دعوة ملهوف كأن به مسامن الجن أورزءا من البشر (٩)  
مَن بعدك تكفي فقدَ والده كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر (١٠)

«١» الضمير في حولن للقدور والمعتفين هم طالبو المعروف والعكف جمع عاكف بمعنى ملازم «٢» الندي المجلس فيه أهله، وينطق إلا بالتي هي أعرف أي يشكك بأظهار الأمور التي حظيت بالقبول والاستحسان عند العموم «٣» هو أبو حرزة بن عطية التميمي المشهور، قد اعترف له بطول الباع في فنون الشعر وسرعة الحاطر. مدح خلفاء عصره وأسراءه بقصائد تشهد له بالفضل. وكان بينه وبين معاصريه من الشعراء مهاجات شديدة اللهجة استغرقت مدة طويلة من حياته فنجاهم وهجوه وألقاهم وألقوه. توفي باليمامة سنة ٧٢٢ وعمره ٦٨ سنة «٤» هو أبو حفص الأشج سابع خلفاء بني أمية. ولد بالمدينة وتادب فيها ونسغ في العلوم حتى قيل إن علماء زمانه كانوا كئلاميد له. استوزره ابن عمه سليمان بن عبد الملك وأطلق يده في أمور الخلافة فقام بأعبائها خير قيام. ثم لما مات سليمان المذكور خلفه عمر بهمد منه فخذوا حذو الخلفاء الراشدين وأبطل سب الامام علي وآل بيته من على المنابر وأبدله بالابنة الانية إن الله يامر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون. كان إليه المنتهى في الدين والتألف ونشر العدل ورد المظالم. مات مسموما سنة ٧٢٠ وعمره ٤٥ سنة «٥» أخلفنا النيث أي المطر أطمعنا في النزول ولم ينزل «٦» إذ تملأية أي لانها كانت مقسدة له من الله كما كان إتيان موسى الى طور سيناء لما جأه ربه. مقدر «٧» الحاضر ساكن المدن والبادي التقيم بالبادية، يريد أن الموسرين من أهل البدو لا يجودون على المسيرين من ساكني الحضر والعكس «٨» كم خبر يفتي محل. رفع مبتدأ بالمواسم يتلقى بها ومن شعناء تميزها مجرور بمن ويدعوك في البيت بعده خبر عنها «٩» مسا جنونا ورزءا مصيبة «١٠» ممن متعلق بحذوف حال من فاعل يدعوك في البيت قبله

قال الاضطل<sup>(١)</sup>

## بمدح الحجاج

أحبا الأله لنا الإمام فانه نورنا أضاء لنا البلاد وقد دجت  
 الفاخرون بكل فعل صالح فعليك بالحجاج لا تعدل به  
 ولقد علمت وأنت أعلمنا به وأخو الصفاء فما تزال غنيمة  
 وترى الرواسم يختلفن وفوقها والحيل يُتعبها على عيالها  
 ولقد علمت بلاءه في معشر والقوم زأرهم وأعلى صوتهم  
 فأباد جمعهم حميدا وانثى خير البرية للذنوب غفور  
 ظلم تكاد بها الهداة نجور (٢) وأخو المكارم بالفعال نجور (٣)  
 أحدا إذا نزلت عليك أمور (٤) ان ابن يوسف حازم منصور  
 منه يجيء بها اليك بشير (٥) صنع العراق سبائك وحرير  
 لله منتصب الفؤاد شكور (٦) يغلي خفي صدورهم ويفور (٧)  
 تحت السيوف غماغم وهرير (٨) وله لوقعة آخرين زئير (٩)

«١» هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي، كان رقيق الشعر صحيحه . أجمع العلماء على أنه هو والفرزدق وجرير من مجيدي شعراء الاسلام . دخل يوما على عبد الملك فمدحه بتصديقه التي مطلعها (خف القطين فراحوا منك أو بكروا) فأعجب بها عبد الملك وقال له ويحك يا أخطل أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب . فقال أكتفي بقول أمير المؤمنين فخلع عليه وأمر بجفنة كانت بين يديه فأتت له دراهم ثم أرسل معه غلاما فخرج به وهو يقول هذا شاعر أمير المؤمنين هذا أشعر العرب . مات سنة ٧١٢ «٢» تجور تميل عن القصد «٣» الفاخرون صفة للهداة أو خبر لمبتدا محذوف تقديره هم «٤» في هذا البيت وما بعده تجريد جرد من نفسه شخصا وخطابه «٥» أخو معطوف على حازم في البيت قبله أو خبر لمبتدا محذوف «٦» العلات الحالات المختلفة والله متماق بشكور ومنتصب الفؤاد خبر لمبتدا محذوف تقديره هو وشكور خبر ثان له «٧» يشير بذلك إلى إيقاعه بالازارقة وهم فرقة من الخوارج أصحاب نافع بن الأزرق خرجوا على عبد الملك بن مروان «٨» الغماغم جمع غمغمة وهي صوت الإبطال عند القتال، وهرير صوت الكلب بغير نباح «٩» الاوفق إعراب حميدا حالا من فاعل انثى مقدم عليه

## مبحث

### اللفظ في أيام الدولة العباسية

ثم لما انطوى بساط الدولة الاموية وآلت الخلافة إلى بني العباس سنة ٧٥٠ وانقضت عن سماء السياسة سحب الثورات والمخاوف وابت كل من الراعي والرعية هادئاً مطمئناً تحت جناح الأمن والسكينة مضرواً الأمصار وشيدوا القصور وأحكموا القلاع وأسسوا الثغور حتى أصبحوا في معاقلمهم أمنع من عقاب الجوا وأعز من جهة الأسد يجنون شهد الراحة آمنين ويتمتعون بغنائم الفتوحات السالفة بعداء عن مزاحمة الطامعين في بلادهم محضين وراء خنادق الهية التي حفرها لهم أبطالهم في قلوب أعدائهم . ولما كانوا على تلك الحال من نعيم الجسم وفراغ البال أتت بهم إلى المعارف والفنون وأرادوا ممارستها فحولوا جياذ عزيمهم إلى محصيلها لعلمهم القطري أنها الأساس المتين التي تبنى عليه الممالك العظام والدروع السابغة التي لا يعمل فيها حد الحسام ، بها تعز البلاد وبفتقدها يستولى سلطان الذل على العباد فلا خوف على الدولة ما دامت تستظل بأشجارها وتتذى بأثمارها وإنما الخوف كل الخوف من إهمال حرائمها وذهاب نضارتها، تموت باهمالها القلوب كما يموت النبات إذا لم ينعشه مطر السماء ، فلذا لم يوفر وأنبل في جعبة طاقتهم إلا استعمالوه ليظفروا بها ويقضوا غرضهم منها (١) . وحيث أنه لم يكن معهم حينئذ من أئمة في العلوم الكونية ولا كتب يستنبون بها على اكتسابها عدلوا عما جرى عليه أسلافهم (٢) من حرق الكتب والمكاتب في البلاد التي كانوا يفتحونها وجمعوا من تاليفات الأجنب جميع ما طالت أيديهم إليه واستحضروا العلماء من كل جهة وأكرمهم ووسعوا مداخل رزقهم وأكثروا من صالاتهم . فتعلموا منهم علوم بلادهم واستخدموهم في ترجمتها إلى لغتهم فانتشرت روح المعارف بين الأمة وجد في تحصيلها الخاصة والعامة وضجوا أنفسهم في سبيل

« ١ » أول من انتبه إلى احياء العلوم والمحافظة على آثارها هو هرون الرشيد خامس الخلفاء العباسيين أفقد أوسى جنوده بالمحافظة على كل ما أمثرت يديهم عليه من الكتب القديمة حتى أنهم لما افتتحوها مدينة أنقرة وجدوا في خزائنها كثيرا من الكتب فأخضروها له بيغداد مسرورين فامر يوحنا بن ماضيويه طبيبيه أن يترجمها إلى اللغة العربية . ومع هذا لم يبلغ ذلك الخليفة العظيم ولا غيره درجة ابنة المأمون في بذل النفس والنفيس في اكتساب العلوم ونشرها ورفع منارها وإكرام رجالها فقد فاقهم جيما « ٢ » كانت العرب في بدء أمرهم أمة وحشية فسكانوا يجربون فوائد العلوم والآثار القديمة فعمالوا في إبادتها في أوائل فتوحاتهم لعدم معرفتهم منافعها ولكنهم لما تهذب أخلاقهم سواء كان بمباشرة الامم الراقية أو غير ذلك استبدلوا تلك العوائد الذميمة بأخرى حميدة كما هي سنة الله في كل شعب مد يده إلى المدنية حديثا

المجد والمعالي غير مبالين بشق النفس وغياء الدرس حتى لو تعاق علم ما بأ كفاف السماء لناؤه  
بهمتهم السماء ، فما عم أن قام منهم جهابذة أعلام فأدجنت بينهم سماء العلوم وهطل مدرارها وجرت  
أنهارها وزخرت بحارها وتفنن القوم في إبداع المؤلفات حتى جاء ذلك خدمة نفيسة للعالم أجمع  
على حين ان الفرس واليونان والهنود وغيرهم من بني الانسان كانت شمس علومهم قد آذنت  
بالغروب وأهل أوروبا أصبحوا غارقين في الحروب منغمسين في تيار الشهوات لاهين عن العلوم  
ساهين عن إيقاد نبراسها حتى انهم لما أفاقوا من غفلتهم وهموا بالخروج من ظلمات الجهل  
وطلبوا النور الذي كان لأسلافهم ونبذوه هم وراء ظهورهم كادوا لا يجدون له من أثر في  
غير الأديرة فالتجأوا إلى العرب وتعلموا في مدارسهم (١) واستضاءوا بنور أساتذتهم وترجموا  
كتب علومهم إلى لغاتهم فكان للشرقي بذلك الفخر على الغربي ما بقي النيران

ولا يظن القارئ ان رجال ذلك العصر الراقي قصروا همهم على علوم دون أخرى  
فانهم اطلقوا عنان جهدهم في جميع معارف معاصريهم من الفلسفة وعلم الفلك والطب  
والطبيعات والرياضيات وغيرها ، ولكنهم وجهوا الحظ الأكبر من عنايتهم إلى اللغة لما يعلمونه  
فيها من شدة التأثير في بقية العلوم والقوة الفعالة على جمع الكلمة وربط قلوب الأمة ومنعها من  
الشتات ، فألف فحول علماءهم جميع المؤلفات التي من شأنها حفظ اللغات وتقديمها  
من قواميس جمعوا فيها المفردات وكتب نحو ضبطوا فيها أحوال المفردات والمركبات وبلاغة  
تعرف بها مطابقة الكلام لمقتضيات الاحوال وعروض توزن به الأشعار إلى غير ذلك من  
لطائف الآثار حتى كأنهم لم يتركوا من هذا الوجه منزعا في قوس التأليف فضلا عن كونهم  
وسعوا دائرة مفرداتها بما عرّبوه عن غيرهم وتجدد بينهم من اصطلاحات العلوم والصنائع  
وعوائد أهل الحضارة وكالباثهم . وشاهدي على جميع ما ذكرته سأورده لك من مختارات  
كلامهم نثرا ونظما والله ولي التوفيق

«١» ظهرت المدارس عند العرب أيام هرون الرشيد فانه أمر باقامة مدرسة بجانب كل مسجد ولكن  
طالباً قرأ الطلبة العلوم في خارج المدارس لانها لم تنتظم دفعة واحدة كما هو الشأن في جميع المشروعات  
بل ترقى شيئا فشيئا تباعا لحضارة البلاد وانما زهت وأينعت في القرن الثامن وبلغت أوج التقدم في الثاني  
عشر ثم أخذت في التدهور والاضمحلال حتى كاد لا يبقى لعلومهم ومدارسهم من رسم تذكره . جاء في التاريخ  
ان طلبه العلم من الفرنج من القرن الثامن الى الثاني عشر كانوا اذا أرادوا التبحر في العلوم يقتصدون  
بلاد العرب ويقرأونها على أساتذتهم بل قيل انه لم ينبغ أحد منهم في الرياضيات في القرون المذكورة إلا بعد  
أن تلقاها بمدارس العرب فتأمل

## فصل لابيه فخره (١) في التفاوت بين مراتب السيف والقلم

اعلم ان السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة (٢) يستعين بها على أمره ، إلا ان الحاجة إلى السيف في أول الدولة ما دام أهلها في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم إذ القلم في تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم العالي والسيف شريك في المعونة وكذلك في آخر الدولة حيث تخلّ عصيتها (٣) ويضعف أهلها بما ينالهم من الهرم (٤) فتحتاج الدولة إلى الاستظهار (٥) بأرباب السيوف وتشتد الحاجة إليهم في حمايتها والمدافعة عنها كما كان الشأن أول الأمر في تمهيدها فتكون للسيف مزية في الحالين على القلم ويكون أرباب السيف حينئذ أوسع جاهاً (٦) وأكثر نعمة وأما في وسط الدولة فيستغني صاحبها ببعض الشيء عن السيف لأنه قد تمهد أمره ولم يبق همّة إلا في ضبط المملكة من تحصيل الحياة وتنفيذ الأحكام ومباهاة بقية الدول والقلم هو المعين في ذلك كله فتعظم الحاجة إلى تصريفه وتكون السيوف مهملّة في غمودها إلا إذا نابت نائبة أو احتيج إلى سدّ فرجة وأما في سوي ذلك فلا حاجة إليها فيكون أرباب الأقلام في هذه الحالة أوسع جاهاً وأعلى رتبة وأعظم نعمة وثروة وأقرب من الأمير مجلساً وأكثر إليه تردداً وفي خلواته نجياً (٧) لأنه (٨) حينئذ آتته (٩) التي يستظهر بها على تحصيل ثمرات مملكته والنظر في أعطافها وتشقيف أطرافها والمباهاة بأحوالها ويكون الوزراء حينئذ وأهل السيوف مستغني عنهم مبعدين عن بطانته (١٠) غير ملتفت إليهم

« ١ » ابن خلدون هو محمد بن خلدون المغربي ينتمي نسبه الى وائل بن حجر من عرب اليمن . ولد بتونس سنة ١٣٣١ وتخرج في الادب على أبيه وبرع في جميع العلوم وتعلّق بخدمة أسراء بلاده واحداً بعد واحد ثم حدث بينه وبين بعض الوزراء ما حمله على مهاجرة وطنه وقدمه الى الاندلس فاكرم وقادته السلطان أبو عبد الله ولم يدخر شيئاً في ارضائه ومطاببة خاطره ثم ارتحل الى القاهرة واتخذها دار إقامته وتولى بها قضاء القضاة ومات بها سنة ١٤٠٥ . وقد كان وفيّ الاخوة رضي العشرة فتان المشاهدة سحار المحاضرة غاية في الظرف آية في اللطف شديد البحث كثير الحفظ صحيح التصور زلال الكلام عذبه فصيح اللسان عذبه إن دعا الكتابة وافته عفواً وأعطته قيادها صفواً أو القواني أنه عمل الصدور على مزيد التواقي . له مصنفات نفيسة جداً سلك فيها طرقاً من حيث صحة الروية وتمحيص الاخبار وسواب الافكار رفصاحة التعبير قلما سلكها أحد من أسلافه ولا تنقص عن أعظم ما يوافي في أيامنا هذه « ٢ » الدولة سلالة ملوك أو أسراء من أصل واحد كالدولة الأموية والعباسية . وقد تستعمل بمعنى الحكم والسلطة وغير ذلك . وربما استعملت أيامنا في تعظيم آل الامير وزرائه « ٣ » عصية الدولة الخبز لها « ٤ » الهرم هو بلوغ أقصى الكبر « ٥ » الاستظهار بكذا الاستعانة به « ٦ » الجاه القدر والمنزلة أصله وجه فجرى عليه القاب المكاني كما في آبار « ٧ » النجى السر « ٨ » الضمير في لانه يرجع الى القلم « ٩ » الضمير في آتته راجع الى الامير « ١٠ » بطانة الامير أهل مودته الذين يكشفهم بأسراره ثقة بهم

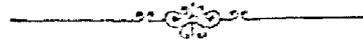
## وله منه فصل

### في أنه أهل الارياف أقرب الى الخير منه أهل المدن

السبب في ذلك ان النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت مهيأة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر وبقدر ما سبق اليها من أحد الخلقين يتبعد عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه . فمن سبقت إلى نفسه عوائد الخير وحصلت لها مآكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقه ومن سبقت إليه عوائد الشر اعتاده وتجنب الخير وشق عليه فعله . وأهل المدن لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وصنوف الترف والإقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم قد تلوثت أنفسهم بكثير من المذام وبعدت عنهم طرق الخير بقدر ما حصل لهم من ذلك وذهبت عنهم مذاهب الحشمة في أحوالهم وطعنوا في الديانة وأهلها وتداولوا الاقوال البذية المخالفة للآداب في مجالسهم وبين كبرائهم وأهل محارمهم لا يصدّهم عن هذا وازع الشرف لما اعتادوه من التظاهر بالمنكر قولاً وفعلاً . وأهل الارياف وإن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم إلا أنه في المقدار الضروري لا في الترف ولا في شيء من أسباب الشهوات واللذات ودواعيها فعوائدهم في معاملاتهم على نسبتها وما يحصل من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة إلى أهل المدن أقل بكثير فهم أقرب إلى الفطرة الأولى وأبعد عما ينطبع في النفوس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها فيسهل علاجهم ويقرب شفاؤهم (١) ثم ان سكان المدن لما كانت أشغالهم تنحصر في أسباب ينسبونها لأنفسهم ولا يدركون بالبداهة تعلقها بالارادة الالهية انصرفت أبصارهم القاصرة عن المنعم القادر حتى كأنهم هم القائمون بلوازمهم بدون أن يشاركونهم في إيجادها مشاركون ، أما أهل الارياف فانهم لا يزالون محاطين بآثار صنع المولى عز وجل التي لا يرون لأنفسهم في تحصيلها مدخلا فانهم عند ما يقومون من نومهم صباحاً ينظرون ندى حسنا قد رطب بقولهم وبرّد حقولهم ودفع أذى الحمارّة عنها وهياها للنمو والصالح ، وإذا ارتقبوا ضوء الشمس وحرارتها العظيمة المنافع في إحياء أعمالهم وإنضاج أثمارهم رأوا أشعة ذلك الكوكب المنير مشرقة عليهم ، وإذا اعدوا الماء أو شكت أن تفقد حياتها خضرواتهم ويفسد وجه الأرض ويلحقهم الجذب يسخر لهم اللطيف الخبير سحبا ممتلئة بالمياه فتسل عليهم مدرارها وتعمهم بنحيراتها ، وإذا تفقدوا أراضيهم يشاهدون مزارع نضرة الى السماء نظرة تسريها خواطيرهم وتقرّ نواظرهم ، وإذا التفتوا حوالهم يجدون نتائجها عنهم كثيرة يفتنون منها ويملاون جيوبهم ذهباً مما يزيد على حاجهم . كل هذا وهم في اطمئنان من العيش وسط أسرة هادئة يتمتعون فيها بالأمن والسعادة إلى غير ذلك مما يرفع قلوبهم وأفكارهم إلى وجود إله حكيم قادر

«١» مايتي الى آخر الفصل لمؤلفه لكنه لم يخرج عن معنى ما قبله وأما جاء ممتما له

على كل شيء ويجعلهم مقرّين بحسن عنايته ناطقين له بحميد الحمد وجزيل الشكر



## وله منه فصل في تعليم العلوم وطريق افادته

اعلم ان تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا بأن يلقي عليهم المعلم أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويشرحها لهم على سبيل الإجمال ويراعي في ذلك قوة عقولهم واستعدادهم لقبول ما يرد عليهم حتى ينتهي إلى آخر الفن ، وعنده تحصل لهم ملكة في هذا العلم إلا أنها جزئية ضعيفة وغايتها أنها هيأتهم لفهم الفن وتحصيل مسائله . ثم يرجع بهم إلى الفن ثانية فيرفعهم في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ويزيد لهم في الشرح والبيان ويخرج عن بعض الاجمال إلى أن يبلغ آخر الفن فتجود ملكتهم . ثم يرجع بهم وقد اشتدوا فلا يترك عويضا ولا مهما ولا مغلقا إلا وضحه وفتح لهم مقفله . فهذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أكثر من ذلك ولغيره في أقل بحسب ما يتيسر له . وقد شاهدت كثيرا من المعلمين يجهلون طرق التعليم وإفادته ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المغفلة من العلم ويطالبونه بكتة ذهنه في حاتها ويحسبون ذلك طريقا للتعليم وصوابا فيه ويكلفونه وعي ما أحضروه له ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مباديها وقبل أن يستعد لفهمها ولا يفقهون ان قبول العلم والاستعدادات لفهمه ينشآن تدريجيا وأن المتعلم أول أمره عاجز عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال وبالأمثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد يتدرج قليلا قليلا بمعاونة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من القريب الى البعيد حتى تم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن ، وينبغي للمعلم ألا يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعليم منه بحسب طاقته ونسبة قبوله للتعليم مبتدئا كان أو منتهيا ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره ويحصل أغراضه ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره لأن المتعلم إذا حصل ملكة في علم من العلوم استعد بها لقبول ما سيرد عليه وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق حتى يحظى بغايات العلم وإذا خلط عليه الامر عجز عن الفهم وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه وأدركه الكلال وانطمس فكره ويئس من التحصيل

وهجر العلم وأهله وإنما جاء ذلك من سوء التعليم • ويجب عليه ألا يطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالات وتقطيع ما بينها لأن ذلك يؤدي إلى انقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فبعض حصول الملكة بتفريق أسباب اكتسابها ، أما إذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة فتكون الملكة أيسر حصولا وأحكم ارتباطا لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره وإذا تنوب الفعل توسيت الملكة الناشئة عنه • ومن المذاهب الجليّة والطرق الواجبة في التعليم ألا يخاطب على المتعلم عامين معا فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى الآخر فيستغلطان معا ويستصعبان ويعود منهما بالحيية وأما إذا تفرغ الفكر لتعلم ما هو بسببه مقتصرًا عليه فيكون ذلك أجدر بتحصيله والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

### كتاب منه بديع الزمان الرمزي<sup>(١)</sup> إلى بعضكم يعاتبه

أنا أطال الله بقاء الشيخ (٢) سيدي ومولاي (٣) وإن لم أقابل تطاول الإخوان إلا بالتطول وتحامل الأحرار إلا بالتحمل أحاسب الشيخ أيده الله على أخلاقه ضنا بما عقدت ضميري عليه من حسن الظن به ، ولولا ذلك لقلت في الأرض مجال إن ضاقت ظلاله وفي الناس واصل إن رمت حباله ، فإن أعارني أذنا واعية ونفسا مراعية وقابا متعظا ورجوعا عن ذهابه ونزوعا عن هذا الباب الذي يقرعه ونزولا عن الصعود الذي يفرعه فرشت لمودته خوان صدري وعولت عليه في يسري وعسري • وإن ركب من التعالي غير مركبه وذهب من التنالي في غير مذهبه أقطعته خُطة أخلاقه وولّيته جانب إعراضه  
لا أذود الطير عن شجرٍ \* قد بلوت المرّ من ثمره

«١» بديع الزمان هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمداني الذي لم ير نظيره في ذكاء القرينة وسرعة الخاطر ولم يرو أن احدا بلغ مبلغه من لب الادب وسره وجاء بمثله إعجازه وسحره • له الرسائل البديعة التي سارت في الناس مسير النسيم ولم يجاره في مضمونها إلا الخوارزمي • وهو الذي لهبتكر صنع المقامات فنسج على منواله من أتى بعده من فنون الادباء كالحريري • فارق همدان وقد أخذ العلم عن أبي الحسين بن فارس واستنفذ ما عنده وورد على صاحب قزود من ثماره • ثم قصد نيسابور ثم هراق • وكانت وفاته بها سنة ١٠٢٠ ، قيل انه مات مسموما وقيل عرض له داء السكتة فميجل بدفته بأفاق في قبره فسمع صوته بالليل ونبش فوجد ميتا وهو قابض على لحيته والله أعلم «٢» الشيخ أصل معناه من كبر في السن وظهر عليه الشيب ثم توسع فيه واستعمل في الاستاذ وكبير القوم ورئيس الصناعة وغير ذلك تعظيما «٣» السيد والمولى معناهما متقارب وإنما أني بالثاني للتوكيد

فاني وإن كنت في مستقبل العمر قد حليت شطاري الدهر وركبت ظهري البرّ والبحر ولقيت  
وفدي الخير والنسر وصاغت يدي النفع والضر وضربت إبطي العسر واليسر وبلوت طعمي  
الخلو والمر ورضعت ضرع العرف والذكر فما تكاد الأيام تريني من أفعالها غريبا وتسمعي  
من أحوالها عجيبا، واجتمعت بالافراد وطارحت الآحاد (١) بعد الآحاد فما رأيت أحدا إلا ملأت  
حافتي سمعه وبصره وشغلت حيزي سره وجهره فإني صغرت هذا الصغر في عينك وما الذي  
أزري بي عندك حتى احتجبت عني وقد قصدتك ولزمت أرضك وقد آتيتك ، وأنا أحاشيك  
أن تجهل قدر الفضل أو نمجد مزية العلم أو تمتطي متن التيه على أهليه . وكأنني بك وقد  
غضبت لهذه المخاطبة وإن كانت في جنب جفائك يسيرة فأقلع عن عادتك وانزع عن شيمتك  
ألهمك الله السداد ووقفني وإياك لمنهج الرشاد

### وله جواب الى ابه اخته

بعزيز عمه الخبير

قد ورد كتابك بما ضمنت من عظيم المصاب بأخيك فكأنما فتت عضدي (٢) وطاعت  
في كبدي فقد كنت معتصدا (٣) بمكانه ولكن القدر جارٍ لشأنه والمرء يفكر والقضاء يدبر  
والآمال تنقسم والآجال تبتمس والله يجعله فرطا (٤) ولا يريني فيك سوء أبدا وأنت  
حفظك الله وارث عمره وسداد ثغره (٥) وانعم العوض بقاؤك ، وأبوك سبدي أئده الله  
وألمه (٦) الجليل وهو الصبر وآتاه الجزيل وهو الاجر وأتمعه بك طويلا فما سوت  
بدلا (٧) والسلام

### وله الى بعضهم

يعز علي أطال الله بقاء الشيخ أن ينوب في خدمته قلبي عن قدمي ويسعد برؤيته  
«١» الافراد جمع فرد وهو من لا نظير له من دعات الرجال الذين يشار اليهم بالبنان والآحاد جمع واحد  
يريد أنه اجتمع بالناس الكبار والصغار جميعا «٢» المضد هو ما يتقوى به ، فت أضعف «٣» معتصدا  
متمويا «٤» الفرط هو ما ينفك في الآخرة «٥» سداد ثغره السداد الصمام أي ما يسد به القارورة  
وغيرها والثغر الثمة في البنان وغيره فالسداد هنا مستعار لما يصلح به ماخرب بموت الفقيد «٦» ألهمه الجليل  
وقفه له «٧» سوت بدلا أي لاجلك الله بدلا سينا عن أخيك

رسولي دون وصولي ويرد مورد الأُنس به كتابي قبل ركابي ولكن ما الحيلة والعوائق حجة  
وعليّ أن أسمي وليد \* س عليّ إدراك انتجاح (١)  
وقد حضرت داره وقبّلت جداره وما بي حبّ الجيطان ولكن شغف بالقُطان (٢) ولا عشق  
الجدران ولكن شوق إلى السّكان . وحين عاقني العوائق عنه أمليت ضمير الشوق على لسان  
القلم معتذرا إلى الشيخ لا عن تقصير وقع وفتور في الخدمة عرض ومع ذلك فأقول  
إن يكن تركي لقصديك ذنبا \* فكفي ألا أراك عقابا

### كتاب منه الخوارزمي (٣)

إلى بعضه تلامذته وقد أخبره بمرضه

وصاني كتابك فسرني نظري إليه ثم غمني أطلاعي عليه لما تضمنه من ذكر علتك وأنبا  
عنه من سوء حالتك جعل الله أول العلة كقارة (٤) كافية وآخرها شفاء وعافية (٥) ولا  
أعدمك على الأولى أجرا وعلى الثانية بشكرا . وبودي لو قرب عليّ متناول عيادتك (٦)  
لاحتمات عنك بالتمهد والمساعدة بعض أعباء علتك فلقد خصّني من هذه العلة قسم كقسمك  
حتى مرض قلبي لمرض جسمك وأظن اني لو لقيتك عيلا لانصرفت عنك وأنا أعلم جسمها

« ١ » هذا البيت مأخوذ من قول بعض الشعراء

على المرء أن يسمي إلى الخير جهده وليس عليه أن يساعده الدهر  
فإن نال بالسمي المتى تم قصده وإن اخلف المقدور كان له عذر

« ٢ » وهو مأخوذ من قول قيس بن الملوّح

أمر على الديار ديار ليلى وأقبل ذا الجدار وذا الجدارا  
وما حبّ الديار شغفن قلبي ولو سكن حبّ من سكن الديارا

« ٣ » الخوارزمي هو أبو بكر محمد بن النّباس كان إماما في اللغة والانشاء والشعر يشار إليه في ذلك  
كله . وكان من قوة الذاكرة وجودة الحافظة بالمنزلة التي جعلته أول راوية لأشعار العرب على اختلاف  
عصورهم وتسمب قباثلهم ، ومما يحكى عنه أنه قصد الصاحب بن عباد فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابيه  
بانع الصاحب أن بالباب أديبا يستأذن في الدخول فدخّل الحاجب وأعلمه فقال الصاحب قل له اني أؤتمت  
نفسى ألا يدخل علي من الاديباء الا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب فخرج إليه الحاجب وأخبره  
الحبر فقال له الخوارزمي اسأله أطلبه من شعر الرجال أم النساء فبلغه ذلك فقال الصاحب إنما هو أبو بكر  
الخوارزمي فأذن له في الدخول فدخّل عليه فعرّفه وهش له وأجزل صلته . أقام بالشام مدة ثم ذهب إلى  
نيسابور ومات بها سنة ٩٩٢ وعمره ٧٣ سنة . له رسائل أتيقنه تمتاز بحسن السبك وجودة المعاني  
وتشهد له بسلامة الذوق ورقة الإحساس وسعة الاطلاع « ٤ » الكفارة ما يحكى به الذنوب من صدقة  
وصوم ونحوهما « ٥ » الشفاء البرء ، العافية الصحة التامة « ٦ » العيادة زيارة المريض خاصة

وأشغل قلبا منك فاني تجلد على أوجاع أعضائي غير تجلد على أوجاع أصدقائي ، ينبو (١) عني سهم الدهر اذا رماني وينفذ في إذا رمى إخواني فأقرب سهامه مني أبعدها عني كما أن أبعدها عني أقربها مني ، شفاك الله وعافاك وكفاني فيك المحذور وكفأك وغفر ذنبك وشرح قلبك وأعلى كعبك (٢) ودمت

## ور الى بعصه اصرفائه

### بعزيم عمره شقبي له

كتابي عن سلامة وما سلامة من يرى كل يوم ركنا مهدودا ولحدا ملحودا وأخامفوقدا وحوضا من المنية مورودا ويعلم ان أيامه مكتوبة وأنفاسه محسوبة وان شبك المنايا له منصوبة . أف لهذه الدنيا ما أ كدر صافيا وأخيب راجيا وأغدر أيامها ولياليها وأنص لذاتم اوملاهمها ، تفرق بين الأجاب بالفوات وبين الأجابة والأموات بالرفات (٣) . ورد علي خبر وفاة فلان فدارت بي الأرض حيرة واطلمت في عيني الدنيا حسرة وملا الواله والوهل قلبي وساوس وفكرة وتذكرت ما كان يجعني وإياه من علائق الألس والوداد فعلمت أنه شرب بكأس أنا شارب من شرابها ورمي بسهم سوف أرمي بها فبكيت عليه بكاء لي نصفه وحزنت من أجله حزنا لنفسي شطره وسألت الله تعالى فانه أكرم مسئول وأعظم مأمول أن يفيض عليه من رحمته ما يتم به سهمه من نعمته وأن يتعمد كل زلة ارتكبها برحمته ويضاعف له كل حسنة ا اكتسبها بمنته ، ثم تذكرت ما نزل بسيدي من الوحشة لفقده وانعمة من بعده والتجسس على قربه ببعده نخلص إلى قاي وجع نان أنساني الماضي وثالث أنساني الثاني حتى استفرغ ذلك ما في صبري بل ما في صدري وصار الوجع وجعين والمصاب اثنين ثم رجعت إلى أدب (٤) الله تعالى فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم لا شكاية لقضائك ولا استبطاء لجزائك ولا كفران لنعمتك ولا مناصبة (٥) لقدرتك ، اللهم ارتحم الماضي رحمة تجيب إليه بماته وأبق الحى بقاء بيها به حياته وثبت قلبه حتى لا يطيع داعية الجزع ولا يضع عنانه بيد الهلع ولا يثلم جانب الأجر والذخر بالإثم والوزر ولا يجد عدوه الشيطان سبيلا إليه ولا سلطانا عليه . ثم اقتصرت من تعزية سيدي على هذا المقدار لا جريا على مذهبي في الاقتصار والاختصار ولكني لم أجد من لساني بسطة ولا في قريحتي فضلة ويحق لهذه الفادحة الحادثة أن تدع اللسان محصورا والبيان مقصورا وأن

« ١ » بنا السهم عن الهدف أخطاه « ٢ » الكعب الشرف « ٣ » الرفات العظام البالية « ٤ » أدب الله شرعه تعالى « ٥ » مناصبة مقاومة

تحدث في العمل خلافاً وفي البيان شاملاً إذ ليس لها نظير تقاس عليه ولا حدّ تنهيه إليه

وله الى وزير مصر اصحابه

بهنيته بنجائه منه محنة

فهمت ما ذكره الشيخ من توبة الدهر إليه من ذنبه وخطبه لسلمه بعد حربه بتقليده إياه أعلى المناصب وإعادة الأمور إلى رسمها الذاهب وهكذا تكون أحوال المقبلين فان الأيام إذا غلظت نجنت عليهم رجعت فاعتذرت إليهم والزمان إذا حاربهم خطأ سالمهم عمداً فيستوفون في الحالين أجر المحنة وشكر النعمة ثم يحتم لهم بما هو بحالهم البق وبمقاديرهم أوفق ، والمحنة إذا كانت بعرض زائل فأيست بمحنة كما ان النعمة إذا انتظر تغييرها فليست بنعمة وما للانسان من دهره إلا يومه ، فأما أمسه فأقل وأما غده فأمل وكلّ غم سبب السرور فهو سرور وكل ظلمة كانت طريقاً إلى النور فهي نور ، ومن محاسن ايام الحن ان الانسان يعرف بها غش الاصدقاء ويقف منها على أوزان الثقاة والاولياء ، ويميز بين من هو صديق البلاء وصديق الرخاء ، ومن فوائدها انها تعلم المرء مقدار السلامة وتعرفه أين يضع زكاة الجاه والكرامة وتحلّي في فمه ما يجده بعدها من طعم النعم وقد انهزمت عنه جيوش النقم وتطالع الناس على مقادير قوم لولا المحنة لم يطالعوا عايبها وتظهر كفاية رجال لولا غيبتهم وحضور البديل منهم لم يهتدوا اليها . والآن قد عرف الشيخ بحقيقته ووزن بزنته ووقف الساطان والرعية على تفصيله وجملة بحضور غيره وغيته وإنما يعرف حق الافاضل من الدفع بعدهم الى عشرة الاراذل ويشدّ يده بالحامة من ابتلي بعدهم بالعامّة . هذا وقد صغّات هذه الفترة خلايق الشيخ بالتجارب ووضعت في يده مرآة النظر في العواقب وهذبت أفعاله من كل شوب وغسلت عنه وضرّ كلّ عيب ، على أنه لم يزل مبرّاً من كلّ رذيلة مخصوصاً بكل فضيلة ولكن الايام عمماها التعليم وخاصتها التنبيه والتقويم . فالحمد لله الذي ردّ الى الشيخ جماله وبهاءه وعمر بابه وفناءه وسرّ شيعته وأوليائه وغم حسدته وأعداءه ، ثم الحمد لله الذي حول كتي من التعزية إلى التهنئة وأخرج الوزير من ميدان الصبر الى ميدان الشكر وجعاني رطب اللسان بالحمد لله بعد ما كنت رطب اللسان بآئنا لله ، ثم الحمد لله الذي استجاب دعائي ورحم بكائي وعلمني كيف تطلب الحاجات ومتى تستجاب الدعوات وعرفني ان الدهر غريم ربما يفي بما يعدّ ، ثم الحمد لله الذي أراني المالأ وقد عرفوا رجحان من فقدوه بمن وجدوه كما عرفوا نقصان من وجدوه بمن كانوا فقدوه وأنشدوا قول دِعْبَل بن علي (١)

«١» دعبل بن علي هو شاعر خزاعي رافضي ، له مدائح مشهورة في أهل البيت

وترجعني إليك وإن تئأت \* دياري عنك تجربة الرجال

### وله إلى أبي منصور<sup>(١)</sup>

يعزبه بفقر ولد وبرهنة بمونود آخر

كُتبت وأنا مقسم بين ترحة وفرحة ومردد بين محنة ومنحة أشكو جليل الرزية وأشكر جزيل العطية وأسأل الله تعالى للأمر الماضي الرحمة والغفران وللأمر السديد التأيد والسلوان فإن المصيبة بالماضي وإن كانت تستوعب الصبر لكن الموهبة بالآتي تستنفد الشكر والحمد لله الذي كسر ثم جبر وساب ثم وهب وابتلى ثم أولى وأخذ ثم أعطى • كتبت على المنرق خاصة بل على الدنيا كافة أن تطمس آثارها وتُظلم أقطارها حتى ذبلت شجرة الافراح وعششت على قضبانها يومة الاتراح ثم استدرك الله تعالى برحمته خلقه فرداً على الأمير حقه وقرت الانام في قرارها وعادت النعمة إلى نصابها وطاعت الشمس في مطالعها واستمرت الرئاسة في موضعها فأنا الآن بين شكاية الايام وشكرها وبين حرب الدهر وسامه أبكي وأنا ضاحك وأضحك وأنا بك إلا ان الضحك عليّ أغاب والفرح الي من الغم أقرب لان المصيبة ماضية والنعمة باقية، رحم الله الماضي رحمة تهون علينا مصراعه وتبرد له مضجعه وتضاعف حسناته وتمحو سيئاته وأعان الأمير على رعاية ما استرعاه وألهمه شكر ما أعطاه وتولاد فيما ولاد ووالاد جزيل ما أولاه وأيد بالهية سلطانه وثبت بالبقاء أركانه

### وله إلى أبي طاهر<sup>(٢)</sup>

في التعزية

لما اتصل بي خبر المصيبة كتبت ولم أملك من قلبي إلا ما شغلته بها ولا من عيني إلا ما بكيت به لها ونزل بي ما ينزل بمن قارعه الزمان عن واحده ونازعه الموت في بعض نفسه وزلّ عن يده الذخر الذي ادخره لصروف الزمان وسلب السيف الذي لم يزل يُعدّه للقاء الاقران ثم تجبّزت موعود الله تعالى بالصبر والعزاء ثم بالتسليم للقضاء

«١» أبو منصور هونوح بن منصور، كان والياً على خراسان من سنة ٩٧٦ الى سنة ٩٩٧ «٢» أبو طاهر كان وزيراً لصاحب كرمان في أواخر القرن العاشر

وقلت إنا لله وإنا إليه راجعون ولقد كانت المصيبة بفلان جراحة لا دواء لها إلا الصبر  
وخسرانا لا جبر له إلا جبر وها أنا ذا أيد الله تعالى الشيخ جريح يد الدهر ولا طيب لمن جرحه  
وسليب يد الموت ولا ضامن لمن سلبه وقد دفنت يدي يدي وبكيت على عيني بعيني وأفردت  
في نفسي عن نفسي، والرزية بمن فلان رزايا كما ان العطيبة كانت بقاءه عطايا ولكن لا كثير  
من المصائب مع الانتقاد لأمر الله تعالى كما لا قليل من المواهب مع الإيمان بالله تعالى، رحم  
الله فلانا الجامع لمحاسن الآداب الشيخ حاما وإن كان غض الشباب فلقد اختصر وهو  
فتي السنّ واهتمر وهو رطب الفصن وكسوف البدر عند تمامه أوقع وكسر العود عند  
اعتداله أوجع

إن الفجيرة بالرياض نواضرا \* لأشدّ منها بالرياض ذوابلا

### كتاب منه الصابي<sup>(١)</sup>

إلى بعضه أبو بكر يعزبه عمه طفل ولده  
وهو في بعضه أسفاره ومات قبل أنه يراه

لله أطال بقاء الشيخ أقدار ترد في أوقاتها وقضايا تجري إلى غاياتها ولا يردّ منها شيء  
عن مداه ولا يصد عن مطلبه ومنحاه فهي كالسهم التي تثبت في الأغراض ولا ترجع  
بالاعتراض ومن عرف ذلك معرفة الشيخ لم يأسر عند الزيادة ولم يجزع عند النقص ولم يدع  
أن يوطن نفسه على النازلة قبل نزولها ويأخذ الأهبة للحالة قبل حلولها ويقابل الخير بالشكر

«١» الصابي هو أبو اسحق ابراهيم الحراني من الصابئة وهم قوم ينتسبون إلى صابئ بن لامك أخي  
نوح، كانوا يعبدون النار والنجوم ويزعمون كذبا أنهم على دين نوح. كان الصابي هذا أديبا ذا قوة  
غربية في فني النثر والنظم وأوحد زمانه في البلاغة ومن تعمد عليه الخناصر في صناعة الكتابة وكان  
يأتي في كلامه وكتابه بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث إلى غير ذلك مما يوهم أن ضلعه مع المسلمين  
وأنه يعتقد جميع ما يعتقدون. ولما تقلد ديوان الانشاء ببغداد كتب عبارة في بعض المواضيع آلمت عضد  
الدولة بن بويه الدبلي وأحقدنه عليه فأسرهما في نفسه حتى انه لما أفضت إليه الخلافة بعد عز الدولة أمر  
بالقاء الصابي تحت أرجل الفيلة فشفع فيه بعض أصدقائه فاستجيب مع استصفاء أمواله وجميع أسبابه فتمت  
بذلك ستره ورزحت بعده حاله ولم تعد إليه سعادته الأولى إلى أن توفي ببغداد سنة ١٠٠٦ وعمره ٧١ سنة  
فرأه الشريف الرضي بقصيدته الدالية التي مطلعها

أعلمت من حملوا على الاعواد

أرأيت كيف خبا ضياء النادي

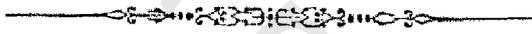
جبل هوى لو خر في البحر اغتدى

ما كنت أعلم قبل حطك في الثرى

ان الثرى يملو على الاطواد

فعمته في ذلك بعض المتطرفين في الدين لكونه شريفا يرثي كافرا فقال « انما رثيت فضله » فتأملوا

ويقاوم المحنة بالصبر فيتخبر فائدة الأولى عاجلا ويستمرى (١) طائفة الأخرى آجلا .  
وقد نفذ من قضاء الله في المولود الكبير قدرا الصغير سنا ما أقض وأمض (٢) ومسنى من  
التأم له ما يحق على مثلي ممن توالى أيدي الشيخ اليه ووجبت مشاركته في الملم عليه فانا لله  
وانا اليه راجعون ، وإياه أسأل أن يجعله للشيخ فرطا وان ينفعه يوم الدين حيث لا ينفع  
لأمثله بين البين ، ولئن كان المصاب به عظيما والحادث فيه جسيما لقد أحسن الله اليه والى  
الشيخ فيه . أما اليه فانه تعالى نزعه بالاحترام (٣) عن اقتراف الاثم فورد دنياه رشيدا وصدر  
عنها سعيدا نقي الصحيفة من سواد الذنوب بريء الساحة من درن (٤) العيوب لم تدنسه  
الجرأر ولم تعلق به الصغار والكبار ، قد رفع الله عنه دقيق الحساب وأسهم (٥) له في  
الثواب مع أهل الصواب (٦) وألحقه بالصدّيقين (٧) الفاضلين في المعاد وبوأه منازلهم (٨) من  
غير سعي واجتهاد ، وأما سيدنا أيده الله فانه عز وجل لما أوجد ذلك المولود له قبضه قبل  
رؤيته إياه على الحالة التي تكون معها الرقة (٩) ومعاينته التي تتضاعف عندها الحرقة وصانه  
من فتنه المرافقة ليرفعه عن جزع المفارقة وكان هو المبتقى في دنياه والله تعالى يقبى الشيخ  
المصاب ويعيده من سائر النوائب ويرعاه بعينه التي لا تنام ويجعله في حماه على الدوام



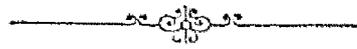
كتاب صمد أمير العميد (١٠)

الى عضد الدولة (١١) برهنة بولدييه

أطال الله بقاء الأمير وأدام عزه وتأييده وأظهر له من كل خير مزيده وهتأه بما

« ١ » استمرأ الشيء استطابه وتمتع به « ٢ » أقض الله مضجع فلان جعله له خشنا متقربا وأمضني الاسم  
أحرقني وأوجمني « ٣ » اخترمته للنبة أخذته « ٤ » الدرن الوسخ « ٥ » أسهم الله له في كذا جعل له  
سهما فيه « ٦ » أهل الصواب هم الأبرار « ٧ » الصدّيقين الكاملين « ٨ » بوأه منازلهم أدخله  
فيها ومكنه منها « ٩ » الرقة الرحمة « ١٠ » ابن العميد هو أبو الفضل محمد ، كان متوسعا في علوم  
الفلسفة والتجوم فريد عصره في الادب والترسل . قال الثعالبي ان الكتابة بدئت بعبد الحميد وختمت  
بأبن العميد . تولى وزارة ركن الدولة بن بويه الدلطي عقيب موت وزيره ابن القمي سنة ٩٤١ وأطلقت  
يده فيها فقام بأعبائها بكل حكمة واستقال قلوب الاقارب والاباعد فقصدته جماعة من مشاهير الشعراء  
كالمتني ومدحوه بأحسن المدائح فاجزل صلاتهم . توفي بالري سنة ٩٧١ « ١١ » عضد الدولة هو  
أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة المذكور ، تولى فارس بعد موت عمه الاكبر عماد الدولة وأظهر همة عظيمة  
في تدبير ولايته وتوسيع نطاقها فانه نظمها وضم اليها ولاية عمه الآخر معز الدولة صاحب العراق  
والاهواز ولم تزل أنظاره تطمح في ممالك غيره حتى تغلب على جميع بلاد مجاوريه من بني عميه المذكورين  
وغيرهم . وكان بينه وبين عز الدولة بن بختيار خليفة بغداد منافسات في الاستيلاء على البلاد أدت الي

أحظاه به (١) في البلاد من توافر الأعداد وتكثر الإمداد (٢) وتوارد الأولاد وأراه من النجابة (٣) في البنين والاسباط (٤) ما أراه من الكرم في الآباء والاجداد ولا أخلى عينه من قرّة ولا نفسه من مسرة حتى يبلغ غاية مهله (٥) ويستغرق نهاية أمره وعرفه السعادة فيما بشر عبده من طلوع بدرين جعل وفدها متلائين وورودها توأمين بشيرين بتظاهر النعم وتوافر القسّم ومؤذنين يترادف بنين يضيق بهم متسع الفضاء ويُشرق بنورهم أفق الغلاء ويتهني بهم أمد النماء إلى غاية تفوت غاية الاحصاء ولا زالت بكم السبل عامرة والمناهل عامرة بمنه وكرمه



(١) كتاب منه الصاحب به عباد

الى صديقي له

برعوه الى مجلس أنسى

مجلسنا ياسيدي مفقر إليك معول عليك وقد أبت راحه أن تصفو إلا إن تناولتها يملك وأقسم غناؤه ألا يطيب حتى تعيه أذناك ، ونحن لغيبتك كعقد ذهب ووسطه وشباب قد أخذت جدته ، وإذا غابت شمس السماء عنا فلا بد أن تدنو شمس الارض منا ، فان رأيت أن تحضر لتصل الواسطة بالعقد ونكون في جنة الخلد . والرجاء أن تبادر لنا أسرع من السهم في ممره والماء إلى مقره لتنال بك المسرات وتم لنا الغايات

التنازع والتصاف والمحاربة فالتقيا يوما في سنة ٩٧٨ فقتل عز الدولة ودخل أبو شجاع بغداد ظافرا واستقر بها ولم يزل الزمن يخدمه الى أن مات بها سنة ٩٨٣ وعمره ٤٧ سنة ونقلت جثته الى الكوفة ودفن بها « ١ » أحظاه به تفضل به عليه « ٢ » الامداد المساعدة « ٣ » النجابة في البنين الكمال « ٤ » الاسباط جمع سبط وهو الحفيد « ٥ » المهل التقدم في الخير « ٦ » الصاحب بن عباد هو أبو القاسم اسمعيل الطالقاني ، ولد بالطالقان سنة ٩٤٨ من بلاد الجبل وهي كورة بين قزوين وأبهر وأخذ عن أبي الحسين أحمد بن فارس وغيره من أساطين العلم وأصبح أعجوبة عصره في مكارمه وكرمه حتى قال عنه الثعالي في كتابه اليتيمة ليست تحضرني عبارة أرضاها للانفصاح عن علو محله في العلم والادب وجلالة شأنه في الجود وبلوغه غايات المحاسن وجمعه أشتات المفاخر لان همة قولي تخفض عن بلوغ أدنى معاليه . ورث الوزارة عن آبائه فكان أولا وزيرا لمؤيد الدولة أبي منصور بن بويه الديلمي ثم لآخيه فخر الدولة وطش معهما مجلا نافذ الامر مسموع الكلمة . صنف المؤلفات الحسان في عدة مواضع وله الرسائل البديعة والنظم الجيدة . توفي بالري سنة ١٠٠٧ ثم نقل الى أصفهان ودفن هناك

## كتاب صه ابن المعتز<sup>(١)</sup>

### الى بعضهم في يوم عبد

أخرتني العلة عن الوزير أعزّه الله فبعثت كتابي بالدعاء لينوب عني ويعبر ما أخلته العوائق  
مني، أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد أعظم الأعياد السالفة بركة على الوزير ودون الأعياد  
المستقبلية فيما يحبّه ويحبّ له ويقبل ما توسل به الي مرضاته ويضاعف الاحسان اليه على الاحسان  
منه ويمتعه بدوام النعمة ولباس العافية ولا يريه في مسرة تقصا ولا يقطع عنه مزيدا ويجمعاني من  
كل سوء فداءه ويصرف عيون الغير عنه وعن حظي منه

## كتاب صه أبي القاسم الحريري<sup>(٢)</sup> الى الوزير سعد الملك<sup>(٣)</sup>

### بستفبه على العرب الذينهم غزوا مدينة البصرة سنة ١١٠٦

لو اطلع مولانا على ما فاجأ البصرة وأهلها من القتل والقهر والنهب والأسر وما مُنوا  
به من الشتات واقتضاح الخيرات واحتراق المساكن والحانات وانتشار الفساد الى قري  
السواد (٤) لرأى منظرا يحرق الاكباد ويبيكي العين الجمد وقد أشركت البصرة على العفاء  
واللحاق بالصحراء ومولانا أعزّه الله ضابط زمامها في هذه الدولة الغراء وقد توالى عليها  
من الاحداث في هذه السنين الثلاث ما يدمر أمر البلدان ولم يعهد مثله في سالف الأزمان  
فان أنعم وعجل النظر للارعة برسالة النجدة القوية كان له الفضل في تنفيس الكرب ولا يخفى  
ما في ذلك من القرب

«١» ابن المعتز هو أبو العباس عبد الله ، قرأ على أشهر علماء عصره كالبرد وثعلب . قيل انه كان أشعر  
بني هاشم والعباس جميعا وأكثرهم براعة في علم الموسيقى وبه يضرب المثل في حسن التشبيه واختيار مواضعه ،  
وما زال يسمو على أقرانه حتى إذ نارت الجنود على جعفر المقتدر بالله وخلعوه عقدوا البيعة لابن المعتز  
ولكنه لم يستمر فيها إلا يوما واحدا فان أصحاب المقتدر بادروا قتلها وتجاربوا هم وأعوان ابن المعتز  
وشنتوهم وأعادوا المقتدر الى دسته فقبض على ابن المعتز وقتله وذلك سنة ٩١٨ . ومن مستطرف  
كلامه في وصف روضة

تضاحك الشمس أنوار الرياض بها كأنما نثرت فيها الدنانير  
وتأخذ الريح من داخلها عبقا كأن تربتها مسك وكافور

«٢» الحريري هو أبو محمد القاسم بن علي البصري ، ولد سنة ١٠٦٨ واشتغل بالأدب وتبع فيه حتى  
أصبح من أئمة عصره ونال الخطوة في صنع المقامات ومن اطاع عليها عرف فضله وما له من سعة الاطلاع  
وغزارة المادة . توفي بالبصرة سنة ١١٣٢ «٣» الوزير سعد الملك هو أبو المحاسن أحمد بن نظام الملك  
تقلب في خدمة الملوك وعاش ذا حظوة عندهم برهة من حياته الى ان خونه السلطان محمد بن ملكشاه فصلبه  
وذلك سنة ١١٠٧ «٤» سواد المدينة ما حوالها

(١) كتاب عناب صمد طاهر بن الحسين  
(٢) الى ابراهيم بن المهدي

أما بعد فإنه عزيز عليّ أن أكتب الى أحد من بيت الخلافة بغير كلام الإمرة وسلامها ، غير أنه قد بانني عنك أنك مائل الى الخلوغ (٣) فإن كان ما بلغني فقليل ما كتبت به لك وإن يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . وقد كتبت اليك هذه الابيات فتدبرها

إزرع صواباً وخذ بالخزم خبيطتهُ      فلن يُذمَّ لأهل الخزم تدييرُ  
فان ظفرت مصيباً أو هلكت به      فانت عند ذوي الألباب معذور  
وان ظفرت على جهل ففزت به      قالوا جهول أعانت المقادير

(٤) كتاب صمد أبي القاسم  
(٥) عن أمير المسلمين  
(٦) الى أهل سوتة

« ١ » طاهر بن الحسين هو أبو الطيب الخزامي ، كان من دهاة عصره وأوفرهم كياسة وأبعدهم سياسة خدم المأمون خدمة حسنة وساعده على توليه أمر الخلافة فإنه هو الذي سار من عنده بمرور كرسى خراسان الى الامين ببغداد وحاسرها حتى ظفر به وقتله وحمل رأسه الى المأمون بمرور وعقد له على الخلافة ودوخ له البلاد وأرغم الأمة على طاعته . ثم لما استتب النظام وسكن روع العباد اتقل المأمون الى بغداد واستقر بها وولى طاهرا هذا خراسان غير أنه خشى أن طاهرا اذا تمكن منها سعى وراء استقلاله بها فأهداه خادما كان رباه وأمره سرا إن رأى ما يريبه أن يدس له السم في طعامه . ولما كان في بعض أيام الجمعة وقداستوتق له الامر واستمال قلوب الرعية وحزب لنفسه الجنود عزم على خلع طاعة سيده المأمون فصعد المنبر وأمسك عن ذكر الخليفة في الخطبة فوجد نأي يوم ميتا على فراشه وذلك سنة ٨٢٩ وعمره ٤٨ سنة « ٢ » ابراهيم ابن المهدي هو أبو اسحق أخو هرون الرشيد ، ولد سنة ٧٨٤ وكان سخي الكف رحب الصدر فصيح اللسان مجيد الشعر ، له اليد الطولى في الغناء وحسن الصوت . ولما غضب العباسيون على المأمون لاسباب يطول شرحها وخلعوه بايعوا ابراهيم هذا بدله الا ان المأمون لم يلبث أن تدارك الشر فأرسل لمحاربتة ببغداد جيشا فخاف ابراهيم على نفسه فاقتفى . ثم لما ظفر به للمأمون وقد كان أهدر دمه وصمم على قتله أشفق عليه وعفائه . توفي بسر من رأى سنة ٨٥٠ « ٣ » يشير بذلك الى الامين فإن أخاه المأمون كان قد خلع بيعته وادعى الخلافة لنفسه كما تقدم « ٤ » أبو القاسم هذا هو ابن الجدي المعروف بالاحدب أحد أعيان الكتاب ورجال البلاغة في الاندلس كان منقطعا فيها للدرس والتدريس فاستداه أمير المسلمين الآتي ذكره الى سراكش عاصمة المغرب في ذلك الزمان واستعمله على ديوانه فكتب عنه زمنا طويلا . مات سنة ١١٣١ « ٥ » أمير المسلمين هو علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي ملك بلاد المغرب والاندلس كان شجاعا عاقلا ارتفع شأنه وخافه أعداؤه وعاش عزيزا مهابا . توفي سنة ١١٤٢ « ٦ » سوتة مدينة صغيرة حصينة من أملاك اسبانيا على

كتابنا (١) أبقاكم الله وأكرمكم بتقواه ويسركم لما يرضاه وأسبغ عليكم نعماءه . وقد رأينا والله بفضلها يقرن آراءنا بالتسديد ولا يخلينا في جميع تصرفاتنا من النظر الحميد أن نولي (٢) فلانا محل فلان على مدينتي فاس (٣) وسوته وسائر أعمالهما (٤) فأثقتنا إليه أمرنا العالي لما توسمناه من مخايل النجابة قبله (٥) ووصيناه بما نرجو أن يحتديه ويمثله ويجري عليه قوله وعمله ونحن من وراء اختياره والفحص عن أخباره والله عز وجل يحقق مخيلتنا فيه ويوفقه من سداد القول والعمل الى ما يرضيه . فاذا وصل اليكم كتابنا فالتزموا له السمع والطاعة والتصح والمشايعه جهد (٦) الاستطاعة وعظّموا بحسب مكانه منا قدره وامثلوا في كل عمل من أعمال الحق نهيه وأمره والله تعالى يمدّه بتوفيقه وهدايته ويلبسكم بمن ولايته بعزته

كتاب صدر أبي بكر به القصبه (٧)

عن امير المسلمين

الى طائفة فسي قبيهم الفساد

أما بعد يا أمة لا تعقل رشدتها ولا تجري الى ما تقتضيه نعم الله عندها ولا تقاع عن أذى تفشيه قربا وبعدا جهدها فانكم لا ترعون لجار ولا لغيره حرمة (٨) ولا تراقبون في مؤمن ذمة (٩) قد أعماكم عن مصالحكم الأشر (١٠) وأضلكم ضلالا بعيدا البطر وتبذتم المعروف وراء ظهوركم وأتيم بما ينكر مقتديا في ذلك صغيركم بكبيركم وخاملكم بمشهوركم ، ليس قبكم زاجر ولا منكم إلا غوي فاجر (١١) وما نرى إلا أن الله عز وجل قد شاء مسخكم ونسخكم (١٢) فسأط عليكم الشيطان يغرركم ويغريكم ويزين لكم

شاطىء البحر الشمالي لافريقيا ومرساها من أجود المرابي وايس بينها وبين جبل طارق الذي يقابها إلا خمسة عشر كيلومترا ، فيها نحو ١٠ آلاف نسمة « ١ » كتابنا خير لمبتدا محذوف أو مفعول لفعل محذوف أو مجرور بجار محذوف « ٢ » المصدر المبيوك بان مفعول به لرأينا « ٣ » فاس عاصمة سلطنة مراکش على المصب لنهر السبيو ، وهي أوسع مدن السلطنة تجارة وعدد سكانها يبلغ ١٥٠ ألف نسمة « ٤ » أعمال المدينة ما يكون تحت حكمها ومضافا اليها « ٥ » قبله عنده « ٦ » جهد نائب عن المفعول المطلق لا التزموا « ٧ » أبو بكر بن القصيدة هو أحد رجال الفصاحة والحائز لقب السبق في البلاغة كان جزل الالفاظ صحيح المعاني سليم الذوق في اختيارها . كتب للمعتد على الله وايدوسف بن تاشفين . توفي نحو سنة ١١٠٠ « ٨ » الحرمة مالا يحل انتهاكه « ٩ » الذمة العهد « ١٠ » الاشر الطغيان عند وفرة النعمة ومثله البطر « ١١ » الغوي الضال ، الفاجر المنبعث في المعاصي « ١٢ » المسخ تحويل الصورة الاصلية الى أخرى أفتح منها والنسخ الازالة

قبائح معاصيكم وكأنكم به (١) قد نكص على عقبه عنكم وقال اني بريء منكم وترككم في صفقة خاسرة لا تستقبلونها (٢) إن لم تتوبوا، وحسبنا هذا إغذارا لكم وإنذارا قبلكم فتوبوا وأنيبوا وأقلعوا وأزغوا وردوا كل ما أخذتموه وأنصفوا جميع من ظلمتموه ولا تستطيعوا على أحد بعد ولا يكن إلى أذاه صدور ولا ورد وإلا عاجلكم من عقوبتنا ما يجعلكم مثلاً سائراً وحدينا غبراء فاتقوا الله في أنفسكم وأهليكم وإياكم والاعتذار فانه يورطكم فيما يرديكم ويسوقكم إلى ما يشمت بكم أعاديكم وكفى بهذا تبصرة وتذكرة ليست لكم بعده حجة ولا معذرة ولا توفيق إلا بالله تعالى

لدى الفضل المبطلي (٣)

الى ابى عمرو البجترى (٤)

يعزيم في اقبية

لقد عاش أخوك طيب الذكر عقب الثناء والنشر تجمل به أهل بلده ويتباهى بمكانه ذوو مودته حتى إذا تسمم ذروة المناقب وظهرت محابته كالنجوم الثواقب اختطفته يد المقدار ومحت أثره بين الأثار فالفضل خاشع الطرف لفقده والكرم خالي الربيع من بعده والادب يندب حافظه ودارسه وحسن العهد يبكي كافلة وحارسه • تعمدته الله بالرحمة والرضوان وألهمك العزاء والسلوان

كتاب من تمرللك به ترغاي التتارى (٥)

«١» كأنكم به الكاف حرف خطاب والباء زائدة في اسم كان والهاء اسمها مبني على الكسر في محل نصب وخبرها جملة نكص أي كأنه قد نكص أي رجع، هذا قول الفارسي وقال غيره ان الكاف اسمها وبه متعاق بمخدوف خبرها يدل عليه المقام وجملة قد نكص حال «٢» الصفقة عقد المايمة واستقال الصفقة طلب فسحها «٣» أبو الفضل الميكالي هو عبد الرحمن بن أحمد، كان أوحد خراسان في عصره أدبا ونسبا وتقوى، له تصانيف جليلة في النثر والنظم • مات سنة ١٠٤٥ «٤» ابو عمرو البجترى كان من اعيان خراسان في اواسط القرن الحادي عشر وليس هو الشاعر المشهور «٥» تمرللك بن ترغاي التتاري كان أبوه من وزراء سلطان التتار، فترى هو مع أولاد الامراء والوزراء ونشأ ليبيبا ذكيا عالي الهمة واسع الافكار وامتاز عن أقرانه بشدة الحزم وبعد مغاره في سياسة الرجال وزيادة اقتداره على استعباد قلوبهم وتحزيبهم له حتى انه لما بلغ الخامسة والعشرين من عمره وقد رأى من ميل الرعية ما رأى طمعت نفسه في السيادة العليا فاغتال سلطان التتار واستقل بالامر واتخذ سمرقند عاصمة لبلاده فخصنها وزينها وعند ما نار المغول على سلطانهم

### الى ابى الفوارس بهر ده<sup>(١)</sup>

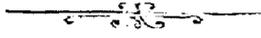
إن الله تعالى سلطني عليك وعلى ظلمة الحكام والجاثرين من ملوك الانام ورفعتني على من ناوأني (٢) ونصرتني على من خلفني وعاداني ، وقد رأيتَ وسمعتَ فان أُجبتَ وأطعتَ فيها ونعمتُ (٣) وإلا فأعلم ان في قلمي ثلاثة أشباه الخراب والقحط والوباء وإمُّ كل ذلك عائد عليك ومنسوب اليك فتدبر

### كتاب صه زبيدة زوجة الرشيد<sup>(٤)</sup>

### الى المأمون بهر قتل الاصبين<sup>(٥)</sup>

استدعوه الى استخلاصهم فلي طابهم وظفر بساطانهم وقتله وأضاف بلادهم الى بلاده، ومن ثم حدثته نفسه بتدويع العالم وإدخال جميع الشعوب تحت ساطته فجيش جيشا يبلغ ٨٠٠ ألف مقاتل وسار به حتى استحوذ جميع ممالك آسيا وجزء من روسيا بعد قتل ألوف الألوف ونهب العباد وتخريب البلاد. ثم طمعت أنظاره الى فتح بلاد الصين إلا انه لم تتم له تلك الامنية فان المنية فاجأته وهو في طريقه اليها فمات بشاطئ نهر سيحون سنة ١٤٠٥ وعمره ٧١ سنة ونقلت جثته الاثنية الى سمرقند ودفن بها. وهذه الرواية التي ذكرتها أصح ما نقل عن حياة ذلك الرجل المخراب وان خالفت ما قاله فيه مؤرخو الفرنج لاني لخصتها عن ابن خلدون وهو من عاصروه وعاشروه «١» أبو الفوارس هو شاهشجاع بن محمد، كان متوليا على شيراز وعراق العجم نحو سنة ١٣٨٠ وأحسن تدبير بلاده، ولما استولى تمرلنك على خراسان ارسل له الكتاب المذكور ثم سار اليه بنفسه لمحاربه في جيش عظيم فاتقاد له ابو الفوارس وصالحه على ان يدفع له جزية كل سنة ١٠٠٠٠ مات نحو سنة ١٣٨٥ «٢» ناوأني فاخزني «٣» فيها الفناء واقعة في جواب الشرط وبها جار وجرور متعاق بمخدوف جواب الشرط والتقدير فقد اخذت بالحصول المدوحة وهي ما ذكر من الاجابة والاطاعة وفاعل نعمت بمخدوف للعالم به أي ونعمت الحصلة «٤» زبيدة هي ام الامين كانت تحزبت على المأمون وسعت به كثيرا عند ما قام على ابنها المذكور ثم لما قتله خافت على دمه فكتبت له هذا الكتاب كي تتدارك الخطب وتستمظف خاطره «٥» الامين هو محمد بن هرون الرشيد سادس خلفاء بني العباس، ولد بعد أخيه المأمون بعام واحد سنة ٧٨٨ وأدبهما الكسائي وعهد له أبوه بالخلافة بعده لكونه عميق النسب فان والديه كانا هاشميين ولم يكن قبله كذلك من الخلفاء إلا الإمام علي وابنه الحسن والمأمون وإن كان أكبر منه إلا ان والدته أمة من أهل البادية اسمها سراجل لكته أرضاه بجماله واليا مستقلا على خراسان وجميع ما فيها من الجنود والسلاح والاموال وغير ذلك وكتب في عهده أن الخلافة العامة تكون له بعد الامين. فلما مات الرشيد نكت الامين عهد أبيه في شان أخيه فطلب جنود خراسان الى بغداد وأبطل ما ضرب باسمه من الدراهم والدنانير في ولايته الخاصة به وأسقط حقه من ولاية العهد بعده وحول البيعة لابنه موسى رأس الخطباء بالدعاء له على المنابر ونهى عن ذكر المأمون فديت عقارب العداوة بين الاخوين وشهدت نيران الحرب بين جنودها حتى قتل الامين سنة ٨١٣ وهي الخامسة من خلافته وعمره ٢٥ سنة وبويج المأمون البيعة العامة. وكان الامين خفيف الطبع مغرما بالملاهي والملاعب يشغل بها عن تدبير المملكة ويعطي الصلوات الكثيرة جزاها ويؤخر الرسوم والرواتب ، واما المأمون فكان من أفاضل الخلفاء وعلمائهم وحكامهم وأتمهم حزما

كل ذنب يا أمير المؤمنين وإن عظم صغير في جنب عفوك وكل إساءة وإن جلت  
يسيرة لدى حاكمك وذلك الذي عودك الله أطال مدتك وتم نعمتك وأدام بك الخير  
ودفع عنك الشره وبعد فهذه رقعة الوهلي (١) التي ترجوك في الحياة لتوائب الدهر وفي  
الممات لجليل الذكر فإن رأيت أن ترحم ضعفي واستكاثي وقلة حياتي وتحسب ذلك (٢) عند  
الله فافعل وتذكر من (٣) لو كان حيا لكان شفيبي لديك



### جواب المأمور

#### عنه الكتاب المذكور

وصلت رقعتك يا أماء ووقفت عليها، فساءني شهد الله جميع ما أوضحته فيها ولكن الاقدار  
نافذة والمخلوقون في قبضتها لا يقدرون على دفاعها والدنيا كلها إلى شتات وكل حي إلى الممات،  
والقدر (٤) والبني حثف الانسان والمكر راجع إلى صاحبه ولقد أمرت برد (٥) ما أخذ  
منك وها أنا ذا قد أعدتلك إلى حالتك الأولى ولم تفقدي ممن مضى إلى رحمة الله إلا وجهه  
وأنا بعد ذلك لك على أكثر مما تختارين والسلام



### كتاب جارية للمأمور

#### أنفرتك اليه مع تفاهة الصبرها له

اني يا أمير المؤمنين لما رأيت تنافس الرعية في الهدايا اليك وتواتر الطافهم عليك فكّرت  
في هدية تحف مؤوتتها وتهون كلفنها ويعظم خطرهما ويحلّ موقعها فلم أجد ما تجتمع فيه هذه  
الاصناف ويليق بمقام الاشراف إلا التفاح فاهدت اليك منها واحدة في العدد كثيرة في  
التقرب وأحبت يا أمير المؤمنين أن أعرب لك عن فضلها وأكشف لك عن محاسنها حتى  
ترمقها بعين الجلالة وتلاحظها بمقلة الصيانة ففقد قيل: في التفاح الصفرة الدرّية والحمرة  
الذهبية وياض الفضة ونور القمر، يلتذّ به من الحواس ثلاث العين بلونه والأنف  
بعرفه والشم بطعمه

وعزما وفهما ودهاء وسوددا وسماحة وفراسة ولم يكن له نظير في جميع الصفات التي يحمدها أكابر  
الرجال . توفي سنة ٨٣٣ وعمره ٤٦ سنة وفي أيامه باغت الامة العربية أوج المجد والعظمة «١» الوهلي  
مونت الوهلي وهو من ذهب عقله حزنا «٢» تحسب ذلك عند الله أي تعمل ما يحسب لك خيرا في  
الآخرة «٣» أي والدك هرون الرشيد «٤» الغدر الخ إشارة الى ان الامين غدرة وساء معاملته وان  
ذلك عاد عليه «٥» يشير الى ما كان استولى عليه من أموالها أيام تحزبها مع ابنها

## ﴿ وصف الربيع ﴾

(١) لابن حبيب الحلبي

الربيع شباب الزمان ، وروح الحيوان ، وإنسان عين الانسان ، وهو حياة النفوس ، وزينة عروس الغروس ، ونزهة الأبصار ، ومنطق الأطيّار ، عَرَفَ أوقاته ناسم ، وأيامه أعياد ومواسم ، فيه يظهر النبات ، وتُنشَرُ الأموات ، وتُرَدُّ الودائع ، وتتحرك الطبائع ، ويمرح جنيب الجنوب ، وينزح وجيب القلوب ، وتفيض عيون الأنهار ، ويعتدل الليل والنهار . كم له من عقد منظوم ، وطراز وثي مرقوم ، وحلة فاخرة ، وحلية ظاهرة ، ونجم سعد يُدني راعيه من الأمل ، وشمس حسن تشدنا « يا بعد ما بين برج الجدي والحمل »<sup>(٢)</sup> عساكره منصوره ، وأسلحته مشهورة ، فمن سيف غصن مجوهر ، ودرع بنفسج مشهور ، ومغفر شقيق أحمر ، وترس بهار يهبر ، وسهم آس يرشق فينشق ، وريح سوسن<sup>(٣)</sup> ستانه أزرق ، تحرسها آيات ، وتمكثتها نقوش ورايات ، به محمّر من الورد خدوده ، وتهتز من البيان قدوده ، ويخضر عذار الريحان ، وينتبه من النرجس طرفه الوسنان ، وتخرج الخبايا من الزوايا ، ويفترّ ثغر الأخوان قائلا ، أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

إن هذا الربيع شيء عجيب \* تضحك الأرض من بكاء السماء  
ذهب حينها ذهبنا ودرّ \* حيث دُرنا وفضة في الفضاء

﴿ للماوردي ﴾<sup>(١)</sup>

في حسن المعاشرة

كن أيها العاقل مقبلا على شاك راضيا على زمانك سلما لأهل دهرك جاريا على عادة أهل

« ١ » هو محمد بدر الدين من أهل حلب الشهباء ، كان أدبيا متكلمًا كثير التصرف في أنواع البديع والتشبيه . اشتهر بكتابه المرسوم بنسيم الصبا وهو والحق يقال من أبدع ما ألف في بابهِ . توفي سنة ١٤٠١ هـ .  
« ٢ » الجدي والحمل في اصطلاح أهل الهيئة برجان من البروج السماوية الاثني عشر . وهما أسماءها الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والمقرب والقوس والجدي والدلو والحوت فالثلاثة الأولى من هذه البروج وهي الحمل والثور والجوزاء تسمى بروج ربيعية لأن الشمس تمر بها في فصل الربيع ، والسرطان والاسد والسنبلة تسمى بروج صيفية لأن الشمس تمر بها في الصيف ، والميزان والمقرب والقوس بروج خريفية لأن الشمس تمر بها في فصل الخريف ، والجدي والدلو والحوت بروج شتوية لأن الشمس تمر بها في فصل الشتاء ، والأول من كل ثلاثة منها يسمى المنقلب لأنه إذا حلت الشمس فيه انقلب الزمان إلى فصل آخر والثاني من كل قسم منها يسمى برجا ثابتا والثالث برجا ذا جسدين لكون الهواء فيه يمتزج من هواء فصلين « ٣ » السوسن بضم السين الاولى أو فتحها نبات من الرياحين طيب الرائحة « ٤ » الماوردي هو أبو الحسن علي بن محمد النقيع ، ولد بالبصرة ونشأ

عصرك متقادا لمن قديم عايك متحننا على من تقدمت عليه . ولا تباينهم بالعزلة عنهم فيمقتوك  
ولا تجاهرهم بالمخالفة لهم فيعادوك فإنه لا عيشة لمعقوت ولا راحة لمعاد . واجعل نصيح نفسك  
غنية عقاك ولانداهنها باخفاء عيبك وإظهار عذرك فقد قال بعض البلغاء من أصاح نفسه  
أرغم أنف أعاديه ومن لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ

### ﴿ نصائح من رسالة ﴾

للأصمعي (١)

من ممالك ولو ساعة فقد حرّمك ومن كتم سرّه عنك فقد اتهمك ومن صافى عدوك  
فقد عاداك ومن عادى عدوك فقد والاك ومن أقبل بحديثه على غيرك فقد طردك ومن شكّا  
لك سوء حاله فقد سألك ومن سكت عند ذمّ الناس لك فقد ذمّك ومن بلغك شتمك فقد شتمك  
ومن نقل إليك فقد نقل عنك ومن شهد لك فقد شهد عليك ومن تجرّأ لك فقد تجرّأ عليك

### ﴿ خطبة لابن السماك ﴾ (٢)

يرثي داود بن النصير الطائي (٣)

إن داود نظر إلى ما بين يديه من آخرته فأغشى بصر القلب بصر العين فكأنه لم ينظر  
إلى ما إليه تنظرون وكأنكم لم تنظروا إلى ما إليه نظر وأنتم منه تعجبون وهو منكم أعجب .  
فلما رأى كم مفتونين مغرورين قد أذهلت الدنيا عقولكم وأماتت بحبها قلوبكم استوحش  
منكم . فكنا إذا نظرنا إليه رأيناه حياً وسط أموات

يا داود ما أعجب شأنك بين أهل زمانك ، فقد أهنت نفسك وإنما تريد إكراهها . وأتعبتها  
وإنما تريد راحتها ، أخشنت المطعم وإنما تريد طيبه وخشنت الملابس وإنما تريد لينه ثم أمتّ  
نفسك قبل أن تموت وقبرتها قبل أن تقبر وعذبها قبل أن تعذب . سيجت نفسك ولا يحدث

فيها وانهمك في الدرس ومهر في علوم كثيرة وألف تصانيف غراء لم يطالها أحد إلا شهد له بالتبحر  
ولاسيما كتابه أدب الدنيا والدين فإنه درّة ولم تحضر لي عبارة أرضاها للاعراب عن إعجابي به واهتزازي  
لحسن افكاره وإصابة آرائه وعلو مباحثه . توفي ببغداد سنة ١٠٥٩ وعمره ٨٦ سنة « ١ » هو أبو سعيد  
عبد الملك بن قريب ينتمي نسبه إلى عدنان . ولد بالبصرة وقدم بغداد في أيام هرون الرشيد وأصبح من  
أخصائه ، وكان متضلعا من العلم بلغة العرب وأخبارهم وحفظ آثارهم وأشعارهم محيطا بأنسابهم وأيامهم  
وآدابهم ولم تجتمع له تلك الخلال إلا بعد أن أكثر التطواف في البوادي لاقتباس نوادر اللغة من أهلها  
وهو صاحب غرائب الاخبار وقدوة الفضلاء وقبة الادباء . ألف عدة مؤلفات نفيسة وفضله في اللغة  
فوق كل فضل بل لا يكاد يقدر بقدر . توفي سنة ٨٣٥ وعمره ٩٠ سنة « ٢ » هو أبو العباس محمد  
الكوفي ، كان زاهدا عابدا حميد السيرة حسن الكلام كثير المواعظ . من ذلك قوله خف الله كانك لم  
تطعمه وارج الله كأنك لم تمسه . من جرّته الدنيا حلاوتها بميله إليها جرّته الآخرة مرارتها بتجافيتها  
عنه . توفي بالكوفة سنة ٨٠٥ « ٣ » كان من أهل الصالحات اشتهر بزهده وشظف عيشه ، توفي سنة ٧٨٠

لها ولا فراش تحتك ولا حاجب على بابك ولا قنّة تبرّد فيها ماءك ولا صحفة يكون فيها غذاؤك وعشاؤك . ياد اود ما أصغر ما بذلت وأحقر ما تركت في جنب ما رغبت وأملت فانك لما متّ ألبسك ربك رداء عملك وأشهرك بفضلك فلو رأيت من حضرتك علمت أن ربك قد أكرمك

### ﴿ رسالة للتعالي (١) ﴾

#### يهنئ بعض أصحابه بالنيروز

هذا اليوم في الأيام كمولاي في الأنام . بل هو غرّة في وجه الدهر وتاج على مفرق العصر . أسعد الله مولاي بالنيروز الطالع عايه بركته ويمن طائرّه في جميع أموره ومتصرفاته ولا زال يلبس الأيام فيلبها وهو جديد ويقطع مسافة سعدا ونحسها وهو سعيد . أقبل هذا اليوم ناشرا حاله التي استعارها من شيمته ومبديا حلاه التي أخذها من سجيته ومستصحبا من أنواره ما اكتسبه من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبس من جوده وإنعامه . ولا زال مولاي الربيع الذي لا يذبل شجره ولا يذوي زهره ولا ينقطع ثمره

### ﴿ وله في التهنئة بشهر الصيام ﴾

ساق الله إليك سعادة هلاله . وعرفك بركة كاله . ولفاك فيه ما ترجوه . ورقاك إلى ما يحبّ فيما تلوه وجعل ما يطول من هذا اليوم مقرونا بأفضل القبول مؤذنا بدرك البغية ونجح المأمول . ولا أخلاك من برّ مرفوع . ودعاء مسموع وقابل بالقبول صيامك وبغظيم المثوبة تهجدك وقيامك وأعاد إلى مولاي أمثاله وتقبل فيه أعماله وأصلح في الدين والدنيا أحواله وبلغه منها أماله وأسعده بهذا الشهر ووفاد فيه أجره والسلام

### ﴿ وله من رسالة في الشكر ﴾

شكري لسيدي على نعمه التي استرقتني شكر الروض للمطر والساري للقمر . فلو كان لا شكر شخص يدركه البصر ويحصاه النظار لصورتّه فأحسنت تصويره وقررتّه فأحكمت تقريره حتى يراه السيد بعينه العالية كما سمعه بأذنه الواعية فيعلم أنّي شاكر لأيديه المتصلة اتصال السعود ذاكر لئنه المنتظمة انتظام العمود . ولئن سكن الشكر سويدا قاي فاقد حرّكه ما يسير من كلامي مسير الأمثال ويسري في الآفاق مسرى الخيال

## ﴿ وصف عاصفة ﴾

لجلال الدين السيوطي<sup>(١)</sup>

أنى عارض في ليلاة الجمعة التاسعة من جمادى الآخرة كانت فيه ظلمات متكاثفة وبروق  
خاطفة ورياح عاصفة فتويت أهويتها واشتد هبوبها فتدافعت لها أعنة مطلقات وارتفعت لها  
صواعق مصعقات فرجفت لها الجدران واصطفقت وتالقت على بعدها واعتنقت ونار بين  
السماء والارض عجاج فقيل لعل هذه على هذه أطبقت وتحسب أن جهنم قد سال منها واد  
وعدا منها عاد وزاد عصف الرياح إلى أن انطفأت مصابيح النجوم ومزق أديم السماء ومحى  
ما فوقه من الرقوم لا عاصم من الخطف للأبصار ولا ما جأ من الخطب إلا معاقل الاستغفار .  
وفرّ الناس نساء ورجالا ونفروا من دورهم خفافا وثقالا لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون  
سيلا ، فاعتصموا بالمساجد الجامعة وأذعنوا للتنازلة بأعناق خاضعة ووجوه غانية ونفوس عن  
الاهل والمال سالية ، ينظرون من طرف خفي ويتوقعون أي خطب جلي ، قد انقطعت من  
الحياة علقهم وعميت عن العجاة طرقهم ووقعت الفكرة فياهم عليه قادمون وقاموا إلى صلاتهم  
وودوا أن لو كانوا من الذين هم عليها دائمون ، إلى أن أذن الله في الركود وأسعف الهاجدين  
بالهجوم وأصبح كل يسلم على رفيقه وبهنته بسلامة طريقه ويرى أنه قد بعث بعد النفخة  
وأفاق بعد الصيحة والصرخة وأن الله قد رد له الكرة وأذبه بعد أن كاد يأخذه على غرة .  
ووردت الأخبار بأن كسرت المراكب في البحار والأشجار في القفار وأتلف خاق كثير  
من السفار ومنهم من فرّ فلم ينفعه الفرار

## ﴿ منه قطبة ﴾

للأبي القاسم الزمخشري<sup>(٢)</sup> افتتح بها بعض كتبه

هو كتاب لم تزل نعام القلوب إليه زفافة ، ورياح الآمال حوله هفافة ، وعميون الأفاضل  
نحوه رواق ، وألسنتهم بتمنيه نواطق ، فلبت له العربية وما فصح من لغاتها ، وماح من  
بلاغاتها ، وما سمع من الأعراب في بواديها ، ومن خطباء الحليل في نواديها ، ومن قراضبة

«١» هو عبد الرحمن بن الكمال الحضيري . أخذ عن مشاهير فضلاء عصره حتى صار أبعدهم نظرا  
وأثقبهم فكرا وأطولهم باعا في جميع العلوم . ألف المصنفات الجلية في فنون كثيرة فطار له بذلك اسم في  
جميع الآفاق وإليه شدت طلبة العلم رحالهم من جميع البلاد وأمسى فصل الخطاب في امور الدنيا والدين  
واعتبر ركنا من أركان الاسلام المتينة والعروة الوثقى التي لا انفصام لها . توفي سنة ١٥٠٥ هـ وعمره ٦٢ سنة  
«٢» هو الامام محمود بن عمر المعروف بالزمخشري لولادته بقرية من بلاد خوارزم يقال لها زمخشر ، كان

نجد في أكلاؤها ومراتعها ، ومن ساسرة تهامة في أسواقها ومجامعها ، وما تراجزت به السقاة على أفواه قلوبها وتساجعت به الرعاة على شفاه عُلَمَها ، وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات المماننة ، وتزاملت به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المماننة ، وما طولع في بطون الكتب ومتون الدفاتر من روائع ألفاظ مفتحة ، وجوامع كالم في أحشائها مجتته . ومن خصائص هذا الكتاب تحيّر ما وقع في عبارات المبدعين ، وانطوى تحت استعمالات المفلّحين . وما جاز وقوعه فيها وانطواؤه تحتها من التراكيب التي تملح وتحسن ، ولا تنقبض عنها الألسن ، لجريرها رسالات على الأسلات ، ومرورها عذبات على العذبات ، ومنها التوقيف على مناهج التركيب والتأليف ، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف ، بسوق الكلمات متناسقة لا مرسله بددا ، ومتناظمة لا طرائق قددا ، مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية إلى مرشد حرّ المنطق ، الدالة على خالة المنطق المطلق ، ومنها تأسيس قوانين فصل الخطاب الفصيح ، بإفراد المجاز عن الحقيقة والكنائية عن التصريح . فمن حصل هذه الخصائص وكان له حظ من الإعراب الذي هو ميزان أوضاع العربية ومقياسها ، ومعيار حكمة الواضع وقسطاسها ، وأصاب ذرواً من علم المعاني وحظي برس من علم البيان وكانت له قبل ذلك كلة قريبة صحيحة ، وسليقة سليمة . فحل نثره ، وجزل شعره ، ولم يطل عليه أن يناهز المتقدمين ، ويخاطر المقدمين . وقد رتبته على أشهر ترتيب تداول ، وأسماه تناولا ، فيهجم فيه الطالب على طلبته موضوعة على طرف الثمام وحبل الذراع ، من غير أن يحتاج في التقدير عنها إلى الإيجاف والإيضاع . وإلى النظر فيما لا يوصل إلا بأعمال الفكر إليه ، وفيما دقق النظر فيه الخليل وسيبويه ، والله سبحانه وتعالى الموفق لإفادة أفضل الطالبين ، ولما يتصل برضى رب العالمين

### ﴿ وصف نزلة ﴾

لعمر بن علي المطوّعي<sup>(١)</sup>

رأى أبو الفضل عبّيد الله<sup>(٢)</sup> في بعض الأيام أن يسير إلى قرية له للتنزه في جناتها ، فكانت في جملة من استصحبه إليها من أصحابه . واتفق أنما وصلنا إليها والسماء مصحبة والأفق صاف لم يطرز ثوبه بعلم<sup>(٣)</sup> الغمام ، فوقع اختيارنا على ظل شجرة باسقة متسقة الأوراق والغصون

إمام عصره غير مدانغ في التفسير والحديث والائمة والنحو والبلاغة . ألف مؤانث شتى في جميع الفنون فطار بها ذكره ودلت على علو منزلته . توفي سنة ١٥٣٣ عن ٧١ من عمره « ١ » كان هذا الرجل من أدباء العراق وكتابها . أصله من مطوعة بشديد الواو وتجاهرهي قرية بجوار البصرة . مات في أواخر القرن التاسع « ٢ » هو عبّيد الله بن أحمد كان أميراً على خراسان من قبل المعتمد على الله في نحو سنة ٨٧٠ « ٣ » علم الثوب حاشيته وهو مستعار هنا لما يظهر في الاثني من سواد الغمام

قد سترت ما حوالها من الأرض طولاً وعرضاً، فنزلنا تحتها مستظليين بماواة<sup>(١)</sup> أفانها، مستترين من وهج<sup>(٢)</sup> الشمس يستار أوراقها، وأخذنا تجاذب أذيال المذاكرة وتتنازع أهداب المحاورة فما شعرنا بالسماء إلا أرعدت وأبرقت وأظلمت بعد ما أشرقت ثم جادت بمطر كأفواد القرب فأجادت بل أوفت عابها وزادت حتى كاد غيبتها يعود عينا<sup>(٣)</sup> وهمّ وبلها<sup>(٤)</sup> أن يستحيل ويلا فصرنا على أذاها وقلنا سحابة صيف عما قليل تنقشع<sup>(٥)</sup> فإذا نحن بها قد أمطرتنا برداً<sup>(٦)</sup> من جميع الثغور لكنها من ثغور العذاب لا من الثغور العذاب<sup>(٧)</sup> فأيقنا بالبلاء وسلمنا لأسباب القضاء، فما مرت إلا ساعة من الزمان حتى سمعنا خرير الأنهار ورأينا السيل قد بلغ الزبي والماء قد غمر القيعان والربي<sup>(٨)</sup> فبادرنا إلى القرية لائذين من السيل بأفئتها وعائذين من القطر بأبنيتها وأثوابنا قد بآها ماء الويل وغلغفها<sup>(٩)</sup> طين الوحل ونحن نحمد الله تعالى على سلامة الأبدان وإن فقدنا بياض الأكمام والأردان<sup>(١٠)</sup>، فلما سلّ سيف الصبح من غمام الظلام وضرف بسطان الصحو عامل الغمام رأينا صواب الرأي ألا نوسع الإقامة بها رفضاً<sup>(١١)</sup> بل نتخذ الارتحال عنها فرضاً، فازلنا نظوي الصحاري أرضاً فأرضنا إلى أن وافينا المستقر ركضاً<sup>(١٢)</sup>، فلما نفضنا غبار ذلك المسير الذي جمعنا في ربة<sup>(١٣)</sup> الأسير وأفضينا إلى ساحة التيسير بعد ما أصبنا بالأمر العسير وتذكرنا ما لقينا من المشقة في طي تلك الشقة<sup>(١٤)</sup> أخذ الأ ميرالسيد قلعه السيال فارتجل هذه الأبيات يصف واقعة الحال

دهتسما السماء على حين صحو	بغيت على هامنا مسبل
وأشرف أحمابنا من أذاه	على خطر هائل معضل
فن لائذ بققاء الجدار	وأو إلى نفق مهمل
ومن مستجير ينادي الغريق <sup>(١٥)</sup>	الغريق ومن صارخ معول
وجادت علينا سماء السقوف	بدمع من الوجد لم يهمل
كأن حراما لها أن ترى	يببسا من الأرض لم يُبَلَّل
وأقبل سيل له روعة	فأدبر كل عن المقبل
فيقلع ما شاء من دوحة <sup>(١٦)</sup>	وما يلق من صخرة يحمل

«١» السماوة الخيمة وهو من إضافة المشبه به إلى المشبه «٢» الوهج شدة الحر «٣» العيث الأفساد «٤» الويل للمطر الشديد «٥» تنقشع تزول «٦» البرد هو ماء يتجدد في الجو ثم ينزل حبات كهيئة الجزء الظاهر من الأسنان «٧» الثغور جمع ثغر وهو الفم والعذاب جمع عذب بمعنى الخلو الصافي «٨» الزبي جمع زبية وهي حفرة في موضع عال يصاد فيها نحو الذئب والأسد، والقيعان جمع قاع وهو أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والأكام، والربي جمع ربة وهي ما ارتفع من الأرض «٩» غلغفها عمها الطين حتى صار لها كالغلاف «١٠» الأردن جمع ردن وهو أصل الكم جهة الكتف «١١» الرفض هو القليل من الماء واللين وقد استعمل هنا لطلق القلة أي بمعنى قليلاً «١٢» ركضاً بمعنى راكضين وهو حال من نافي وافينا «١٣» ربة عنوة «١٤» الشقة المسافة التي يقطعها السائر «١٥» الغريق مفعول لفعل محذوف تقديره انقذوا «١٦» الدوحة الشجرة العظيمة المتسعة الظل

فمن عامر ردة غامرا ومن معلم عاد كالمجمل<sup>(١)</sup>  
كفانا بليته ربنا فقد وجب الشكر للمفضل

﴿ لابن الاثير<sup>(٢)</sup> ﴾

في أبي تمام<sup>(٣)</sup> والبحري والمتني<sup>(٤)</sup>

قال لقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع وأنفدت شطرا من العمر في المحفوظ منه والمسموع فألفيته بحرا لا يوقف على ساحله ، وكيف يحصى قول لم تُحص أسماء قائيه ، فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثر فوائده وتشعب مقاصده ، ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم في اتباع من قصر نظره على الشعر القديم إذ المراد من الشعر إنما هو إبداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل اللطيف فتي وجدت ذلك فكل مكان خيتم فهو بابل<sup>(٥)</sup> ، وقد اكتفيت من هذا بشعر أبي تمام والبحري والمتني وهؤلاء الثلاثة هم لات

« ١ » الجهل هو الأرض التي لا يهتدى فيها أي أن السبل لشدة طلوس معالم تلك الأرض فأذهبها حتى أصبحت لا يهتدى فيها « ٢ » هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الاثير ضياء الدين الجزري ، ولد بجزيرة ابن عمرو وهي مدينة فوق الموصل بنجوة من الأرض يحيط بها الدجلة ، ثم انتقل مع والده وأخويه عز الدين ومجد الدين إلى الموصل وبها حصل علومه وثقف عقله حتى صار آية في النبذ ضليعا من الفضل فقصده الملوك وعاش في خدمة الأكارب جل حياته ، لكنه لم يقتصر على خدمتهم بل خدم العلم أيضا خدمة أصبح بها من أشهر العلماء ذكرا وأكبرهم قدرا وأخذهم أثرا . كان يعظم المتني والبحري وأبا تمام ويعجب بهم كثيرا وينتصر لهم ويناضل عنهم غاية . ألف في صناعة الترسل مصنفات لها رنين في عالم الأدب ، وفي مقدمتها كتابه المعروف بالمثل السائر في أدب الكاتب وهو كتاب سارت بذكره الركبان وأصبح درة في جيد الزمان ، لم يترك بابا في الإنشاء إلا طرقة ولا سبيلا في الأدب إلا اتجهه بعبارة تسيل طرفا وتقطر ملاحه في أمتن أسلوب وأجود معنى ، ولكنه لم يكن يجيد الشعر ولم يأت منه إلا بالشيء . التدر . توفي ببغداد سنة ١٢٥٩ وقد توجه إليها رسولا من قبل صاحب الموصل وعمره ٧٩ سنة « ٣ » هو حبيب بن أوس الطائي . ولد بحمام قرية من أعمال دمشق وتربى بمصر في حجر الفاقة والترقة فقد كان أول أمره يتعيش من سقي الناس في جوامع القاهرة ، ولكن لم يكن ذلك ليمتعه من طلب العلم تارة وحده وطورا بمساعدة الغير بل أخذ يتدرج في مدارج المال حتى كان من أمره ما هو مشهور ، جاب البلاد ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم . وله المؤلفات الغراء التي تدل على غزارة فضله وجودة اختياره . تولى أمر البريد بالموصل في أواخر أيامه ومات هناك سنة ٧٥٣ ولم يتجاوز عمره إحدى وأربعين سنة « ٤ » المتني هو أبو الطيب أحمد بن الحسين . ولد بالكوفة في موضع يقال له كندة وقدم الشام صغيرا فلم يزل يتأدب في مدارسها على علمائها حتى تخرج نادرة الزمان في صناعة الشعر ولم يكن في زمانه من يدانيه في معارفه ويجاربه في أدبه ، توفي سنة ٩٦٦ وعمره ٥١ سنة « ٥ » بابل مدينة عظيمة خربة راسخة القدم في القدم ينسب تأسيسها إلى أولاد نوح . كانت بتركيا آسيا عظمى الضفة الشرقية من نهر الفرات بعيدة عنه بحيث لا يصل إليها ماؤه عند فيضانه ، ويقوم الآن بالقرب من أطلالها مدينة صغيرة يقال لها الخلة ، وما حوالها من الأراضي الواسعة كثيرة الخيرات يضرب بها المثل في الخصب وعذوبة الماء وقاوة الهواء . وسعاد ابن الاثير ههنا أنه كلما وجد كلاما شريف المعنى في قالب جزل اللفظ لطيفه تشبث به وقرأه وفضله على غيره من المصنفات كما تفضل بابل وما حوالها على غيرها من البلاد .

الشعر وعزاه ومناحه<sup>(١)</sup> الذين ظهرت على أيديهم حسنة ومستحسناته. وقد حوت اشعارهم ضرابة المحدثين وفصاحة القدماء وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء. أما أبو تمام فإنه ربّ معان وصيقل أذهان وقد شهد له بكلّ معنى مبتكر لم يمس فيه على أر فهو غير مدافع عن مقام الإغراب الذي برّز فيه على الأضراب، ولقد مارست من الشعر كلّ أول وأخير ولم أقل ما أقوله إلاّ بعد التأمير فمن حفظ شعر الرجل وكشّف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعتة الكلام وكان قوله في البلاغة ما قالت حذام<sup>(٢)</sup>،

تخذ مني في ذلك قول حكيم وتعلمّ ففوق كلّ ذي علم عليم . وأما البحريّ فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإطلاق فينا يكون في شظف نجد إذ تشبّث برين العراق<sup>(٣)</sup> . وسئل المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحري ، ولعمري أنه أنصف في حكمه وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه فإن البحري أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء في اللفظ المصوغ من سلاسه الماء فأدرك بذلك بعد المرام مع قربه إلى الأفهام ، وما أقول إلاّ أنه أتى في معانيه بنوادر الغالية<sup>(٤)</sup> ورقي في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية . وأما المتنبي فإنه أراد أن يسالك مسلك أبي تمام فقصّرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ولكنه حظي في شعره بالحكم والأمثال واختصّ بالإبداع في وصف مواقف القتال ، وأنا أقول قولاً لست فيه متاثماً ولا منه متاثماً وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها وأشجع من أبطالها وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها حتى يظنّ أن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلوا ، فطريقه في ذلك تضلّ بسالكه وتقوم بعذر تاركه، ولا شك أنه كان

وكانت بابل أيام زهوها وفخرها عاصمة مملكة باسمها قوية الشوكة واسعة الأرجاء يحدها شمالاً بحر الحزر وجنوباً خليج الفرس وشرقاً نهر السند وغرباً البحر المتوسط ، وتداول عليها عدة أمم من آشور وكلدان ويونان وفرنس وغيرهم فسبحان الذي يداول الحكم بين الناس ولا يزول ملكه « ١ » اللات والعزى ومناة أسماء أصنام كانت تعبدها العرب في جاهليتهم وهي أكبر المبودات عندهم فشبه بها أبا تمام وصاحبيه في العظم من بين الشعراء « ٢ » حذام علم امرأة من قدماء العرب كان يضرب بها المثل في قوة البصر وصدق الخبر . قال الشاعر

إذا قالت حذام فصدقها \* فإن القول ما قالت حذام  
يريد أن من حفظ شعر أبي تمام كان أصدق الناس في البلاغة كما كانت حذام أصدقهم في الخبر « ٣ » الشظف من العيش ضيقه ومن الأرض خشوتها ، ونجد إمارة في وسط شبه جزيرة العرب يحدها شمالاً الشام وجنوباً صحراء الأحقاف وشرقاً العراق العربي وغرباً الحجاز ، فيها جبال شامخة وعرة ومزارع واسعة وعيون ماء عديدة عذبة ، يربو عدد سكانها على مليونين أكثرهم من الوهابيين . والريف الأرض ذات الزرع والخصب . والعراق اسم يطلق على ما بين الفرات والدجلة من تلك السهول الغناء التي لا يضاهاها بلد آخر في الخصب ، يشبه بها وادي النيل في حسن المنظر وموافقة تربتها للزراعة ولا تشبه هي بشيء ، يريد أنه يجمع بين جزيل الألفاظ الصعبة المنال ورقبتها فعبّر عن الأولى بأعالي نجد وقمها لصعوبة الوصول إليها وعن الثانية بريف العراق « ٤ » الغالية أنواع من الطيب مختلطة

يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما أدّاه إليه عيانه، ومع هذا فلا يري رأيت الناس  
عادلين فيه عن سنن التوسط فإما مفرط في وصفه وإما مفرط، على أنه كان إذا انفرد بطريق  
صار أبا عذره<sup>(١)</sup>، ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة  
لا تطبنّ كريما بعد رؤيته \* إن الكرام بأسخاهم يدا ختموا  
ولا تبال بشعر بعد شاعره \* قد أفد القول حتى أجمد الصمّ

### ﴿ للمفضل الضبي<sup>(٢)</sup> ﴾

يصف مروره ببعض أحياء العرب

روى المفضل الضبيّ قال نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين وكنت مشغوفا بسماع  
أخبار العرب وجمعها، فأخذت أجول بين خيامهم وأحسّس من أحوالهم، وإذا أنا بامرأة  
واقفة في فناء خباتها آخذة بيد غلام قلما رأيت مثله في حسنه وجماله. وهي تعاتبه بالسان  
رطب وكلام عذب يسترقّ السمع ويترشفه القلب، فكان أكثر ما أسمعها منها بنيّ وأبي  
جوابا ولا يبدي خطابا. فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت. فدنوت فسلمت  
فردّ عليّ السلام ووقفت أنظر إلى المرأة والغلام. فقالت لي يا حضري ما حاجتك. قلت  
الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى. فابتسمت وقالت يا هذا إن شئت سقت إليك ما هو  
أحسن مما رأيت. فقلت هاآني حفظك الله. قالت ولد هذا الغلام فكان ثالث أبويه، فربي  
بيننا كانه شبل وكنت أقيه برد الشتاء وحرّ الهجير حتى إذا ماتت له خمس سنين أسامته إلى  
المؤدّب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه وطلب ما ترّ آباءه  
وأجداده. فلما أن اشتدّ عظمه وكل خلقه حماته على عتاق الخيل، فتفرّس وتمرّس ولبس  
السلاح ومشى الخيلاء بين بيوتات الحيّ وأصغى إلى أصوات ذوي الحاجات، فأخذ في قرى  
الضيف وإطعام الطعام وأنا عليه وجلة أحرصه من العيون أن تصيبه ومن الألسن أن تعيبه.  
إلى أن نزلنا في بعض الأيام منهلا من المناهل بين أحياء العرب. فخرج فتيان الحيّ في  
طلب نار لهم ونساء الله تعالى أن أصابت الغلام وعكّة شغلته عن الخروج حتى إذا أمعن  
القوم ولم يبق في الحيّ غيره ونحن آمنون وادعون، فوربك ما هو إلا أن أدبر الليل وأقبل  
الصبح حتى طلعت علينا طلائع العدو وغرر الجياد ثوارا لا زوارا. فما كان إلا هنيهة حتى

«١» أبو عذرة الشيء أول من يخترعه «٢» هو محمد بن أبي طالب البغدادي. كان موصوفا بمفرط  
الذكاء وقوة الحافظة. برع في الفقه وسائر أنواع الأدب وصنف كتبا كثيرة جزيلة الفائدة. توفي عن  
الشباب سنة ٩٣٠

أحرزوا الأموال وهو يسألني ما الخبر وأنا أستره عنه إشفاقا عليه وضنا به حتى إذا علت الأصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره ونار كما يشور الضرغام إذا أغضب، فأمر بإسراج فرسه ولبس درع حربه وأخذ رمحه بيده وركب حتى لحق حماة القوم وأنا أنظر إليه . فطعن أدناهم منه فرمى به ولحق أبعدهم فقتله . فانصرفت إليه وجوه الفرسان ، فرأوه غلاما صغيرا لامدود وراءه . فحملوا عليه . فأسرع يثوم البيوت حتى إذا خافهم وراءه وامتدوا في أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشقت جمعهم وقتل كثيرهم ومنزقهم كل بمنزق ومزق كما يمزق السهم من الرمية وناداهم خلّوا عن المال فوالله لا رجعت إلا به أولا هلكنّ دونه . فتداعت إليه الأقران وتمايلت نحوه الفرسان وتميزت له الفتيان وحلوا عليه وقد رفعوا إليه الأسنّة ومالوا عليه بالأعنة . فوثب عليهم وهو يزأر كالأسد وجعل لا يحمل على ناحية إلا حطّمها ولا كتية إلا هزمها حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به فرسه . ففاز بالأموال وأقبل بها . فكبر القوم عند رؤيته وفرحوا وفرحوا عظيما بسلامته . فوالله ما رأينا قط يوما كان أسمى صباحا وأحسن رواحا من ذلك اليوم ولقد سمعته ينشد في وجوه فتيات الحلي هذه الأبيات

تأملنّ فعلي هل رأيتن مثله	إذا حشرجت نفس الكمي من الكرب
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه	من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
لم أعط كلاً حقّه ونصيبه	من السمهرى اللدن والصارم العضب
أنا ابن أبي هند بن قيس بن خالد	سليل المعالي والمكارم والسيب
أبي لي أن أعطى الظلامه مرهف	وطرف قوي الظهر والجوف والجنب
وعزيم صحیح لو ضربت بجده	شماریح رضوی لا تحططن إلى الترب
وعرض تقي أتقي أن أعيبه	وبيت شريف في ذرى ثعلب <sup>(١)</sup> الثلب
فإن لم أقاتل دونكن وأحتمي	لكن وأحيكن بالطعن والضرب
وأبذل نفسا دونكن عزيزة	علي لأطراف القنا وظبي القضب
فلم تصدق اللاتي مشين إلى أبي	يهنئنه بالفارس البطل الندب

تمّ القسم الاول من هذا الجزء ويليه القسم الثاني حافلا بمنتخبات أشعار الدولة العباسية ومختارات مما بعدها نثرنا ونظما إلى أيامنا هذه والحمد لله أولا وآخرا